

السياحة الدينية

تأليف

الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم

مدير عام منطقة جنوب سيناء الأزهرية سابقا

ووكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لمعاهد الدقهلية سابقا

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **السياحة الدينية**

المؤلف : محمد عبد العظيم إبراهيم

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٣٩٨٥

الطبعة الأولى ٢٠١٤



القاهرة ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ثم أما بعد .

أخي القارئ العزيز، يسرني أن أضع بين يديك هذه الدراسة عن رحلتي إلى جنوب سيناء، هذا الجزء العزيز من أرض الوطن والذي ظل على مدى التاريخ مطمعًا للغزاة ومسرحًا للعمليات العسكرية التي تخرج من مصر، والتي تأتي إلى مصر، فسيناء هي الدرع الواقي لمصر من الناحية الشمالية الشرقية وتعد امتدادًا للبحرين الأحمر والأبيض، فقد شاء الله سبحانه أن أنقل للعمل بجنوب سيناء في شهر إبريل ١٩٨٤م، حيث كانت سيناء حديثة العهد بالتحرر من الوجود الإسرائيلي وكانت تحتاج إلى العمران وإقامة المؤسسات المختلفة بها ولقد قام رجال محافظة جنوب سيناء وعلى رأسهم المحافظون واحدًا تلو الآخر بالتعاون مع جميع المصالح الحكومية التي تواجدت لإعمار جنوب سيناء .

وكان تعاون المحافظة مع الأزهر إيجابيًا وله دور عظيم بارز ومؤثر حيث كان على رأس السلطة في الأزهر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله .

ولما كنت أقدم الأزهريين الموجودين بجنوب سيناء، وكان عددهم سبعة رجال أربعة من المدرسين وثلاثة من الوعاظ تبين لى مدى الحاجة إلى إنشاء مؤسسات الأزهر ، الذي لم يكن بها سوى معهد ابتدائي واحد في مدينة طور سيناء ، وفي إطار العمل بين المحافظة والأزهر تحركت قوافل من

المختصين بالأزهر في زيارات متتالية إلى محافظة جنوب سيناء وكنت بصحبة تلك اللجان التي كانت تطوف جميع مدن جنوب سيناء وأوديتها البعيدة والقريبة وحيث شجعتني المحافظة على استضافتهم وخصصت لهم الاستراحات للمبيت بها والسيارات الخاصة لنقلهم طوال وجودهم بالمحافظة بل إنها كانت تتولى عملية الطعام والشراب، حيث لم تكن هناك في أغلب المدن مطاعم تصلح لإيواء وإطعام الزائرين وكانت تلك القوافل تأتي على مستويات منها ما يصل إلى زيارات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر ومنها ما يأتي على مستويات الإدارات الهندسية والموظفين الإداريين، وقد جاءت قوافل برئاسة فضيلة وكيل الأزهر عدة مرات ما بين أعوام ١٩٨٨م إلى ١٩٩٠م، وقوافل برئاسة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفي عام ١٩٩٢م زار المحافظة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولفيف من كبار العلماء مثل رئيس جامعة الأزهر والأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وغيرهم والذين عقدوا الندوات والمحاضرات بقاعة المحافظة وبالمدن المختلفة وتكررت تلك الزيارات على المستويات العادية والمستويات الكبيرة لموظفي الأزهر كما خرجت زيارات من المحافظة للأزهر لإتمام العمل .

ولم تقتصر مهمة هذه القوافل على تأسيس وبناء المعاهد الأزهرية فقط بل إنهم كانوا يقومون بالدعوة وعقد الندوات والمؤتمرات في مساجد المحافظة المختلفة وبدون قصد كان لهذه القوافل ما يشبه النشاط السياحي العلمي حيث كانوا يزورون المدن المختلفة والمواقع التي تحدث عنها القرآن الكريم .

ولما كنت مصاحبًا لتلك القوافل، فقد فكرت في إبراز ما اهتم به القرآن الكريم من تحديد للأماكن، التي جرت بها أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام وما يتعلق بها من أحداث تاريخية فقد لفت نظري ونظر القوافل التي كانت تأتي من الأزهر، أن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر الأماكن التي جرت

بها الأحداث الهامة إلا في قصة سيدنا موسى عليه السلام ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ نزل عليه القرآن وهو في الغار في أحد الجبال المحيطة بمكة ولكن القرآن لم يتعرض لذلك، فعلم أنه يوم الهجرة دخل غار ثور وهو وأبو بكر الصديق ولكن القرآن لم يحدد هذا الغار، ولا مكانه، أما في قصة موسى فإن القرآن الكريم كرر ذكر الأماكن بالتحديد في مواضع مختلفة مما جعل العلماء يفكرون في هذه المواقع ويهتمون بتحديدها .

ومن متابعة كتب التفسير لا تجد في أقوال المفسرين كلامًا شافيًا في تحديد تلك الأماكن لا بالأحاديث النبوية ولا بأقوال العلماء، فقد ذُكرت مدين في القرآن الكريم عدة مرات ، دون تحديد موقعها ، كما أن المفسرين لم يقوموا بتحديد الموقع وذلك مما اضطرنا إلى البحث فيما كتب عن سيناء في المراجع القديمة ومنها المدونات على الإنترنت، وكتاب نعوم شقير الذي يعد المرجع الوحيد الجامع لتاريخ سيناء وجغرافيتها .

إلا أن هؤلاء الكتاب كانوا كلهم من غير المسلمين، فلم يذكروا إلا التوراة في العهد القديم والجديد وأقوال بعض المؤرخين .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم هو أصدق المراجع التاريخية وأنه عندما ذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية ذكرها ليصحح ما في روايات المؤرخين والمحدثين من أخطاء ومبالغات، لذلك فكان لزامًا أن نحاول الحديث في تاريخ سيناء وجغرافيتها والمواقع الدينية المذكورة في القرآن الكريم من وجهة النظر القومية والإسلامية، ومما يعطي أبناءنا فكرة عن سيناء وتطورها، وما كان فيها من الأحداث القديمة والحديثة وتطور العمران والتقدم الحضاري وليتعرف الزائرون على جغرافية سيناء وعلى جبالها وحيواناتها وأوديتها وعيونها وآبارها وأماكن التعدين فيها، وعلى هوائها وشواطئها والأماكن

الصالحة للراحة والاستشفاء بها حيث قد ذكر الكتاب والمؤلفون لذين كتبوا عن سيناء كل أمر من هذه الأمور على حده فيقال : مثلاً باب الجغرافية أو باب التاريخ .

أما منهجنا في هذا الكتاب، فهو أن نصف الموقع الذي نزره وصفًا كاملاً يشمل كل هذه الاتجاهات ؛ وبنا لنشكر لمحافظة ومحافظي جوب سيناء تعاونهم معنا في هذا الموضوع، سائلين الله سبحانه أن يوفق الجميع لما فيه رفعة وطننا الحبيب مصر الغالية، والله المستعان، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم
مدير عام منطقة جنوب سيناء الأزهريةسابقا
ووكيل الوزارة، ورئيس الدار المركزية لمعاهد القهلية سابقا



السياحة سنة الله في الكون

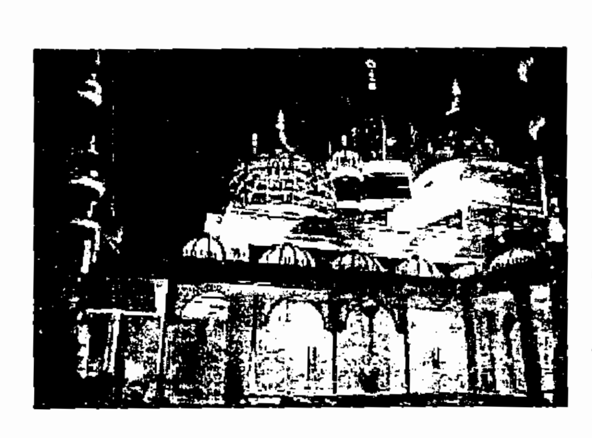


بسم الله الرحمن الرحيم

السياحة سنة الله في الكون

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الملك : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ .

وهذه نعمة عظيمة أن خلق الله الأرض مذللة للإنسان يمشي في نواحيها بيسر وسهولة، فهي مخزن للرزق ، فعلى الزارع أن يضع البذرة ويتوكل على الله وعلى التاجر أن يضرب في الأرض ويتوكل على الله ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : « **لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانًا** » وهو مروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه .



السياحة سير في نواحي الأرض لأغراض كثيرة : السعي على الرزق وثانيها تحصيل العلم وثالثها الترويح وتجديد الفكر ، ورابعها النظر والاعتبار وقد ذكر الله سبحانه في كتابه كل هذه الأشكال وأمر بها ـ وأمر الناس أن يخرجوا في طلبها ، وأولها السياحة لتحصيل الرزق ، وهذه مذكورة : في الآية الكريمة التي ذكرناها الآن : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ سواء بالزراعة أو بالصناعة أو التجارة ، وما كانت رحلة الشتاء والصيف إلا نوعًا من السياحة

في طلب الرزق .

قوله تعالى · ﴿ لإيلاف قريش ۝١ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ۝٢ فليعبدوا رب هذا البيت ۝٣ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ۝٤ ﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه لفظ السياحة في القرآن الكريم في سورة براءة حيث قال : ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ۝١ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ﴾ [التوبة : ١ ، ٢] .

قال الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم فيه ثلاث مسائل الأولى : ﴿ فسيحوا ﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب، أي وقل لهم: سيحوا أي : سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين في حرب ولا سلم ولا قتل ولا أسر .

يقال : ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسياح ومنه السبح في الماء الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن لعبد .

لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسبح

وأما السياحة في طلب العلم فقد أمر الله به المسلمين في قوله تعالى ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة ١٢٢] .

قال الإمام القرطبي في تفسيره ما حاصله هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، لأن المعنى وما كان المؤمنون لينفروا كافة، والنبي ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده فلولا نفر بعد أن علموا أن النفير لا يسع جميعهم : ﴿ من كل فرقة منهم طائفة ﴾ وتبقى بقيتهم مع النبي ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويفقهوا فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموا، وفي هذا إيجاب الفقه في الكتاب والسنة وأنه فرض كفاية لا فرض عين، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ فدخل في هذا من لا يعلم

الكتاب والسنة ثم قال بعد ذلك .

الرابعة : قوله تعالى: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا ﴾ الضمير عائد في ليتفقهوا أو لينذروا للمقيمين مع النبي ﷺ قاله قتادة ومجاهد : وقال الحسن : هما للفرقة النافرة، واختاره الطبري ، ومعنى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي : ينظروا ويتفقهوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا أقوامهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد يعلموهم ويأمروهم بالدخول في الإسلام.

هذا وقد بسط القرطبي الحديث في هذا الباب، ونحن نوجز في كلمات تناسب المقام الذي نحن بصدده في سياحة العلم أو السياحة في طلب العلم. ورسول الله ﷺ خرج للجهاد في أغلب الغزوات، وكان الصحابة يسيرون معه للجهاد وطلب العلم وإذا لم يخرج للجهاد مثل غزوة مؤتة مكث معه مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم ليتفقهوا في الدين وينذروا أقوامهم.

والأحاديث في السياحة في طلب العلم كثيرة ومنها قوله ﷺ : « **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع** » أو « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة** » وقوله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » وهذا الحديث مرويّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ وقد سمعنا كثيرًا عن الصحابة بعد رسول الله ﷺ كان أحدهم يمشي على قدميه من المدينة إلى دمشق أو إلى البصرة من أجل حديث له ﷺ ، يصححه على صحابي مقيم بها.

وسمعنا اطلبوا العلم ولو بالصين، وعن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: « **لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » ، وهذه الرحلات والمنح الدراسية إلى الجامعات المختلفة في بلدان العالم المتقدم علميًا ، ويقولون: إن فلانًا حصل على الدكتوراة من جامعة السوربون، أو فلانًا زميل كلية الجراحين،

في بريطانـيا أو من جامعـات أمريكا ، كل هذه رحـلات سياحيـة في طلب العلم وهي أفضل أنواع السياحة على لإطلاق .

وهذا وقد روى أصحاب الحديث والسـير أن رسول الله ﷺ عندما خرج في غزوة تبـوك مر عىى مدائن صالح، ونزل الـصحابة إلى البئـر التي كانت تشرب منهـا الناقة، وأخذوا الماء وعجـنوا العجين منها ، فنـهاهم رسول الله ﷺ وأمرهم أن يـطرحوا العـجين، نال صاحـب زاد المعاد [١] بـلغـني عـن الزهـري أنه قال: لـ مر رسـول الله ﷺ بالحجـر جـعل ثوبه عـلى وجهـه واستحث راحلته ثم قال : « **لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم، إلا وأنتم باكون خوفًا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم** » .

وفي صحيح البخاري أنهم أمرهم بـإلقاء العجين وطرحه ، وفي صحيح مسلم : أنه أمرهم أن يعلفوا الإبل انعجين ويستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وقد رواه البخاري أيضًا ، وقد حفظ ما لم يحفظه من روى الطرح ، وذكر البيهقي أن رسول الله ﷺ نادى فيهم : الصـلاة جامعة ، فلما اجتمعوا قـال : « **علام تدخلـون على قوم غضب الله عـليهم** »، فناداه رجل فـقال: نعجب منهم يـا رسول الله ، فقال : « **ألا أنبئكم بما هـو أعجب من ذلك ؟ رجل من أنـفسكم ينبئكم بما كـان قبلكـم وما هو كائـن بعدكم ، استقيـموا وسددوا فإن الله عز وجل لا يعبأ بعذابكم شيئًا وسيأتي الله بقوم لا يدفعون عن أنفـسهم شيئًـا** » وهذه الدروس من العلوم الـتي تعلمها الصحابـة في السفر والغـزو مع رسول الله ﷺ ، وهو الذي يـقول : « **الحكـمة ضـالة المـؤمن ينشدها أين وجدها** » .

●● ●● ●●

---

(١) ابن قيم الجوزية .



السياحة للترويح

السياحة للترويح

السياحة للترويح وتجديد الفكر :

إن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض للناس ونشرهم بها وبنواحيها ، وفي الأرض البلاد الحارة شديدة الحرارة والباردة شديدة البرودة - فإذا سافرنا إلى خط الاستواء في وسط أفريقيا أو في بلاد الهند مثلاً أو في أمريكا الجنوبية ، وحتى لو ذهبنا إلى الحج في الصيف في مكة المكرمة نجد أنه من الصعب العسير على أي إنسان أن يسير في الشوارع وقت الظهر أو أن يجلس في مسكنه ، ويفتح النافذة لتجلب له الهواء من شدة الحرارة والاعتماد في البلاد الحارة على وسائل التهوية الصناعية المراوح والمكيفات وغيرها .



لذلك إذا سافرنا شمال أوروبا أو آسيا أو النرويج مثلاً ، نرى أن أغلب شهور السنة شتاء قارس ، وأن الشمس لا تظهر إلا فترات محدودة وفي أغلب الأيام تنزل الثلوج من السماء ، مثل القطن المندوف ، وتكثر السحب وتتكون قريبة من الرؤوس ، ويشتد البرد، وتكسى الشوارع بالجليد وتعمل الكساحات في إزاحته عن الطريق ، ولا يستطيع إنسان أن يمشي على قدميه مسافة طويلة ولا أن يتواجد خارج المبنى لمدة طويلة من شدة البرد، ويعتمدون في شوارعهم على السيارات وفي بيوتهم على وسائل الترفيه المختلفة ، لذلك كان لابد من السفر والتغيير

ليخرج الروس من بلادهم إلى البلاد التي تتمتع بهواء معتدل وشمس مشرقة بعض الوقت من العام ، كذلك يخرج أهل البلاد الحارة إلى البلاد المعتدلة لقضاء عطلات الصيف وغيرها ، وإذا كانت النفس البشرية تمل من الرتابة والتواجد بصفة دائمة في مكان واحد ومناخ واحد فإنها تحتاج للتغيير والترفيه وهذا رسول الله ﷺ يقول: « **روحو القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عميت** » ، رسول الله ﷺ وهو طبيب النفس البشرية وعارف بدوائها : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] .

لذا فإن الطبيعة البشرية والطبيعة لمناخية والسكانية تدعو جميع البشر إلى تغيير أماكنهم بالسفر للترويح والاطلاع على الجمال الذي خلقه الله سبحانه في الكون وإعطاء النفس البشرية حقها من المتعة والتجديد حتى يمكن استئناف العمل دون كلل أو ملل وقد ذكرنا في أول الباب قوله تعلى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ [الملك: ١٥] .

وقال صاحب كتاب المستطرف في منافع السفر جاء في الأثر : «سافروا تغتنموا» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « **لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر** » .

وهو ميزان الأخلاق إن الله بالمسافر رحيم ، ويقال: الحركة ولود، والسكون عاقر، وقال حكيم :السفر يسفر عن أخلاق الرحال : وكان بعضهم يريد السفر يمنعه والده إشفاقًا عليه : فقال يومًا ؟

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن على الأهل كلا إنَّ ذا لشديد

تهيبني ريب المنون، ولم أكن ... لأهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي ... وقيل : إذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الأرض عمري لعله ... يسر صديق أو يغاظ حسـ

وقال آخر :

ما في المقام لذي عقل ولذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضًا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سار طاب وإن لم يسر لم يطب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه [illegible] الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإن تغرب ذاك عز كالذهب

وإن حركة السفر والسياحة في العالم اليوم من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس قد ازدادت وتوسعت نظرًا لتيسر المواصلات وكثرتها وتنوعها من سيارات وطائرات وسفن وقطارات وغيرها من المخترعات الحديثة التي ساعد عليها ، وعلى ظهورها التقدم العلمي التكنولوجي وهي بدورها أسهمت في إثراء الحركة السياحية بين بلدان العالم ، ويقاس دخل الدولة الحديثة الآن وتطورها ونموها بتطور ونمو حركة السياحة منها وإليها .

والناس الذين يخرجون من بلادهم للترفيه والتجديد يخرجون بعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم ولغاتهم وتتنافس الدول في تجهيز أماكن الإيواء : الفنادق وغيرها وأماكن التنقل والمزارات ووسائل المواصلات والتي تنقل السياح داخل الدولة المضيفة أو منها وإليها .

وإذا كان الناس يسافرون بلغاتهم وملابسهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهم ينقلون إلى البلد الذي يسافرون إليه كل هذه المظاهر الحضارية، ولابد أن

يكون من بين أهالي الدول المضيفة من يعرف لغة الضيوف ويعرف عاداتهم وتقاليدهم ويقدر على التعامل معهم وقضاء مصالحهم .

وقد تكون العادات والتقاليد مخالفة للفطرة والنواميس البشرية والقيم العليا ، ومن هنا يمكن تسرب الفساد من الدول بعضها إلى بعض ويكون الضرر الناشئ من السياحة أكثر من النفع المرجو منها، خاصة ما يتصل بالخمر والمخدرات والزي والمظاهر الجنسية الظاهرة ولذلك فإن على السياح الذين يفدون إلى دولة لها عادات وتقاليد تخالف عاداتهم وتقاليدهم أن يراعوا ظروف الشعوب التي يفدون إليها جريًا على قاعدة (**لا ضرر ولا ضرار**) وكذلك فإن الطبيعة البشرية تظهر في أعلى مراتب الاعتدال والانسجام والتكيف مع المجتمع ، ومع النفس عندما تكون متفقة مع الفطرة والإنسان لا يمكن أن يشعر بالسعادة أو الراحة، وهو سكران أو مغيب العقل ، ولذلك فإن الخمر والمخدرات تسلب الذين يتعاطونها اللذة والبهجة والسعادة ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : « **حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** » فهذه متعة الدنيا وفي الحديث الآخر : «**الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة**» فهي زوجة حلال وهي صالحة منسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والإنسان في حاله العادي يكون منسجمًا مع الفطرة حتى يدخل عليه ما يفسدها وفي الحديث القدسي : «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فأحلت لهم ما حرم عليهم**».

هذا وقد تحدث العلماء والشعراء عن الخمر وتعاطيها وأنها تذهب بالعقل وتجلب لذة مؤقتة تعقبها كآبة وحزنًا شديداً ، حتى قال الشاعر الفرنسي :

رب أصباح محزنات   يتركها المرقص اللعوب

والشاعر العربي يقول :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وأبو نواس يقول :

دع عنك لومي فإن الخمر إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

والمخدرات تفسد على السياح جمال الطبيعة الساحرة على الشواطئ الجميلة الباهرة وتحرمهم الإحساس بالبهجة والسعادة : ولو أرادوا الاستفادة من السفر لامتنعوا عن تعاطي الخمر والمخدرات فتتمتع عيونهم وتصفو قلوبهم.

وإذا كان لابد لهم من ممارسة العادات التي تخالف الفطرة وتتعارض مع القيم الموجودة والمستقرة في البلاد التي يذهبون إليها فعليهم أن يستتروا .

وتنقسم السياحة الترفيهية إلى سياحة السفاري فمنها الرحلات الداخلية على ظهور الإبل وبين الجبال والأودية وسياحة الغوص في أعماق البحار وسياحة الشراع ، وهو ركوب السفن الشراعية على الشواطئ وغيرها من أنواع السياحة الترفيهية لأن المطلوب هو الاستمتاع بالشمس والهواء والبحر ، والحرارة المعتدلة .

وفي مصرنا الحبيبة كنوز من الشمس الدافئه غير الحارة والهواء المعتدل والسماء الصافية والمياه الزرقاء والخضراء في خليج العقبة والسويس والشعاب المرجانية ما يجلب السياح الذين يريدون التغيير والخروج من الشمس المحرقة عند خط الاستواء ، وفي كثير من البلاد الشرقية لدول الخليج والسعودية والكويت والعراق وغيرها .

كذلك فإن فيها من الهواء المعتدل والشمس الدافئة في الشتاء ما يجلب أهل أوروبا وكندا والقطب الشمالي والجنوبي وأن على حكومتنا أن تعمل على استغلال هذه الكنوز وتسوقها كما عليها أن تحمي شبابنا وشعبنا من العادات الواردة مع السياحة الترفيهية فنأخذ خيرها ونترك شرها .

ومنها سياحة التدبر والنظر والاعتبار في ما هو موجود في الكون من الجلال والجمال : فالجبال في العالم تختلف بعضها عن بعض في ارتفاعها وتنوعها ، ومن السياح من يسافر إلى بلد لينظر ويتمتع بجمال الجبال مثل جبال لبنان أو قمة إفرست أعلى قمة جبل في العالم ، والجبال متنوعة وهي مطلوبة ضمن المزارات التي يحب السياح أن يسيروا إليها وينظروا إلى بديع صنع الله فيها ، وفي سورة فاطر يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٧، ٢٨] .

قال ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى مبينًا قدرته في خلق الأشياء المتنوعة من الشيء الواحد ، وهو الماء الذي ينزله من السماء فيخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها من أصفر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو مشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ﴾ ، أي : وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما المشاهد من بيض وحمر وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة ألوانها .

هي من آثار العقائد الدينية المختلفة ، والتي مرت بها مصر على مر العصور ، ونحن نرى أن أصحاب الديانات في مشارق الأرض ومغاربها وأصحاب الملل والنِّحَل يتحركون ويسافرن في السياحة .

* قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجدد هي الطرائق ، وكذا قال أبو

مالك والحسن بن علي وقتادة والسدي : ومنها غرابيب سود .

قال عكرمة : الغرابيب : الجبال الطوال السود .

وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة ، وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غربيب ، ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى : ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ أي : سود غرابيب وفيما قاله نظر .

ومن المزارات شواطئ البحار ، وما أودع الله سبحانه فيها من الجمال والصفاء ورقة الهواء وزرقة الماء والأسماك الملونة وأشجار المرجان أو الشعاب المرجانية ، ومن المزارات التي يقصدها السياح للتدبّر والاعتبار الآثار المنتشرة في جميع دول العالم ، والتي أبقاها الله سبحانه ، لينظر إليها الناس ويتعرفوا على ما كان عليه الأقوام السابقون من قوة في العمارة وقدرة على البناء والتشييد وما وهبهم الله من النعيم العظيم وأرسل إليهم الرسل فمنهم من آمن ومنهم من كفر .

يقول الله سبحانه في سورة الفجر مخاطبًا رسوله محمداً ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦-١٤] .

ويقول رب العزة في سورة الروم : ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

ويقول سبحانه في نفس السورة : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢] .

وفي سورة غافر ومواقع كثيرة من القرآن ، الأمر بالسير في الأرض والنظر والتدبر في خلق الله سبحانه وقدرته على الإيجاد والترك والإشقاء والإسعاد، وكيف فعل بالأقوام الذين أعطاهم القوة والمال والجبروت، فأقاموا المباني العظيمة وشيدوا القصور الفارهة . ثم أهلكهم الله القوي القادر ، فمن سار في الأرض ونظر وتدبر ذكر قصص الماضين وأخبارهم وأحوالهم ، وكيف كانوا عتاة قساة ثم أهلكهم القوي القادر الذي لا يغلبه شيء ولا يبقى معه شيء كل شيء هالك إلا وجهه » .

والسياحة في الآثار مثل الأهرامات والمعابد والمباني التاريخية من خلفها علم بقصص أصحابها وتواريخهم وما أمرهم الله به ولماذا فعلوه وماذا فعل الله بهم .

ونسمي هذه السياحة ، سياحة التدبر والاعتبار والعظة والعبرة ، أو ما يسمى بقانون السير والنظر الذي وضعه أحد الأساتذة بجامعة الأزهر في الستينيات، وهو قانون قديم والناس تجري من حوله تنظر إلى الآثار وما فيها من الفن والمعمار والتاريخ والحضارة والعلم والدين ، وعاقبة أصحابها من بعد ذلك .

وإن مصرنا الحبيبة تزخر بأرقى أنواع الآثار القديمة والحديثة على مر العصور ، وهي بآثارها ونيلها وبحارها وجبالها ، وتنوع المواقع بها والبشر الذين يسكنون بها ويحيون الغرباء ويكرمونهم ، إنها بكل هذه المقومات أرقى مواقع العالم لجذب السياح والزائرين وحيث لا يتوفر لأي دولة من دول العالم ما هو موجود بمصر من هذه المقومات العظيمة ، والتي جمعت تاريخ البشرية كلها على مختلف العصور في آثارها ومبانيها وجبالها وأنهارها ، وما أعطاها رب العزة سبحانه من الجمال والجلال متعة ومسرة للناظرين وتذكرة

للعلماء والمتدبرين وراحة للمتعمق ، وأمنًا إن شاء الله للخائفين .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ .

*** *** ***



السياحة الدينية



السياحة الدينية

السياحة الدينية : وهي من أهم أنواع السياحة على الإطلاق لأنها تنطلق من عقيدة وينظر إليها على أنها عبادة ، والوازع الديني عند بني البشر هو أشد الدوافع الإنسانية وأعمقها وأكثرها رسوخًا في النفس البشرية .

والتدين عند الناس قسمان : فطري و مكتسب .

فالقسم الفطري : هو ما يتصل بطبيعة الإنسان منذ خلقه الله وبفطرته التي يقول عنها القرآن الكريم في سورة الروم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ .



وقول رسول الله ﷺ :
« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

ولقد خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة وجعل في خلقهما كثيراً من الفطرة السليمة ، مثل فطرة الستر مثلاً ، فقد كان آدم وحواء في الجنة عليهما لباس بستر الجسد والعورة منهما ، فلما أكلا من الشجرة وقع اللباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وهذا دليل على وجود فطرة الحياء أيضًا ، وهي التي جعلتهما يشعران بالخجل ويخصفان ورق الجنة، ليسترا بها عورتيهما ومن هنا نقول : إن جميع الأخلاق والفضائل كانت فطرة مخلوقة

مع آدم وحواء ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فآدم وحواء خلقهما ربهما وأودع فيهما جميع الفضائل .

ومن أهم ما أودع الله فيهما فطرة التدين ، حتى إن آدم عليه السلام كان يتكلم كما حدثتنا كتب التفسير عن رسول الله ﷺ عندما سئل أكان آدم نبيًا قال : « نعم نبي مُكَلَّم » ، فكان الدين فطرة في آدم وفي أبنائه إلى أن يقوم الناس لرب العالمين . غير أن الشياطين حاولت إفساد فطرة التدين وتحويلها عن طريقها الصحيح : فعبد الناس الأصنام والشمس والقمر ، ومظاهر الطبيعة ، وغيروا وحرفوا وبدلوا وكثرت الملل والنحل تحت ستار العمل العقلي وظهرت فرق الصابئة والحنفاء الذين كانوا يردون على الصابئة ، وظهرت البوذية والهندوكية وعبادة البقر والشمس والقمر واتخذوا هياكل وأصنامًا وتماثيل يعبدونها ويذبحون عندها .

وما كانت الآثار المصرية لقديمة في عهود الفراعنة إلا نوعًا من العمل الديني المستمد من عقيدة قوية راسخة ، وذلك على الرغم من أن مصر قد بعث بها شيث وإدريس .

وظهر بها أمثال إخناتون ، ودخلها سيدنا إبراهيم ويوسف ، وولد وبعث فيها موسى عليه السلام ، ونزل بها المسيح عيسى ابن مريم وأمه ، وأظلتها بعد ذلك رسالة سيدنا محمد ﷺ ، إلا أن جميع الآثار الموجودة بها حتى اليوم هي من آثار العقائد الدينية المختلفة ، والتي مرت بها مصر على مر العصور ، ونرى أصحاب الديانات يتحركون في كل أقطار العالم إلى أماكن ومبان دينية ومزارات يسعى إليها أصحاب العقيدة التي تنتمي إلى تلك الآثار، كثيراً ما تقام الاحتفالات ويُصنَع المولد أو الليلة الكبيرة ، ويتم السعي

والإقامة والذبح وإنفاق الأموال عند هذه البيوت والمباني القديمة والتي تشير إلى تلك العقائد وتنتمي إليها ، والسياحة الدينية أكثر رسوخًا من كل أنواع السياحة ، لأنها تتبع من عقيدة يحسبها من يقوم بها موصلة إلى رضاء ربه وجالبة للخير والثواب في الدنيا والآخرة ، والسياحة الدينية لا تتأثر بعوامل الشد والجذب ولا بأحوال الأمن والحرب ولا بالكوارث التي تحدث ، فهي راسخة ثابتة متجهة تجلب الخير للبلد الذي يقع فيه بيت من البيوت المقدسة لدى أي طائفة من طوائف المتدينين حول العالم القديم والحديث ، ونستطيع أن تضرب المثل على ثبات السياحة الدينية ، ورسوخها وكثرة خيرها بما يحدث في مكة المكرمة والمدينة المنورة، زيارات ثابتة لا تتغير ولا تتحرك .

السياحة في مكة :

فريضة الحج في الإسلام نوع من السياحة المفروضة ، وقد بنى الله سبحانه لنفسه بيتًا في الأرض هو البيت الحرام ، وأمر سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل بإقامته بقوله : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٩] .

وفي سورة البقرة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

وسياحة الحج والعمرة إلى مكة المكرمة ، تختلف عن غيرها من زيارات دور العبادة من وجوه :

أولها : أن مكة المكرمة قد حظيت بمعجزة ربانية فهي بلد حرام ، أقيمت في جبال وأرض صحراء جرداء نادرة الزراعة قليلة الماء برغم ذلك فإن الله حباها وأعطاها كل الخيرات بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال الله على لسان إبراهيم في سورة البقرة الآية ١٢٦ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا لمكة بالأمن والرزق ، واستجاب الله له فأصبح في مكة طعام وشراب وأمن دائم لا ينقطع ، وما كانت قصة الفيل إلا علامة على ذلك ، حيث قال تعالى : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ فقصة الفيل ورحلة الشتاء والصيف كلها معجزات أوجدها الله من أجل مكانة البيت الحرام ومن أجل حرمة البيت الحرام .

ولو أكرمني الله بالزيارة والحج أو العمرة وسرت في شوارع مكة المكرمة لرأيت الخيرات موجودة واليوم توجد فيها فاكهة الصيف والشتاء مجتمعة حتى قال سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وفي سورة القصص يقول ربنا سبحانه : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧] .

وفضائل مكة المكرمة لا تعدُّ ولا تحصى لأنها خلقت بمعجزة ربانية ورغم

بناء البيت الحرام بها بمعجزة ربانية ، وحفظت من الخوف بمعجزة ربانية وأكثر الله فيها الرزق بمعجزة ربانية ، وأنزل بها القرآن العظيم أكبر معجزة ربانية ، وقد ذكر أصحاب السير وأصحاب التفاسير الكثير والكثير من فضائل مكة المكرمة قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهذا البَلدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ ، هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً ، لينبه على عظم قدرها في حال إحرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني: مكة ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به ، وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد : ما أحببت فيه فهو حلال لك. وقال قتادة : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبلدِ ﴾ قال : أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصري : أحلها الله ساعة من نهار، وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام يحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » ، وفي لفظ آخر «فإن ترخص أحد بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم؟».

●● ●● ●●



ذكر فضائل مكة المكرمة

ذكر فضائل مكة المكرمة

هذا وقد ساق ابن قيمٍ الجوزية في كتابه زاد المعاد ، فضائل مكة المكرمة زاد المعاد في هدي خير العباد مقالاً طويلاً في فضائل مكة المكرمة فقال في ص ١٠ الجزء الأول ما نصه ومن الاختيار اختياره سبحانه من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها ، وهي البلد الحرام ، فإنه سبحانه اختاره لنبيه وجعله مناسك لعباده ، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق ، فلا يدخلونه إلا متواضعين خاشعين متذللين كاشفي رؤوسهم متجردين عن اللباس إلا ملابس الإحرام ، وجعله حرمًا آمنًا لا يسفك فيه دم ولا تعضد فيه شجرة ولا ينفر له صيد ولا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته للتمليك ، بل للتعريف ليس إلا.

وجعل قصده مكفراً لما سلف من الذنوب ما حيا للأوزار حاطا للخطايا كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«من أتي هذا البيت ، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة »** ففي السنة عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ،**

وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » فلو لم يكن للبلد الأمين خير بلاده فأمر بقصدها «الحج والعمرة»، وجعل ذلك كله من آكد فروض الإسلام ، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ وليس على وجه الأرض بقعة ، يجب على كل الناس السعي إليها والطواف بها إلا البيت الذي فيها ليس غيرها ، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وأن تحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود ، والرُكن اليماني،وثبت عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال: « **صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة** » رواه ابن حبان في صحيحه .

وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق ولذلك كان شد الرحال إليه فرضٌ ولغيره فيما يستحب ولا مستحبًا وفي المسند والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عدي ، وابن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول : « **والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت** ».

قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

ومن خواصها أيضًا : أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض ، وأن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض ، فقد سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض فقال : «المسجد الحرام» .

ومن خصائصها : أنها أم القرى والقرى كلها فرع لها ، وأنه لا يجوز دخولها لأصحاب الحوائج المنتظرة إلا بالإحرام ، وأن البيت الحرام يعاقب فيه على الهم بالسيئة وإن لم يفعلها ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

قال ابن قيم الجوزية : وقد ظهر سر هذا التفصيل والاختصاص في انجذاب القلوب والأفئدة ومحبتها لهذا البلد الأمين فجذبه للقلوب أعظم من جذب الحديد بالمغناطيس فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا وفي هذا يقول الشاعر :

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

فكم من قتيل وسليب وجريح ، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضى المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتألف والمعاطف والمشاق وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه لو ظهر سلطان المحبة في قلبه أطيب من المتخلية ولذاتهم .

وليس محبًا من يعد شفاءه عذابا إذا ما كان يرضى حبيبه

وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى : ﴿ وطهر بيتي ﴾ فاقتضت هذه الإفاضة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته ، انتهى كلام ابن القيم .

وترى كتاب قصص الأنبياء للإمام ابن كثير يسوق أحاديث صحيحة في تأسيس البيت الحرام ، قال البخاري : قال عبد الله بن محمد وهو أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أول من اتخذ المنطق من النساء أم إسماعيل تعفى أثرها على سارة ثم حاء بها إبراهيم ويابنيهما إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء .

ثم قضَّى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال: نعم ، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت .

ثم قال ابن عباس رضي الله عنه : ثم سار إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت .

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال : يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا

فلم تـر أحدًا فـعلت ذلك سـبع مرات قـال ابن عبـاس : قال الـنبي ﷺ : «فلذلك سعى الـناس بينهما فلما أشـرفت على المروة سمعت صـوتًا فقالت : صه ثم تسمعت، فسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت أن كان عند غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعـقبه ، أو قال بجناحه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضـه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من المـاء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف».

قال ابن عـباس : قال الـنبي ﷺ : « يرحم الله أم إسـماعيل لـو تركت زمـزم » أو قـال : « لو لم تغرف من الماء لكانت زمـزم عينًا معينًا » قـال : فشربت وأرضعت ولدها فـقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فـإن ها هنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لن يضيع أهله .

أخي القارئ الكريم :

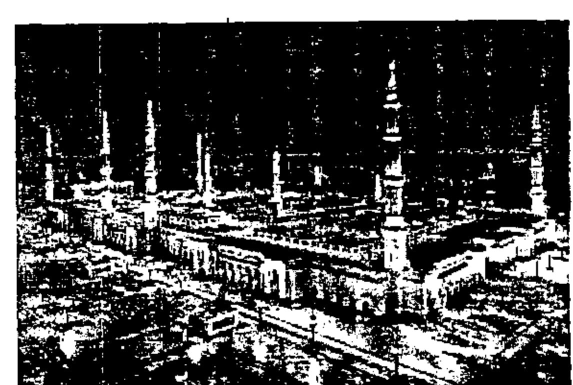
هذا الحديث يطول ويحـلو للكاتب والقارئ ولكن الخلاصة هنـا السياحة في مكة أم القرى هي رأس السياحة الدينية في العالم كله والطواف بالكعبة لا ينقطع لـيلاً ولا نهارًا ، والذين يـذهبون لزيارة الكعـبة البيت الحـرام يذهبون بشوق شديـد ومحبة فيـاضة ، وكذلك شأن السيـاحة الدينية فـهي تتم بدافع ذاتي ولا تخضع أبدًا لعوامل الأمن والخوف والأحداث التي تعوق باقي أنواع السياحة في العالم ، والحوادث التي يتـعرض لها السياح في كل مكان ولدينا في مصر كثير من المعالم السياحـية الدينية ، وخاصة ما هو مذكور في القرآن الكريم في سـيناء شمـالاً وجنوبًا ، وأن أهل مـكة قد خصـهم الله سبـحانه بالرزق الوفير والخير الكثير والأمن والأمـان نظرًا لوجود البيت الحرام وفريضة الحج وسنة العمرة وهو خير دائم لا ينقطع .

●● ●● ●●

السياحة في المدينة المنورة

السياحة في المدينة المنورة

يذهب الحجاج والعمار إلى مكة المكرمة للحج والعمرة والزيارة والطواف ثم يذهبون إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ حبًا للمسجد ولزيارة قبر الرسول ﷺ ، وقد ذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب عن فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد المدينة المنورة وبيت المقدس وقباء ، قال عنه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام** » رواه مسلم والنسائي وابن ماجة وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :



«**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» .

رواه أحمد وابن ماجة بإسنادين صحيحين وروى البزار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء وأحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل المسجد الحرام ومسجدي وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام** » .

هذا وقد أكد رسول الله ﷺ على فضل مسجد قباء ، وعلى فضل

الصلاة أربعين فريضة في مسجده ﷺ وعلى فضل رمضان بالمدينة وعلى سكنى المدينة والإقامة بها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يصبر أحد على المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيداً**» رواه مسلم والترمذي وغيرهما .

وذكر صاحب الترغيب والترهيب عن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إني أحرم ما بين لابتى المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها** وقال : « **المدينة خير لهم لو كانو يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت شفيعًا له أو شهيداً يوم القيامة** » وزاد في رواية : « **ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء** » رواه مسلم .

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء ، فيجدون رخاء، ثم يأتون فيتحملون بأهليهم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** » رواه أحمد والبزار واللفظ له ، ورجاله رجال الصحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها** » رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان.

وقد صح من الأحاديث في فضل زيارة مسجد الرسول ﷺ وقبره بروايات متعددة وصح أن الوباء والدجال لا يدخلانها وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ، ثم قال : « **إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة وأنا محمد عبدك ورسولك ، أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لمكة ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم اللهم حبب إلينا المدينة**

كما حبيت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء بِخُمْ اللهم إني حرمت ما بين لابتيها ، كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم » .

رواه أحمد ورجال إسناده رجال الصحيح ، وخُمّ بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم : اسم غيضة بين الحرمين قريبًا من الجحفة لا يولد بها أحد فيعيش إلى أن يْحتلم إلا أن يرحل عنها لشدة ما بها من الوباء والحمى بدعوة النبي ﷺ ، وأظن غدير خم مضافًا إليها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله ﷺ وقال: **«اللهم بارك لنا في ثمرنا . وبارك لنا في مدينتنا . وبارك لنا في صاعنا ومدنا»**. قال : ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر . رواه مسلم ، وعنه ﷺ أنه قال : **«اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وأنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه »** .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وبارك لنا في شامنا ويمننا »**. فقال رجل يا رسول الله وعراقنا قال : **« إن بها قرن الشيطان ، وتهيج الفتن ، وإن الجفاء بالمشرق»** رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات . قرن الشيطان قيل : معناه اتباع الشيطان وأشياعه ، وقيل : شدته وقوته . وملح ملكه وتصريفه ، وقيل غير ذلك .

أخي القارئ الكريم :

هذه الأحاديث في جملتها تبين فضائل المدينة وحرمتها والأمر من رسول الله ﷺ بزيارتها ورعاية حرمتها وفضل من يصبر على لأوائها ودعاء النبي ﷺ لها بالبركة وتحريم الصيد فيها أو أن يقطع شجرها أو يقطع نباتها. وهناك

دعاؤه الله لها أن ينقل عنها الحمى والوباء إلى خم أو الجعرانة أو الجحفة ، وبيان جزاء من أراد المدينة بسوء فإن الله يذيبه في النار كما يذيب الملح في الماء ، وفضائلها لا تحصى ولا تعد وقد أفرد الإمام مسلم في صحيحه أبوابًا في هذه الموضوعات .

كما أفرد بابًا في حب الأنصار وأنه لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، كذلك حب سيدنا على رضي الله عنه هذا ، وقد استمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لهذه الوصية من رسول الله ﷺ وفهموا فضائل المدينة ، ولقد رأيت شيوخًا كبارًا في مسجد رسول الله ﷺ يأتون ويطلبون الموت بالمدينة رجاء بركتها وأن يكونوا داخلين في شفاعة رسول الله ﷺ ، إذن فزيارة المدينة والسياحة بها تتم بدافع ذاتي نابع من محبة رسول الله ﷺ ومحبة المدينة دار الهجرة فهي سياحة دينية لا تخضع للشد والجذب ، ولا تخضع لعوامل الأمن والخوف وأحداث الحروب والمشكلات داخل الدول أو بين بعضها البعض ، وإني قبل أن أختم هذا الفصل أحب أن أعرض على القارئ الكريم موقفًا قديمًا جديدًا حدث في زمان رسول الله ﷺ واستمرت آثاره حتى اليوم .

فلقد قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين بعد أن نصره الله سبحانه على المؤلفة قلوبهم من أهل مكة وزعماء القبائل الذين أسلموا حديثًا .

ولم يعط الأنصار والمهاجرين شيئًا ، قال ابن إسحاق وابن هشام في كتاب السيرة الجزء الرابع ص ١٠٤ ما نصه :

وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبي مقسم عن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقًا

نعله بيده ، فقلنا : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم يقال له : ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « **أجل فكيف رأيت ؟** » ، قال : لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي ﷺ ثم قال : « **ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟** » ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ألا أقتله ؟ فقال : «**لا دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيئًا ثم في القدح فلا يوجد شيئًا ثم في الفوق فلا يوجد شيئًا ، سبق الفرث والدم** ».

قال ابن إسحاق وحدثني محمد ابن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة وسماه ذا الخويصرة التميمي وروى ابن هشام حديثًا بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطي رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقد لقي رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ـ قسمت ـ في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ، قال : «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟** » ، قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال : «**فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة**» قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : فقد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « **يا معشر**

الأنصار ، ما قالةٌ بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ » ، قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ما أتينا مكذبًا فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك وطريدًا فأويناك وعائلاً فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسمًا وحظًا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

أخي القارئ الكريم :

اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار وفي هذه لقصة العجيبة نرى :

ذا الخويصرة التميمي مؤسس جماعة الخوارج وأبوهم يعتبر أنه يعرف العدل أكثر من رسول الله ﷺ وقد هم عمر رضي الله عنه بقتله ولكن رسول الله ﷺ منعه ، وعلمنا أن في آخر لزمان يخرج من أمثال هذا قوم يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه ، ولقد صدق رسول الله ﷺ فظهرت الخوارج في زمن سيدنا علي ، ثم ما زالوا يظهرون على فترات متقطعة من الزمان وخاصة في زمننا هذا والذي كثرت فيها الفتن وكثر المتاجرون بالدين .

أما قصة الأنصار والذين عتبوا على رسول الله ﷺ في توزيعه غنائم

حنين على المؤلفة قلوبهم ، فأهم ما فيها قول رسول الله ﷺ : « **أما ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟** » .

وقد رضي الأنصار بالله وبرسول الله وببركة رسول الله حبًا لله ولرسوله وأنهم أخذوا في هذه القسمة حظهم الوفير ، وجدهم السعيد ، إذ يعودون برسول الله ﷺ إلى رحالهم ، وهذا الرضا عن إيمان قوي وأمر روحي لا يرجون معه نفعًا ماديًا .

وقد يرى كثير من الناس ذلك ، لكن الواقع يقول : إن الأنصار رجعوا برسول الله إلى رحالهم فأصابوا خير الأخوة وخير الدنيا .

وكانت السياحة الدينية بالمدينة فمن كان له حظ في تكرار الزيارة للمدينة المنورة يعلم ويرى أن المدينة يزيد خيرها فيتضاعف عامًا بعد عام فكثرة الزوار واتساع الحرم وتطور المباني بالمدينة يعلمنا أن الأنصار رجعوا بخير الدنيا والآخرة .

لقد ذهبنا إلى المدينة في أواخر التسعينيات وكان الفندق الذي نقيم فيه بجوار الحرم حيث كان قليل الارتفاع يتكون من خمسة أدوار ، ورجعنا مرارًا في التسعينيات فوجدنا الفندق داخل الحرم ، وفي توسعات المسجد رأينا الأبراج العالية المكونة من عدد كبير من الطوابق ، وتعمل بها المصاعد الكهربائية وتعجبنا كيف تطور الحرم ، وتطورت الأبراج السكنية وتطورت المحلات التي تبيع البضائع ، وتطورات المزارات، وكثر الزحام ، وانتعشت السياحة الدينية بالمدينة فاتسعت أبواب الرزق لأهل المدينة المنورة ، وزادت حركة البيع والشراء وشعر أهل المدينة بالرخاء ببركة وجود مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة .

*

إنهم يتحدثون اليوم عن أن الكيلو جرام من تمر المدينة أصبح يباع بأسعار مرتفعة ، هو إنما تخرجه أشجار المدينة من ثمار كله يباع بأغلى الأسعار .

هذه هي السياحة الدينية بالمدينة لمنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فهل نفكر نحن في مصر في تحديد الأماكن السياحية الدينية والتي تحدث عنها القرآن صراحة ، مثل الوادي المقدس طوى ، ومثل مجمع البحرين ، وجبل المناجاة والأماكن التي سار فيها موسى عليه السلام ببني إسرائيل واهتم القرآن الكريم بتحديدها .

إن في تنشيط هذا النوع من السياحة لعطاءً عظيمًا ومتعة للسائح ، وثراء وعطاء ورحمة للمصريين .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

●● ●● ●●


مجمع البحرين

مجمع البحرين

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢] .

هذه الآيات الكريمات من سورة الكهف تتحدث عن قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ونبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ .

وقد ذكرنا في المقدمة أن لجنة من علماء الأزهر والإداريين الكبار زاروا محافظة جنوب سيناء أوائل عام ١٩٩٠م للمساعدة على تأسيس مؤسسات الأزهر بجنوب سيناء ، وقد تعاونت المحافظة معنا في إقامتهم وتدبير وسائل المواصلات لهم ، وكان يصحبنا في جولتنا رجل من العلاقات العامة بالمحافظة وسيارة ميكروباص من المحافظة .

وقد وصلت اللجنة إلى مدينة طور سيناء بالطائرة، ونزلت في مطار الطور وقضوا ليلة في استراحة خصصتها لهم المحافظة في جنوب سيناء ، وفي الصباح الباكر وبعد تناول طعام الإفطار تحركت السيارة مع القافلة لزيارة أول مدينة من مدن محافظة جنوب سيناء ، وهي مدينة شرم الشيخ ، وكانت حركة السياحة قد بدأت في الظهور في ذلك الوقت إلا أنها كانت تتجه في أغلبه إلى السياحة الترفيهية والسفاري ، وغير ذلك من



المجالات السياحية، ولم يكن يخطر ببال أحد موضوع السياحة الدينية إلا في أماكن محدودة وطلب مني أعضاء اللجنة أن يمروا على رأس محمد ، وفيها مجمع البحرين، كما هو الرأي الراجح والذي تؤيده الأدلة جميعًا وتتفق مع رواية القرآن الكريم ، وسنعرض لذلك خلال فصول الكتاب جميعها .

وطلبت من مندوب العلاقات العامة بالمحافظة أن يعمل على زيارة القافلة لرأس محمد ، فأجابني إلى ذلك وكان هدفي من الزيارة أن يتعرف الزائرون

على الأماكن في قصة موسى عليه السلام دون غيرها ؛ فإنه لم يحدد مكان نزول القرآن الكريم ولم يحدد اسم الغار الذي دخله رسول الله ﷺ ولا مكان الشجرة التي بايع عندها الصحابة رسول الله ﷺ ولا المكان الذي ولد فيه أي من الأنبياء إلا بالإشارات ، أما في قصة موسى عليه السلام عبر سيناء فقد اهتم بالأماكن وذكرها أكثر من مرة مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠] ، وفي جميع المواقع المذكورة في قصة موسى عليه السلام تحدث القرآن الكريم موضحًا ومحددًا إلا أن المفسرين لم يهتموا بتحديد تلك الأماكن والتي لها مع الآيات دلالات عظيمة وعلم واسع كما جاء في هذه القصة قصة موسى والخضر .

كما قصدت من زيارة الأماكن الدينية إحياء العلم بهذه الآثار ، ووجودها في أرض سيناء ، وإنها كما تطلب للزيارة ، ولتكون هنا السياحة الدينية بجوار السياحة القائمة الآن وليتعرف الزائرون على جغرافية سيناء وعلى جبالها وحيواناتها وأوديتها وعيونها وآبارها ، وأماكن التعدين فيها وعلى هوائها وشواطئها ، حيث ذكر الكتاب والمؤلفون عن سيناء كل هذه الأمور على حدة فالجغرافيا والتاريخ كل له باب يذكر فيه ، غير أن رحلتنا هذه تصف كل موقع تزوره بما فيه من جميع الجهات .

وعندما خرجت القافلة من مقر المحافظة متجهة إلى مدينة شرم الشيخ كانت السيارة تسير بسرعة بسيطة ، والطريق يمتد حوالي مائة كيلو متر في اتجاه الجنوب والساعة حوالي الثامنة صباحًا عن يمين الطريق سهل ممتد إلى شاطئ خليج السويس ، وهو سهل منبسط يتراوح عرضه ما بين ١ - ٢ كيلو متر أحيانًا ، وفي بعض الأماكن يضيق هذا السهل ، ليصبح السهل قريبًا من

ساحل خليج السويس ، والمنظر الجميل ، وعند اليسار على بعد يتراوح ما بين ٥ - ١٠ كيلو مترات يقف جبل الطور منتصبًا يرتفع حوالي ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر وقد ارتفعت الشمس فوقه ، وتركت له ظلاً بجواره وظهرت أحجاره وصخراته الجميلة وفي كتاب تاريخ سيناء لنعوم شقير يقول ص ٤٩ : وجبل أم شومر يطل بعظمته من الشرق على مدينة طور سيناء عبر سهل القاع فيزيد موقع المدينة رونقًا وبهاءً وهو يعلو ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وهو بقطع النظر عن ارتفاع الأرض القائمة عليها الجبال أعلى جبال في سيناء كلها.

والعلماء يسمون الجبل الذي يمتد من جنوب الجزيرة عند شرم الشيخ حتى مفارق وادي فيران بجبل الطور والمكان المطل على مدينة الطور ، يسمى جبل أم شومر كما سبق ، وتسير السيارة الجبل من اليسار والبحر من اليمين والرمال تارة صفراء وتارة حمراء وعلى بعد حوالي ثلاثين كيلو مترًا جنوب مدينة الطور وعن يمين الطريق ، وبالقرب من ساحل الخليج يقوم موقع البترول في رأس راية ، وهناك المضخات الكبيرة تعمل ليلاً ونهارًا في استخراج البترول الخام لتصبه في خزانات كبيرة ، أعدت لذلك تمهيدًا لنقله إلى أماكن التكرير بالسويس وتوقفنا قليلاً لمشاهدة هذا الموقع الذي أسعدنا رؤيته والمعسكر المقام حوله للعمال والمهندسين وهو خير عظيم للمحافظة ولمصرنا الحبيبة .

ثم سرنا حتى أصبحنا على بعد ٨٠ كم من مدينة طور سيناء إلى ناحية الجنوب ، حيث توجد محمية رأس محمد ، وتطرق بنا الحديث عن محمية رأس محمد وهي من المحميات الطبيعية ، رأت الحكومة في مصر أن تحافظ عليها كماضي ولذلك تركت على طبيعتها لا يتم فيها بناء ولا يرصف فيها طريق وعلى حيوناتها ، حيث فيها من الأرانب والثعالب ما يجري ، ويتر

أمام السياح والزائرين كذلك الصخرات الممتدة على ساحل خليج العقبة حتى رأس محمد في نهاية رأس المثلث المكون لشبه جزيرة سيناء ، وهذا الموقع الجميل والهواء النظيف والأشجار الغريبة التي تنبت في المياه المالحة ثم شجر المنجروف والذي يعتقد العلماء أن له فوائد طبية عظيمة .

وعلى بعد حوالي ٦٥ كم جنوبي مدينة طور سيناء وجدنا عن يسار الطريق كثبانًا من الرمل الأحمر ، وبعض التلال الصخرية الحمراء ، فقلت لمن معي : إنني قرأت في حديث ابن عباس الطويل عن الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ مر في طريقه وهو على البراق برأس محمد ، ومر بالكثيب الأحمر فقال : رأيت موسى بن عمران قائمًا يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر أو فوق قبره ، ومن المعروف أن موسى عليه السلام توفى في سنوات التيه ، ومن المحتمل أن يكون قبر سيدنا موسى عليه السلام قريبًا من هنا بجوار هذا الكثيب الأحمر ، ثم سرنا إلى رأس محمد على بعد ٨٠ كم جنوب مدينة طور سيناء حيث ينحرف الطريق إلى اليسار ، ليقطع رأس المثلث المكون لشبه جزيرة سيناء وبالعرض لمسافة حوالي ٢٠ كم ، حتى يصل إلى مدينة شرم الشيخ ، أما اتجاه الطريق إلى الجنوب ، فيدخل مع الزائرين إلى محمية رأس محمد حيث ينتهي باجتماع خليج السويس مع خليج العقبة بعد مسافة تزيد عن سبعة كيلو مترات ، وعند باب محمية رأس محمد نزل مندوب العلاقات العامة وأنهى إجراءات دخولنا المحمية حيث لا يسمح للسيارات بالدخول إلا لمسافة معينة ثم تتوقف ويكمل الزائرون بقية المسافة سيرًا على الأقدام ، إلا أنهم سمحوا لنا بالدخول حتى نهاية الطريق الترابي، الذي يمكن للسيارات أن تسير فيه وهو على ساحل خليج السويس، ثم ينحرف يسارًا قبل رأس محمد بحوالي ٢٠ كم تقريبًا فيصبح موازيًا لخليج العقبة ، وفي نقطة معينة تتوقف السيارات ثم نزلنا وسرنا بين الصخور مسافة

قصيرة ، حتى وجدنا أنفسنا بجوار خليج المنجروف وهي أرض قليلة منخفضة تنبع فيها مياه البحر ، وهي قريبة جداً من البحر وينبت فيها شجر يشبه الكازوارينا أو الطرفاء ، ينبت في لماء المالح يسمى شجر المنجروف وبعد عدة أمتار وجدنا أنفسنا على ساحل البحر الأحمر عند آخر نقطة من سيناء تجمع بين الخليجين وهي صخرة جميلة منبسطة جلسنا عليها ننظر في مياه البحر الأحمر وهي مياه زرقاء صافية نرى من خلالها الأسماك الملونة على اختلاف ألوانها وأنواعها وبعض الشعاب المرجانية وأخذنا في هذا المكان قسطاً من الراحة ، ومن كان عنده هواية أخذ يمارسها من شرب القهوة أو الشاي أو التدخين للمدخنين أو السير على شاطئ البحر الأحمر في هذه البقعة البديعة والتي ترى فيها الماء من حولك من كل ناحية وتشعر كأنك في سفينة عظيمة وسط البحر وترسل النظر في اتجاه الجنوب فلا ترى إلا الماء وفي الشرق والغرب ، فلا ترى إلا الماء والسفن القليلة التي تظهر في هذه المنطقة وكأنها طيور صغيرة على سطح الماء وتأخذك الروعة والإحساس بالجمال والجلال الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى وتشعر أنك غسلت عقلك من كل مشاغله وقلبك من كل متاعبه فتشعر بالهدوء والراحة والاطمئنان ومن حولنا مجموعات من السياح جاؤوا من كل بلاد الدنيا ليشاهدوا هذا الجلال وذلك الجمال .

ثم طلبت منهم بعد الاستراحة أن ينظروا إلى الصخرة العالية والتي هي عن اليسار إلى ناحية الشرق وهي التي يظللنا ظلها فقلت لهم : من يحب منكم أن يصعد فوق هذه الصخرة ؟ فقالوا : لماذا نصعد وهي صخرة عالية صعبة الارتقاء وتحتاج إلى مجهود كبير في الصعود ، فقلت لهم : إنها الصخرة التي التقى عليها موسى والخضر عليهما السلام حيث فقد موسى

حوته عندها فقالوا جميعًا : كلنا نحب أن نصعد معك ، فأخذتهم إلى ممرات بين الصخور وكنت قد جئتها مرات قبل ذلك فسرنا في تلك الممرات المتعرجة تارة إلى الشمال وتارة إلى الشرق حتى وصلنا إلى طريق منحدر يسمى مدق يسير فيه السياح على أقدامهم فأخذنا في صعوده حتى قاربنا على الصخرة وهنا بعض الأحجار مرصوصة بعضها فوق بعض في صورة سلم غير مثبت فصعد الشباب وأخذوا بيد الشيوخ حتى صرنا فوق الصخرة وهو مكان قد وضعت فيه هيئة السياحة منظارًا كبيرًا لينظر منه السائحون جميع نواحي البحر وإلى السفن العابرة والمنارة التي تنير في البحر ليلاً لهداية السفن وهذا المنظار يدور في جميع الأنحاء وعلى الصخرة مكان منبسط افترشنا فراشًا فوقه وجلسنا ننظر من حولنا لمياه خليج العقبة الزرقاء شديدة الزرقة ومياه خليج السويس التي تميل إلى الخضرة وذلك أن خليج العقبة أكثر عمقًا وأكثر شعابًا مرجانية وأسماكًا ملونة وأن موسى عليه السلام عندما فقد الحوت كان على هذه الصخرة وبجواره مياه خليج العقبة والحوت نزل في مياه خليج العقبة عند التقائها بالبحر الأحمر ، وجاء موعد صلاة الظهر فصلينا فوق الصخرة ونظرنا حولنا فرأينا جميع حدود محمية رأس محمد وهي عبارة عن مثلث صغير رأسه في البحر وقاعدته عند مدخل المحمية وبه بعض النباتات البرية النادرة والطيور الملونة النادرة ، وبه كذلك بعض الحيوانات الصغيرة مثل الثعالب والجرذان والأرانب ولقد شاهدنا ثعلبًا يجري بين السياح يأكل من بقايا طعامهم حيث لا يتعرض له أحد بالأذى .

وبعد الصلاة تحدثنا عن قصة سيدنا موسى والخضر ، وكان السؤال لماذا جاء موسى من وسط سيناء ، أو من جبل الطور عند وادي التيه حيث كان يلقي الوصايا العشر على بني إسرائيل ؟ بعد أن أهلك الله فرعون وجنوده بالغرق في خليج السويس وأنجى موسى ومن معه ففر إلى سرا بيت الخادم ثم

وإلى وادي التيه ، وبجبال كاترين ألقى موسى الوصايا العشر على بني إسرائيل ، وذكرهم بنعم الله عليهم ثم سأله أحدهم يا نبي الله هل يوجد من هو أعلم منك ؟ فقال موسى : لا ولم يقل إن شاء الله ، أو لم يستثن ، فجاءه جبريل وقال له : إن ربك يقول لك : أن بمجمع البحرين رجلاً هو أعلم منك ، فقال : كيف ألقاه ؟ فأمره جبريل أن يأخذ حوتً مملحًا في مكتل أو وعاء من الخوص ، وهو جريد النخل ، فإذا فقد الحوت فثَمَّ أي هناك يجد العبد الصالح ، لماذا كل هذا وتحدثنا عن السبب فقلت لهم : إن أرض سيناء على موعد مع العلم على مر الزمان فهي التي عبرت منها هجرات الأنبياء إلى مصر وأفريقية وهي التي شهدت أول من دون الكتابة ورحلة موسى عليه السلام كانت في طلب العلم ، بل في التخصيص في العلم ، وأن العلماء من المسلمين وغير المسلمين مطلوب منهم الحضور إلى هذه الأماكن للنظر والتدبر وطلب العلم واسترجاع الماضي المليء بالعلم ، ونحن ننتظر اليوم الذي تقام فيه جامعة رأس محمد لتعليم العلم لكل أبناء المسلمين وغيرهم أو جامعة الخضر عليه السلام ، وفي قصة موسى مع الخضر ما يأتي :

١ - مجمع البحرين :

هو هذا المكان وهو اجتماع البحرين خليج السويس وخليج العقبة عند رأس محمد رغم أن هناك من الآراء ما يبتعد عن هذا امكان وأقوال كثيرة للعلماء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ .

قال صاحب كتاب الدر المنثور : أخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ .

قال : بحر فارس والروم هما بحر المشرق والمغرب وأخرج ابن أبي حاتم

عن الربيع بن أنس مثله ، وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ . قال إفريقية .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ . قال : طنجة .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى في قوله : ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾

قال : الكر والرس حيث يصبان في البحر ، الجامع لأحكام القرآن .

وقال مجاهد قال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان ، فالركن الذي يلي لاجتماع البحرين مما يلي بحر الشام على هذا القول ، وقيل : هما بحر الأردن وبحر القلزم يعني رأس محمد وقال بعض أهل العلم ، هو بحر الأندلس من المحيط وقيل : مكان التقاسم وهذا مما يذكر كثيراً وقيل : بلاد البحرين أو شط العرب وقبل : بلاد الشام وقيل هما : البحر الأحمر والمتوسط عند البحيرات المرة وبحيرة التماسيح أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر وهو الأصح بل هو الأوثق لأن العلماء والمفسرين جاءوا باجتهادات شخصية ليس لها سند من التاريخ أو حديث رسول الله ﷺ، لكننا خلال هذه الرحلة سوف نتأكد من أن مجمع البحرين في قصة سيدنا موسى والخضر ، هو التقاء خليجي العقبة والسويس عند رأس محمد وهو مكان زيارتنا وقصتنا حيث إن موسى عليه السلام بنص الأحاديث المروية في أغلب كتب التفسير أن موسى عليه السلام كان يخطب بني إسرائيل في طور سيناء ، وهو الموافق للسفر يومًا أو بعض يوم إلى رأس محمد .

ثانيًا : إن سير قصة موسى والخضر تتحدث عن بلاد جاءت في هذه القصة منها أيلة وهي العقبة الآن ومنها الأيكة ، وهي أرض مدين لقوم

شعيب عليه السلام وهي مقابلة لشرم الشيخ في البر الشرقي لخليج العقبة، ومنها الأبلة وهي على شاطئ نهر العراق أو الخليج الفارسي ، وبذلك تكون منطقة سيناء والأردن وشمال السعودية وخليج العقبة كلها في مسرح قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام ، وسنعود للتأكيد على هذه الحقيقة خلال سير موسى عليه السلام في سيناء .

٢ - الرحلة في طلب العلم سنة الله في خلقه وهي أكثر ما اهتم به رسول الله ﷺ في قوله : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، وقوله : « **اطلبوا العلم ولو في الصين** » ونحن قد سمعنا عن كثير من الصحابة والتابعين يسافرون أيامًا في طلب حديث من أحاديث رسول الله ﷺ .

قال الإمام القرطبي في تفسيره : وفي هذا الباب من الفقه .

الرحلة في طلب العلم للمتعلم ورحلة العالم في طلب الازدياد من العلم. والاستعانة على ذلك بالخادم و لصاحب واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم وذلك كان دأب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح فرسخت لهم في العلوم أقدام وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام .

قال البخاري : ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنس في حديث أي في تصحيح حديث من أحاديث رسول الله ﷺ .

٣ - أنه لا ينبغي لأحد من الناس أن يدعي أنه أكثر الناس علمًا والله سبحانه وتعالى يقول في تفسير سورة يوسف : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

وقد ذكر المفسرون جميعًا : القرطبي وابن كثير وابن جرير الطبري

وغيرهم حديثًا صحيحًا عن أبي بن كعب رواه البخاري ومسلم قال : أن أبي ابن كعب رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **أن موسى عليه السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين وهو أعلم منك ، قال موسى : يا رب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتًا وتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم** » وذكر الحديث واللفظ للبخاري .

وقال ابن عباس : لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أمره ربه أن ذكرهم بأيام الله ، فخطب قومه فذكرهم ما أتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم ، واستخلفهم في الأرض ثم قال : وكلم الله نبيكم تكليما ، واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وأتاكم من كل ما سألتموه فجعلكم أفضل أهل الأرض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد أن كنتم جهالاً فقال له رجل من بني إسرائيل : عرفنا ما تقول ، فهل على وجه الأرض من هو أعلم منك يا نبي الله ؟ قال موسى : لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث جبريل أن يا موسى وما يدريك أين أضع علمي ؟ بل إن لي عبدًا بمجمع البحرين أعلم منك ، وذكر الحديث .

٤ - إذا علم العالم أن هناك من هو أكثر منه علمًا ، فليتواضع ولا يستكبر عن طلب العلم مهما كانت رتبته ، وإن موسى عليه السلام لما عرف أن بمجمع البحرين رجلاً أكثر علمًا منه ، جهز نفسه للرحلة وصحب معه فتاه يوشع بن نون وهو ابن أخيه وتلميذه وهو أول نبي بعد موسى وهارون إلى بني إسرائيل ولا بأس بالاستعانة بالخادم والرفيق والتلميذ في الرحلة

لطلب العلم ، وأن تحمل المشقة والسفر البعيد في طلب العلم أمر مطلوب ولذلك قال موسى لفتاه : ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ، وقد ذكر القرطبي في معنى : (حقبًا) بضم الحاء قال : هو الدهر ، والجمع أحقاب وقد تسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال : أكثر من ذلك، والجمع : حقاب والحقبة بكسر الحاء واحدة الحقب وهو لسنون ، ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام لم يستكبر أن يسافر في طلب العلم ، والازدياد من العلم، وأن يصبر على المشقة حتى ولو قضى في هذه الرحلة سنين عددًا.

٥ - لما فقد موسى الحوت عند الصخرة وسار راجعًا مع تلميذه لأنهم لم يجدوا الخضر في هذا المكان أرادا أن يبحثا عنه في مكان آخر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ .

قال المفسرون : لم يجد موسى النصب وهو شدة التعب إلا بعد أن جاوز المكان الذي أمره الله به ، وهنا قال له فتاه : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ،وهنا نسب الفتى النسيان إلى نفسه مع أن الله سبحانه نسب النسيان لهما معًا لأن الشريكين في السفر متضامنان ، فعندما نتصاحب في السفر فالجميع مسؤول وعلى الذاكر أن يذكر الناسي ، وإنما نسب الفتى النسيان إلى الشيطان من الأدب النبوي وخاصة في أعمال الطاعات فقد أمر رسول الله ﷺ من نسى آية من القرآن الا يقول نسيت ولكن : يقول أنسيت آية كذا ؟

٦ - في قوله : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ .

قال القرطبي : فيه مسألة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الأسفار فإن موسى عليه السلام قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله عليه وفي صحيح البخاري:

« أنا ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن

المتوكلون فإذا قدموا سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

٧ - في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ درس من الإعجاز الرباني الذي يجريه الله على يد الأنبياء ، فقد كان الحوت ميتًا ومملحًا كانا يأكلان منه في طريقهما ، إلا أنه أصابته رشة الماء من عين الحياة ، كما ذكر المفسرون ابن كثير والقرطبي والطبري: إن هناك عينًا تسمى عين الحياة أصاب ماءها الحوت فأحياه الله بعد موته فقفز إلى البحر على حاله وله عين واحدة ونصفه مأكول .

وقال بعضهم : أن الله أحياه ورده سليمًا وقفز في البحر فحبس الله عنه جرية الماء فشق ماء البحر ، وظهر الطريق يبسًا فتعجب موسى عليه السلام وتبع الحوت حتى أوصله إلى مكان الخضر ، وقيل : إن موسى لما رجع إلى مكان الحوت وجد الخضر مستلقيًا قد غطى رأس جسده برداء أخضر فكشف موسى عن وجهه وقال : السلام عليكم فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام أي : من أين يأتي السلام مع وجود البشر بطبائعهم وأطماعهم؟ يقول ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال : فرجعا يقصان آثارهما أي مكان سيرهما وأقدامهما في الصخر والرمل حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بقي مغطى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر : وأني بأرضك السلام ، قال أنا موسى ، قال الخضر موسى بني إسرائيل ؟ ، قال : نعم أتيتك لتعلمني من علم الله ما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى ، إني على علم

من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فقال موسى : ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فقال له الخضر : ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وهذه أخي القارئ الكريم من آداب امعلم والمتعلم بل من آداب الصحبة في السفر ، وقديمًا كانوا يقولون : شرط المرافقة الموافقة ، ولقد وضع الخضر عليه السلام الشروط والآداب التي يجب أن يعرفها المتعلم والصاحب في السفر ، وقبل موسى عليه السلام تلك الشروط .

٨ - ومن العلم المتوافر في هذه القصة : إن العلم العملي خير من العلم النظري ، وأن السفر والترحال من أفضل أساليب التعلم ، وقد نسب الأدباء والشعراء هذه الأبيات للإمام الشافعي رضي الله عنه ، إذ يقول :

سافر تجد عوضًا عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده
إن سار طاب وإن لم يسر لم يطب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه
والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرَّب هذا عزَّ مطلبه
وإن تغرَّبَ ذاك عزَّ كالذهب

وقد ذكرنا من قبل أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسافرون في طلب العلم شهورًا طويلة ، والقرآن الكريم أشار في ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴾[الأنعام:١١] فآيات الأمر بالسير في الأرض كثيرة في الكتاب الكريم، وقد استخرج بعض العلماء من هذه الآيات ما يسمى بقانون السير والنظر .

٩ - ومن العلم النافع في هذه القصة ما ذكره الله سبحانه خرق السفينة حيث قال سبحانه : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ .

قال ابن كثير في قصص الأنبياء ، وسار موسى مع الخضر على ساحل البحر الذي هو خليج العقبة على الأرجح في اتجاه مدينة شرم الشيخ حيث كانت مأهولة ، وبها ميناء ينقل الناس إلى البر الآخر عند السعودية ، وجدا معابر صغاراً تحمل أهل الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر ، فعرفوه أي : الخضر فقالوا : عبد الله الصالح قال : فقلنا لسعيد : هو خضر ، قال : نعم، لا نحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتداً من الخشب ، قال موسى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ .

قال مجاهد : منكراً ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ وفيها من الدروس أن الخسارة القليلة خير من الخسارة الكبيرة ولذلك فإن أهل السفينة التي كان بها يونس عليه السلام ألقوه في البحر لينجو بقية الركاب .

وإن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح : فإن خرق السفينة وإن كان فيه خسارة لأصحابها إلا أنه منع ضياعها في يد الملك الكافر الذي يأخذ كل سفينة صالحة غصبا .

١٠ - وفي هذه القصة كلها تقسيم للعلم إلى علم الظاهر وعلم الباطن،

أو علم الشريعة وعلم الحقيقة فإن الخضر قال لموسى : إني على علم من ربي علمنيه لا ينبغي لك أن تعلمه وأنت على علم من الله علمكه لا ينبغي لي أن أعلمه ، أدى ذلك التقسيم إلى وجود الخلاف بين المتصوفة وأهل السنة وآل الشريعة وأهل الحقيقة .

وكلهم في هذا المجال مخطئون في هـذا المجال ، فإن الله قد أعطى نبيه محمداً ﷺ علم الظاهر وعلم الباطن وكان يجلس مع أصحابه ويقول لهم : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » ، وذلك لعلمه بأحوال الآخرة وأهوال يوم القيامة ،وقد مر النبي ﷺ بقبرين فقال : «**يعذبان وما يعذبان في كثير ، أو في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله ، وأما الثاني فكان يمشي بين الناس بالنميمة ، ثم دعا بجريدتين خضراوين فغرسهما فوق القبرين ثم قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا** » .

١١ - من ذلك كان خرق السفينة وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، من العلم اللدني الذي كان الخضر يعلمه وموسى لا يعلمه ، حيث قال سبحانه :
﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾
قال يعلى بن منيه : قال سعيد بن جبير : وجد غلمانا يلعبون فأخذ كافراً ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وموسى يعترض ويقول : ما ذنب الغلام الذي لم يبلغ الحلم ، وموسى لا يعلم أن هذا الغلام سيرد أبويه إلى الكفر بعد أن كانا مسلمين ، والمسلم يجب ألا يعترض على قضاء الله سبحانه فقد يكون في ظاهره الخسارة أو الشر لكنه في الحقيقة خير كله ، فقد فرح والدا الغلام به حين ولد وحزنا عليه عندما مات ، ولكن كانت الخيرة فيما اختاره الله لهما حيث كانت المرأة حاملاً، فولدت غلامًا مسلمًا مؤمنًا قال بعض العلماء : بل ولدت بنتًا صالحة كانت أما لأحد الأنبياء .

والقصة تشير إلى ما يكنُّه الله في عالم الغيب لعباده الصالحين وعليهم أن يكونوا راضين بقضاء الله وقدره ، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

١٢ - أما الجدار الذي كان بقرية يقال لها : الأيكة عاصمة مدين ، أو الأيلة بالعراق حيث كانت رحلة موسى والخضر تجري شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام في المنطقة التي كانت بها حضارات عاد وثمود وطسم وجديس ومدين وفاران ، وغيرها من الحضارات وحيث قضى موسى عليه السلام العشر سنوات عند حمية في مدين ، لعله شعيب النبي أو يثرون كاهن مدين لرواية التوراة ، وتقول الآيات الكريمة : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

قال السهيلي : كان الولدان أصرم وصريمًا ابنى كاشح ، وكان الكنز ذهبا قال عكرمة ، وقيل : علما ، قاله ابن عباس ، والأشبه أنه كان لوحًا من الذهب مكتوبًا فيه علم ، وذكر ابن كثير حديثًا عن أبي ذر رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: « **إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من الذهب مصمت مكتوب فيه ، عجبت لم أيقن بالقدر كيف نصب ، وعجبت لمن ذكر النار لما ضحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ**» ، أما والد الغلامين فمذكور في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ، قيل كان الأب السابع وقيل : العاشر ، وهو على كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته والله المستعان ، وفي قوله تعالى : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، دليل على أن الخضر كان نبيًا لا يفعل شيئًا من تلقاء نفسه ، بل يفعل بأمر ربه ، قال ابن جرير والذي عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في

زمن أفريدون ، واستمر حيًا حتى أدركه موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى عليه السلام في زمن منوشهر أحد ملوك الفرس .

الخلاصة : أن أرض سيناء الحبيبة كانت في زمن سيدنا موسى عليه السلام من أكثر الأماكن عمرانًا ، وأن خليج العقبة كان حوله المدن الكثيرة وأن القصة التي حدثت مع موسى واخضر ، بدأت من طور سيناء إلى رأس محمد إلى ميناء شرم الشيخ إلى لساحل الشرقي لخليج العقبة حيث كانت الرحلة المباركة في صحبة موسى والخضر ، حيث كان الخضر يعلم موسى من علم الله اللدني ، والذي قال عنه رسول الله ﷺ : « **وودنا أن موسى صبر حتى يقص علينا خبرهما** » قال رسول الله ﷺ : « **كانت الأولى من موسى نسيانًا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من ماء هذا البحر** » .

أخي القارئ الكريم ، العلم ينزل من السماء على ألسنة الرسل والأنبياء ولا يخرج من رؤوس الناس ، فالله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا .

وفي قصة موسى والخضر تدبير ربّانيٌّ لتعليم الناس على مدى الزمان حقائق من حقائق العلم ، وهذا القرآن الكريم يذكر هذه القصص لزيادة التعليم لهذه الأمة ولتثبيت قلب النبي ﷺ : ولإلحقاق الحق وإبطال الباطل في قصص الأنبياء والأمم السابقة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ٧٦، ٧٧] .

* ومن هذا المنطلق تحدثنا عن قصة موسى والخضر في الموقع الذي حدثت

فيه لتربط الزمان بالمكان والحدث بالأرض ، وفي الأرض أماكن حرمها الله سبحانه وتعالى وأماكن قدسها الله سبحانه ، وأرض جنوب سيناء أرض مباركة وفيها مهد للحضارتين وللعلم وعلى الصخرة في رأس محمد والتقى موسى والخضر ، وأحيا الله الحوت ، وجرى في البحر ، وترك من خلفه الأسماك الملونة وفيها بدأت رحلة تعلم نبي من أنبياء الله وهو موسى عليه السلام الذي ذكر عنه أصحاب التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أي : رب أي عبادك أحب إليك؟، قال : « **الذي يذكرني ولا ينساني قال : أي عبادك أقضى ؟ ، قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ، قال : أي رب أي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال : أي رب هل في أرضك أحد أعلم مني ؟ قال : على الساحل عند الصخرة التي نقلت عندها الحوت** » ، وفي الحديث الشريف : « **منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال** » فالكبراء يطلبون العلم ، والعامة يطلبون المال .

إني أهيب بالمتصوفين وأهل السنة جميعًا وبعلماء المسلمين وكبرائهم أن يزوروا هذا المكان ، فلعل حديث المشاهد والمشاهدة يكون أبلغ من حديث القلم ، ولعل الأرض تنطق بما حدث عندها وما جرى فوقها وفوق ذلك فهو فسحة للنفس وراحة من المتاعب وغسل للذهن والتمتع بجميع ما خلق الله في الطبيعة أرض سيناء الجنوبية من جمال مشوب بالجلال والسكون والاطمئنان وذكر الله في هذا المكان ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

●● ●● ●●



وصف شرم الشيخ

وصف شرم الشيخ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، ثم أما بعد :

فقد سارت القافلة من رأس محمد بعد الظهر متجهة إلى مدينة شرم الشيخ على بعد حوالي ٢٠ كم من رأس محمد شرقًا حيث تكثر الصخور المتكسرة والمتقطعة والتي تمتد على ساحل خليج العقبة حتى مدينة شرم الشيخ وحيث قابلنا خليج الميناء وهو مضيق صخري مشرف على البحر يكون بحيرة صغيرة تجاه الساحل ملتصقة بالبر ، وتتكرر هذه المضايق والبحيرات الصغيرة التي يسميها أهل سيناء شرمًا ، فهناك شرم الميناء وبه ميناء شرم الشيخ وهو أول ما يقابل القادم من طور سيناء وفيه بحيرة متسعة عن غيرها وترسو به القوارب الصغيرة والكبيرة وبه بعض المباني الإدارية ومعسكر الشرطة ومسجد، ثم يدور الطريق إلى اليسار حول بناية مرتفعة من اليمين واليسار ثم يظهر خليج الميه أو شرم الميه وعلى شاطئه الغربي نادي الرياضات البحرية وحوله بعض المباني والمتاجر ، وفيه ترسو القوارب المعدة للسير في خليج العقبة وتحيط بالبحيرة هضاب مرتفعة تنتهي بفتحة متسعة من ناحية الخليج ثم تليها بحيرة صغيرة على شاطئها الجنوبي تقع هضبة شرم الشيخ وفي شاطئ هذه البحيرة الصغيرة مقام لشيخ من العرب سميت هذه البحيرة الصغيرة بشرم الشيخ نسبة إلى وجود المقام والضريح بأسفلها .

هذا والقارئ المطلع على تاريخ سيناء يرى أنها كانت في أيام موسى عليه

السلام زاخرة بالعمران والمدنية وكانت تجري بها الأنهار والينابيع هذا وقد ذكر نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها في ص ٣٢ ما نصه : « وأما رأس محمد فهو تل صغير في رأس مثلث سيناء ارتفاعه نحو ١٢٠ مترًا وعلى نحو ٢٠ ميلاً منه شمالاً رأس النصراني ، وأشهر موانئ هذا الخليج على شاطئ سيناء ميناء شرم الشيخ بين رأس محمد ورأس النصراني على نحو ثمانية أميال من الأول واثني عشر ميلاً من الثاني وفي هذا الميناء قبر شيخ يزار يعرف بهذا الاسم » انتهى كلام نعوم شقير .

ثم سرنا قليلاً وصعدنا الهضبة وعليها مبان إدارية وبعض ما خلفه الاحتلال الإسرائيلي من مبانٍ وبها بعض المساكن الجديدة وهي تطل على الخليج بانحدار فجائي ويمكنك أن ترى جزيرة تيران وصنافير والشاطئ الشرقي في المملكة العربية السعودية من فوق هضبة شرم الشيخ ، وزرنا المسجد وكان في ذلك الوقت مبنى صغيراً من الخشب ثم تطور حتى أصبح بناءً عظيمًا الآن وصلينا به صلاة العصر وجلسنا إلى بعض الشباب من الموظفين المدنيين ومن العاملين بشركة كيروسرفيس وقام أحد كبار العلماء فألقى درسًا قصيراً وصحبنا بعض الشباب من مجلس المدينة ومن العاملين ثم أنجزنا مهمتنا في تخصيص الأرض للمعهد الديني بمكان قبيلة الرويسات بجوار مستشفى شرم الشيخ الدولي ، ثم ساروا معنا عدة كيلو مترات حتى وصلنا إلى خليج نعمة ، وهو أحد البحيرات الموجودة بشرم الشيخ وأكبرها وله شاطئ رملي جميل وحوله أقيمت بعض القرى السياحية وعلى شاطئه يقوم مبنى فندق مارينا وهو تقريبًا أول فندق أقيم بمدينة شرم الشيخ ، ثم نزلنا على سقالة ممتدة بخليج نعمة حتى وصلنا إلى المركب الزجاجي أو الجلاس بوت وركبنا فيه وهو عبارة عن زورق متوسط الحجم أسفله من الزجاج وعلى جانبيه تمتد أريكة من الخشب مستطيلة بطول القارب يجلس الركاب في

الناحيتين ويتسع لحوالي ثلاثين راكبًا وفي وسطه حاجز من الخشب أو الحديد مرتفع بصورة مستطيل يتكئ الجالس عليه وينظر في وسطه إلى أسفل القارب فيرى الأسماك الملونة والشعب المرجانية ، وقد سار بنا هذا القارب أو اللنش الزجاجي ساعة في خليج العقبة قريبًا من الشاطئ حيث شاهدنا الجمال والجلال من خلق الله سبحانه في حديقة غناء من الشعب المرجانية والأسماك الملونة وصفاء الماء وشدة زرقته في خليج العقبة والنابعة من عمق الخليج وبعد أرضه وكان الجو جميلاً والهواء عليلاً والسماء صافية والسكون يسبح بحمد الخالق المبدع ويقول ما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وتعجب الحاضرون من هذه الكنوز الجميلة وتلك الصناعة البديعة وذلك الجمال الأخاذ الذي يذهب بالألباب ومرت ساعة زمنية بسرعة فما أفقنا إلا على طلب قائد الزورق وهو يقول ، لقد انتهت الدورة أيها السادة وهذه هي السقالة فانزلوا في أمان الله ونزلنا وما كنا لنا أن نترك تلك المشاهد الجميلة والجليلة ولكن النهار قد انتهى فعدنا لنبيت بفندق مارينا ولذي تكرمت المحافظة فأنزلتنا فيه هذه الليلة ، وبعد صلاة المغرب والعشاء بأحد المساجد رجعنا إلى الفندق لتناول طعام العشاء ثم انصرفنا إلى أماكن الراحة كل في مكانه المخصص له بإحدى شرف الفندق ، جمعنا أكبر العلماء وجلس معنا يحدثنا حديثًا عن رحلة اليوم ، فقال :

يا أبنائي وأخوتي ، إن الله سبحانه خلق آدم وذريته لعمارة الأرض ، وخير ما خلق الله خلق العقل ووضعه عن يمين العرش ، وقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أكرم علي منك ، بذكر الحديث .

ولذلك كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات ، بل إنه خلق جميع المخلوقات ، فقال سبحانه في سورة البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ثـم أمـر آدم وذريته أن يعملوا في عـمارة الأرض واستخراج علوم الله سبحانـه التي فيها، لأن الجنَّ عجزت عن ذلك ، والمخلوقت التي عـاشت على الأرض جميعها عجزت عن ذلك .

والله سبحانه وجه العقل البشري ليعمل في الأرض في الطبيعة والكيمياء وكل مخلوق خلقه الله له وظيفة ورسالة ومهمة خلق من أجلها فإن عمل في الميدان الذي خلقه الله له أنتج عطاء ورقيًـا وتقدمًا وأدى رسالته التي خلق من أجلها وإذ عمل في ميدان آخر غير ما خلق له عاد إلى الفساد والإفساد ، وها نحن اليوم نقيم في هـذا الفندق وننعم بثمار إنتاج العقل البـشري عندما كان يعمل في الأرض فأجهزة الكهرباء ومنها التلفزيون والتكييف والمراوح وغيرها والتطور العلمي هذا كله يعمل لراحة الإنسان ورفاهيته وهي من أسرار الكون التي خلـقها الله فيـه فالإنسان لم يـأت بالبترول والـكهرباء والفحـم والحديد والنحاس وسائر المواد الأولية والمواد المنتجة للطاقة من عند نفسه ولكنه وجدها في الكون « أي فـي الأرض » وجاهد حتى اكـتشفـها بفضـل وعلم من الله سبحانه فهـو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وليـست الهداية قاصرة على ترك المـنكرات وفعل المـأمورات ، ولكن من يـوفقه الله إلى اخـتراع أو اكتشاف علمي يخدم البشرية في أي ناحية من نواحي الحياة فقد هداه الله .

وقـال لنا الشـيخ الفـاضل : إن مـشكلة الـعقل الـبشـري أن يتصـدى لموضوعات ليست من اختصاصه ولا من مسؤولياته ، فقد يغتر العقل البشري بالعلم وينسى خالـق العلم ومعلمه ، وقد يغتر بالأسبـاب ، فيكون الاختلال النفسي ، وقـد يعمل العقل الـبشري فيمـا وراء الطبيعة وهنـا لابد من الزلل ولابد من الوقوع في الخطأ .

وقال لنا الشيخ : إن هذه المدينة فيهـا من الهدوء والجمال ما يريح النفس ويشرح الخاطر ويذهب بالهم ويذكر بقدرة الله وعظمته .

وأن بها أيضًا تجربـة فريدة في الميدان الاجتماعي فقـد جمعت بين طرفين شدة البداوة ، وقمة الحضارة وقمة الجمال .

ففي الأوديـة بين الجبال حيـث تعيش كثـير من الأسر البـدوية في هدوء واطمئنان وراحـة نفسية علمًـا بأن أسباب الحياة لديـهم بسيطة وحياتـهم كلها قائمة على الـبساطة ولكنهم ورثوا نظامًا حـياتيًا تربوا عليه لا يفـضلون عليه غيره فهم يسكـنون مساكن بسيطة أو بعض الخيام ، وهم يـأكلون أكلاً بسيطًا ولكنه منظم في مواعيد منتظمة وينامون في مواعيد منظمه يؤدون الصلاة على وقتها ويشتـغلون رجالاً ونساء بأعمال قد اعتادوها وهـم لا يطلبون من الدنيا أكثر مـن ذلك ، بينما تكمـن الحضارة على شـاطئ الخليج وعلى بعـد كيلو مترات من البداوة حيث الآمال متسعـة والتطلعات لا نهاية لها ومن عنده مال يحتاج إلى أضعافه وبيت أهل الحضارة في شغل شاغل ، فإن لم يكن عندهم شغل اخترعوا لأنفسهم ما يشغلهم .

ويجوار هؤلاء وهؤلاء يكمن البحر خليج العقبة بأسماكه الملونة وأسماكه المتوحشة ، وبشعـابه المرجانية وبعمقه الشديد الـذي يدعو إلى التأمل في هذا الخلق وجماله وجلاله المـنبعث من جلال الخالق وجماله فهل يسـتيقظ العقل البشري ويذكر أن هذا كله من فـضل الله ، ويعلم قوله تعالى : ﴿ **وما بـكم من نعـمة فـمن الله** ﴾ إننا ندعو العلماء والمفـكرين لزيارة هذه المدينة والنظر والتدبّر والـتأمل والاستمـتاع بجمال الخلق وجـلاله النابع من جمـال الخالق وجلاله .

وسارت بنا السيارة في الصباح بعد تناول الإفطار في فندق مارينا فدارت

حول خليج نعمة ثم اتجهنا إلى الجنوب لمدة سبعة كيلو مترات في اتجاه مطار شرم الشيخ في رأس النصراني ، وعن يمين الطريق هضبة قليلة الارتفاع تطل على خليج العقبة بانحدار فجائي وهي بيننا وبين الخليج ولكنا نستطيع رؤية مياه الخليج وعلى هذه الهضبة وعلى جانبي الطريق قامت القرى السياحية الحديثة والتي كان أغلبها ذلك الوقت في دور الإنشاء وأصبحت الآن تكون مجتمعًا عمرانيًا كاملاً تتوافر فيه كل مقومات الحضارة الحديثة .

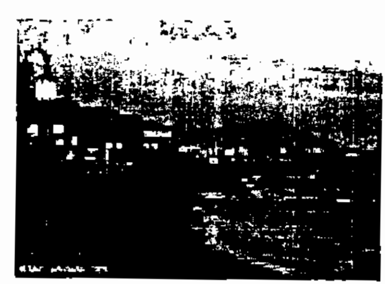
●● ●● ●●



وصف مدينة دهب

وصف مدينة دهب

وبعد مطار شرم الشيخ انحرف الطريق يساراً ليسلك واديًا متسعًا بين الجبال من الشرق إلى الغرب مسافة حوالي خمسة كيلو مترات ، وعلى يسار الطريق قامت بعض المباني المتفرقة التابعة للمحافظة أو لشركات التعدين وهناك بعض الكسارات التي تنتج أنواع الحصوة المطلوبة لصناعة البلاط ولكثير من الصناعات ولأعمال المعمار وهناك أيضًا بعض الهضاب الجيرية التي تنتج الجبس الزراعي وتنشر بعد كل مسافة مساكن البدو من أهالي المنطقة وهي بعيدة عن الطريق وملتصقة بالجبل الجنوبي ومطلة على بعض مجاري المياه التي تمر بها عند هطول الأمطار وعلى جانبي الطريق تنبت بعض الأعشاب التي ترعاها الأغنام والماعز وكلها نباتات طبيعية مثل الحنظل والمريرة والشيح والقيصون وغيرها كما كنا نرى بعض الحيوانات البرية تمر بسرعة أمام السيارة مثل الثعلب والضبع أحيانًا ، ثم دار بنا الطريق مرة ثانية إلى



اليمين ليكون سيرنا بين الجبلين الشرقي والغربي واتجاهنا من الجنوب إلى الشمال في طريق شرم الشيخ دهب وعند انحناء الطريق وجدنا ما يشبه الكوخ مبني من الأحجار وأمامه أعمدة من الخشب قد شُدَّ عليها سقف من الصاج أو الخشب وقالوا هذا وادي كيد أو الكيد وهذه قهوة الشيخ محنا وهو شيخ القبيلة القاطنة بوادي الكيد وقد أقام هذه القهوة ليستريح بها المسافرون وهو رجل كريم يقدم القهوة والشاي والماء ولا يطلب ثمنًا فمن أعطاه أخذ منه ومن لم يعطه لم يطالبه ، والسياح قد تعودوا عليه يجلسون عنده ويتناولون

القهوة والشاي ويداعبون حيواناته الأليفة الماعز والخراف وبعض الكلاب المعدة للحراسة وبعض الدجاج يمشي ويتجـول حول المكان ، فهو بيت الشيخ وبيت نسائه وأولاده .

وبعد تناول الشاي عند الـشيخ وحفائه وترحيبه بنا سلمنا عـليه واستأنفنا سيرنا فـي اتجاه مدينة دهب نسـير بين جبلين عظيـمين يزداد ارتفاعهمـا كلما اتجهنا شمالاً والوادي الذي به الطريق لا يزيد عـرضه عن مائة متر وقد يضيق إلى خمسين متراً في بعض المواقع وهناك بجوار الطريق آثار مجرى سيل الذي يسير يمين الطريق تـارة ويساره تارة أخرى ، وقد يرتفع الطريق أحيـانًا ليصعد مرتفعًا عـاليًا أو يهبط منحدراً أو يعبـر مكانًا قد قامت المحافظة بنـسفه وفتح الطريـق أو توسعتـه وعلى جانـبي الطريق تـرى الأعمال المعـدة للصيـانة أو التجـديد المستمـر في الطريق كمـا ترى بعض الأعشاب الـطبية ومنهـا نبات الحنظل .

وأهم مـا يميز طريـق شرم الشيـخ دهب اللون الأزرق الذي يمـيز جمـيع الصخور والجـبال المحيطة بالطـريق والظل الدائم في أغلب الطـريق وقد تجد بعض الصخور الحمراء أو السوداء ولكن الـغالب هو اللون الأزرق كما تشعر وأنت تسـير بـهذا الطـريق أنك تسـير فـي شارع في مـدينة مـن المدن ذات العمـارات المرتفعة والمتـشابهة في الـلون والارتفاع المتصـل بعضها بـبعض ، ونادراً ما ترى بعض الكثبان الرملية أو الفـتحات في الجبل خاصة من الناحية الغربـية داخل سيناء حـيث تتفتـح بعض رؤوس الوديان التي تأتـي بالماء من الجبال من المطر ، وسعدنا بحوالي ساعتين في هذا الطريق من الهدوء والراحة والروعة والجمـال والجلال والمناظر الساحـرة التي تريح العين وتسـحر القلب وتحرك العقل للنظر والتدبر والتأمل وتلهم الكتاب والشعراء والأدباء أن يقولوا ما يشعرون به وأن يكتبوا أن الله الخـالق المبدع الذي يعطي كل شيء خلقه هو خالق هذا الجمال وسخره لنا متعة لأعيننا وراحة لقلوبنا .

وبعد مائة كيلو متر من مدينة شرم الشيخ اتجه بنا الطريق يمينًا لنقطع الجبل الشرقي بالعرض لمسافة خمسة كيلو مترات وعند دوران الطريق توجد نقطة الشرطة تجاه مدخل مدينة دهب وهم رجال يؤدون واجبهم ويسهرون لحماية ومساعدة المسافرين على الطريق ولتحقيق الأمن والأمان لهم .

ووصلنا إلى مدينة دهب وهي شاطئ يمتد على ساحل الخليج حوالي عشرة كيلو مترات تؤدي إليه الطريق بعد نقطة المرور متجهة من الغرب إلى الشرق تقطع الجبل الشرقي لمسافة حوالي ٢ كيلو متر والباقي هو ثلاثة كيلو مترات تكون سهل دهب الساحلي الواقع على خليج العقبة وبه ميناء دهب .

ومدينة دهب التي بها مجلس المدينة وبعض الأبنية الجديدة والأبنية التي خلفها الإسرائيليون خلفهم واستولت عليها محافظة جنوب سيناء واستخدمتها كمبان إدارية وتقع المدينة في اتجاه الطريق على يمين الزائر حيث تدخل السيارات وحيث يتواجد قسم الشرطة ومجلس المدينة والمصالح الإدارية والتي تطورت الآن وأصبح فيها مساكن كثيرة أنشأتها المحافظة للقادمين من الوادي والعمال والموظفين ورجال الأعمال ، وتقع هذه المدينة على تل مرتفع عن سطح البحر حوالي ٥٠ مترًا تقريبًا ومن ينزل إلى الشاطئ يرى شاطئ دهب الرملي الجميل الذي تلمع رماله مع شروق الشمس ذرات صغيرة صفراء تشبه ذرات الذهب وبشاطئ مدينة دهب وبعد أن زرنا مجلس المدينة وصحبنا مندوب مجلس المدينة في جولة على الشاطئ وحيث سرنا فوق البحيرات الصغيرة المصنوعة على شاطئ دهب من قديم لصيد الأسماك وهي عبارة عن لسان صغير يبدأ من الشاطئ ويدور في شكل نصف قوس حول نفسه ليشكل بحيرة مستديرة عرضها حوالي عشرة أمتار وطولها حوالي ٥٠٠ متر ولها فتحة عرضها خمسة أمتار وهي متكررة على شاطئ مدينة دهب وكانت

تستخدم في قديم الـزمان لصيد الحيتان حتى قيل: إن التـلال التي يقع عليها مدينة دهـب تحتها القريـة التي كانت حاضرة الـبحر فلو تم التنقـيب في هذه التلال لـظهر من تحـتها آثار المـدينة التي أنزل الله بـها العذ ب ، قـال الإمام القرطبي في تفسيـر سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال : أي واسأل الـيهود الذين هم جيـرانك عن أخبار أسلافـهم وما مسخ الله من قـردة وخنازير هذا سؤال تقرير وتوبيخ وكان ذلك علامـة لصدق النبي ﷺ ، إذ أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم ، وكانـوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه لأنا من سبط خليله إبـراهيم ومن سبط إسرائيل وهو بكر الله ومـن سبط موسى وهو كليم الله ومن سبط ولده عزيز فنحن من أولادهم ، فقال الله عز وجل لنبيه: سلهم يا مـحمد عن القرية ، أمـا عذَّبتهم بذنوبـهم ؟ وذلك بتغييـر فرع من فروع الشريعة ، واختلف في تعيين هذه القرية .

فقال ابن عباس وعكرمة والسـدى : هي أيلة، وعن ابن عباس أيضًا إنها مدين بين أيلـة والطور ، وهذا هو مكان مدينة دهـب : وقال الزهري : هي طبرية وقـال قتادة وزيد بن أسلم : هـي ساحل من سواحل الشـام بين مدين وعيون يقال لها : معناه ، وكان اليهود يكتمون هذه القصة لما فيها من الشبه، بهذا انتهى القرطبي .

ومعنى ذلك أن مكان دهـب ضمن الأماكن التي جاء ذكرها في التـفسير على أنها القرية التي كانت حاضـرة البحر وحيث قال إن أهل هذه القرية من بني إسرائيل كانوا يصطادون في أيام الأسـبوع عدا يوم السبت وقد حرم الله عليهم الصيد فيه فصنعوا الحيـاض فكانت الحيتان تأتي في يوم السبت فتكون

في الأحواض تنحبس إلى يوم الأحد ثم يصيدونها يوم الأحد وذلك بالتحايل على الشريعة وأن فريقًا منهم امتنع عن الصيد وفريقًا وقف ساكتًا وآخر كان يعظ الذين اعتدوا في السبت وفي هذه القصة إشارة إلى أن الرزق الحلال يأتي بمشقة والحرام يأتي بسهولة ويسر كذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال القرطبي وروى في قصة هذه الآية أنها كانت في زمن داود عليه السلام وأن إبليس أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أخذها في يوم السبت فاتخذوا الحياض ، فكانوا يسوقون الحيتان لها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الأحد .

وهذه الحياض هي الألسنة الموجودة على شاطئ دهب وهي أحق الأماكن وصفًا بما جاء في القرآن الكريم ، فإن جميع هذه الافتراضات تقول إن هذه القرية كانت على شاطئ خليج العقبة .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، يقول تعالى: ولقد علمتم يا معشر يهود ما حل بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيها هذه أخذ عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعًا لهم فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل والبرك «الدوائر التي على الشاطئ قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبال والحبل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوه بعد انقضاء السبت فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة قردة وهي أشبه شيء بالأناس في الشكل والظاهر وليست بإنسان حقيقة فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحقيقة في الظاهر ومخالفة

له في الباطن كان جزاؤهم من جنس العمل ، ثم قال ابن كثير بعد ذلك ، وقال السدى : أهل هذه القرية هم أهل أيلة وهي العقبة وهى على شاطئ بحر القلزم وهو البحر الأحمر وخليج العقبة ، قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [الأعراف:١٦٣] ، قال : هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور .

ولا يوجد بين مدين والطور ما تنطبق عليه أوصاف هذه القصة سوى مدينة دهب بشواطئها وما عليها من لبحيرات الملتصقة بالشاطئ والمفتوحة من جانبها الأيمن في البحر بفتحه يدخل منها الحيتان يوم السبت ثم تسد بالشباك إلى يوم الأحد فيقومون بصيدها عدوانًا واحتيالاً على أوامر الله ومخالفة لشريعته فمسخهم الله قردة وخنازير ، قال ابن كثير : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن الشيخة صاروا خنازير ، وقل شيبان النحوي عن قتادة ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ فصار القوم قردة تعاوي لها أذناب بعد ما كانوا رجالاً ونساء وقال عطاء الخراساني نودوا يا أهل القرية ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ فجعل الذين نهوهم وهم الذين امتنعوا عن الصيد في السبت والتحايل عليه وقاموا بوعظهم وتذكيرهم بأمر الله سبحانه فلم يستمعوا فكان جزاؤهم المسخ قردة وخنازير .

قال ابن كثير : فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم ويقولون يا فلان ألم ننهكم ؟ فيقولون برؤوسهم . أي: بلى وقال ابن أبي حتم : حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمعيصة حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : إنما كان

الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة ثم أهلكوا ما كان للمسخ من نسل .

وقال الضحاك عن ابن عباس : فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول وإذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام قال : ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل : أي ينجب ، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام التي ذكرها في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ويحوله كما يشاء ، وفي ذلك أبلغ رد على أصحاب نظرية التطور وأن الإنسان تطور من قرد ، ولعل الذي قال ذلك كأنما يريد أن يقول إن قومه ليسوا وحدهم مسخوا قردة فإن أصل البشرية كانت قردة ، وذلك كذب على الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

والذي يحدونا إلى القول بأن مكان هذه القرية شاطئ دهب هى هذه البحيرات الملتوية المتراصة بعضها بجوار بعض ينطق لسان حالها بأن هذا المكان كانت له قصة والمصدر الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو القرآن الكريم الذي قال الله فيه في سورة النحل : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، كما أن جميع الآراء الواردة في تفسير القرطبي وتفسير ابن كثير وسائر التفاسير قد اجمعت على أن القرية التي كانت حاضرة البحر بين مدين والطور على شاطئ بحر القلزم وأنها كانت في زمن سيدنا داود عليه السلام والله أعلم .

نعود إلى مسيرة الرحلة وبعد أن سرنا قليلاً على شاطئ مدينة دهب صحبنا مندوب مجلس المدينة إلى مكان مخصص لبناء المعاهد الأزهرية الدينية بقرية المسبط وهناك المسجد صغير دخلنا فصلينا فيه الظهر ثم تسلمت اللجنة الأرض المخصصة لبناء المعهد الديني ثم سألنا مندوب المجلس جنوبي مدينة

دهب بحوالي خمسة كم تفصلها عن المدينة الأولى وهي القريبة من المدينة تسمى المسبط وبعدها بقليل قرية العصلة أو العسلة وبهما مساكن للبدو وهم قبائل العرب الساكنة بدهب وإذ نظرنا ناحية الشرق على بعد من خمسة إلى ثلاثين كم رأينا جبل دهب منتصبًا كالطور الشامخ وتتخلله فتحة عرضها حوالي مائة متر يجري بها الطريق الذي يدخل مدينة دهب والذي جاءت منه السيارة ، وهو في نفس الوقت مجرى لسيل وادي النصب الشرقية ، يقول نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها وهو يذكر الأودية الموجودة بسيناء ص ٧٦ ، «ووادي النصب الشرقية» ينشأ من الشرق ويخترق البلاد متعرجًا فيها مسافة ٤٨ ميلاً إلى أن يصب في الخليج عند ميناء دهب : وفيه عين غزيرة ونخيل ويعرف عند رأسه بوادي الرحبة الواقع في طريق الدير من واد إسلا ولواد النصب فروع شتى أشهرها وأعظمها وادي سعال ووادي العين ، انتهى كلام نعوم شقير .

وفي قرية المسبط شاطئ جميل وعدد كثير من الأشجار والنخيل وبها بعض المزارع لأهالي القرية والمراعي لإبلهم وأغنامهم ، هذا وقد امتد العمران السياحي والسكني إلى قريتي المسبط والعصلة بل إن الشاطئ من مدينة دهب وحتى المسبط أصبح زاخرًا بالمباني والقرى السياحية والفنادق والمدارس ، ونشطت بها الحركة التجارية والمعماريه مما جلب كثيرًا من العمال والتجار والموظفين وخلق كثير من فرص العمل لقطاعات كثيرة من العمالة المصرية ، ولمدينة دهب سحرها الخاص الأخاذ حيث يرتبط بها من يذهب إليها لزيارتها أو للسياحة أو للعمل ، وبعض الموظفين قد ابتنوا لأنفسهم بيوتًا واستقروا بها بل إن أي موظف يعمل بها في أي مصلحة حكومية إذا دعوته لينتقل حتى إلى القاهرة أو أي مدينة من مدن لأقاليم فإنه يرفض النقل ويفضل العيش

هناك .

ومن الغرائب التي حدثت هذا العام خروج حوت متوسط الحجم إلى الخليج إلى شاطئ دهب حيث ضاقت البحيرة التي دخلها عليه فلم يقدر على الرجوع وظل أيامًا حتى استطاع موظفو المحافظة بالتعاون مع شرطة المسطحات المائية والجهات المختصة أن تعيده إلى الخليج مرة أخرى ، إن هناك من المعاني ما لا يستطيع القلم ولا اللسان أن يعبر عنه فهو إحساس يحبس في الصدر لا تجد الألفاظ الدالة عليه ومنطقة خليج العقبة بها هذه الأسرار التي تحتوي على الجلال والجمال والراحة النفسية والتذكير بعظمة الخالق سبحانه.

وبعد صلاة العصر سارت بنا السيارة مودعين مدينة دهب آسفين على تركها وكنا نود أن نبيت بها لنرى شروق الشمس في الصباح على شواطئها ولكن الوقت حاكم علينا وتوجهنا إلى مدينة النويبع أو قلعة النويبع كما يسميها نعوم شقير في كتابه .

●● ●● ●●



وصف مدينة نويبع وطابا

وصف مدينة نويبع وطابا

رجعنا وأتينا من مدينة دهب متجهين شرقًا حتى نقطة المرور التي مررنا بها عند الدخول لمدينة دهب ثم اتجهنا إلى اليمين حيث التحقنا بالطريق الرئيسي وهو طريق شرم الشيخ دهب نويبع بطول ١٦٨ كم والمسافة بين دهب ونويبع ٦٨ كم تقريبًا وهو امتداد طريق شرم الشيخ دهب حيث الجبال الزرقاء والحمراء والسمراء عن اليمين واليسار والطريق يصعد أحيانًا في مرتفع ويهبط أحيانًا وعلى جانبي الطريق مجاري السيول وبعض الأغنام والماعز أو تقابلنا سيارة قادمة من النويبع وحيث كانت حركة السير على هذا الطريق قليلة في سنة ١٩٩٠م ، وعلى بعد ٣٥كم من دهب يتفرع طريق منحدر من الشرق إلى الغرب يقطع سيناء بالعرض وهو طريق كاترين حيث يمر بمدينة كاترين ثم يصل إلى خليج السويس عند مفارق وادي فيران جنوب مدينة طور سيناء بحوالى ٦٠ كم وعند مفارق طريق كاترين دهب وجدنا



نقطة للشرطة لرجال المرور وهم في هذا المكان كالفاكهة النادرة ويعيشون بهذا المكان ويسهرون في خدمة المسافرين على الطريق بل ويساعدونهم عند تعطيل إحدى السيارات أو تحدث أي حادثة كذلك هم يحرسون الطريق من قطاع الطرق ومن المخلين بالأمن ، وعند مرورنا بهم سلمنا عليهم ووجهنا لهم التحية على ما يقومون به من عمل لخدمة مصرنا الحبيبة .

وبعد أن جاوزنا نقطة مرور مفارق كاترين أخذ الطريق يرتفع أكثر ويدور

أحيانًا حول قمة جبلية شامخة عن يسار السيارة وعن اليمين واد منخفض بمساواة سطح البحر يسمى بئر الصغير أو وادي الصغير وبه تسكن بعض العائلات من البدو على شاطئ الخليج يزرعون بعض الزراعات ويصيدون الأسماك والحيوانات البرية ، ثم ارتفع بنا الطريق إلى سطح أوسع وأرض منبسطة يكثر بها نبات الحنظل والأعشاب الطبية فوقفنا ونزلنا للنظر وليجمع كل منا ما يريد من هذه الأعشاب فوجدنا الأرض لونها أحمر فاتح مختلط باللون الرمادي فإذا هي نبتة من الطمي الخصيب الذي كان يأتي مع النيل في أيام الفيضان فقلنا : ما أخصب هذه الأرض وأوسعها لو وجدت من يزرعها ووجدت الماء لأتت أكلها وكانت طيبات زاهرات .

وسارت بنا السيارة في اتجاه لشمال إلى نويبع وقد بقي من الطريق عشرون كم وقد اتسع الوادي قليلاً وظهر منخفضًا عن اليمين تجاه خليج السويس وبعض مساكن للبدو في هذه المنطقة ثم بدا الطريق يضيق قد أصبحنا في أعلى قمم هذا الجبل إن الارتفاع عن سطح البحر لكبير وقد أصح الجبل كله كتلة واحدة أمام السيارة إن م بقي من الطريق منحوتًا في الجبل بفعل الديناميت في أغلب مراحله والمرحلة المتبقية حوالي خمسة عشر كم وقد بدا الطريق في الانحدار ناحية اشمال لقد بدأنا رحلة النزول إن هذا المنحدر المليء بالعلامات التحذيرية والإشارات المرورية تقول : إن على قائد السيارة أن يكون حذرًا وأن يراعي تعليمات المرور فنحن في طريق النزول الذي يمتد اثنى عشر كم وكلما نزلنا ارتفع الجبل من حولنا من اليمين واليسار إن على قائد السيارة أن يسير ببطء ، وحذره أن يمسك فرامل وأن يراعى التعليمات التى انتشرت في نوحت إرشادية وإشارات مرورية ، إنك تشعر وأنت راكب في السيارة في هذه المنطقة أنك في طائرة في حالة هبوط ، لقد

رفع الجميع أكفهم بالضراعة إلى الله أن يسترها ويحفظ السيارة وراكبيها من هذا المنحدر وأن ينزلنا بسلام : ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ والحمد لله فقد وصلنا إلى أسفل الطريق وظهر لنا البحر والوادي المتسع وظهرت نويبع بحوالي ٢٠ كم على شاطئ الخليج إنها كلها ظاهرة أمامنا فنحن ما زلنا مرتفعين كثيراً عن سطح البحر وقد دار الطريق يساراً وأصبح البحر عن اليمين ولكن يبدو بيننا وبين البحر ما لا يقل عن ثلاثة كيلو مترات وهذا طريق عن اليمين يؤدي بنا إلى ميناء نويبع ولكننا تركنا هذا الطريق وسرنا حوالي ١٠ كم حتى وصلنا إلى مدينة نويبع وبها مجلس المدينة والشرطة ومساكن العمال والموظفين بعضها أقامته المحافظة وبعضها ما خلفه الإسرائيليون بعد خروجهم ، وهذه المساكن بسيطة أغلبها مكون من طابق واحد وبعضها يتكون من طابقين أو ثلاثة وهناك بجوار المدينة بوابة القرية السياحية على شاطئ الخليج وبجوارها ماكينات الكهرباء وأفران الخبز والمدينة محاطة بسور صغير ولها باب في هذا السور يقف عنده بعض موظفي مجلس المدينة وبعض جنود الشرطة .

ووصلنا حتى المجلس فاستقبلنا رئيس المدينة وهو رجل عسكري قديم يمتاز بالدقة والنظام والإخلاص ، وفي مكتب رئيس المدينة تم التعرف على الخرائط والرسوم المعدة لبناء المعهد الديني في مكان الميناء بجوار مساكن قبيلة المزينة ، حيث بدا بناء المعاهد الدينية بالمدن وكان معهد نويبع هو أول معهد تم بناؤه في خليج العقبة .

هذا وقد كان الوقت مساء والشمس أوشكت أن تغيب ولكن رئيس المدينة صحبنا في رحلة صغيرة إلى ميناء نويبع وكان وقتئذ في بداية الإنشاء ومؤسساته لا تزال في البداية ، وميناء نويبع يبعد عن المدينة بحوالي عشرة كم إلى الجنوب وحيث يمتد شاطئ نويبع حوالى ٢٠ كم من جنوب قبيلة

المزينة وحتى شمال قبيلة الترابيين وهاتان القبيلتان تتنافسان في كل شيء حتى في الخدمات العامة ، ولما تم بناء المعهد الديني بالمزينة «الميناء» طالب أهالي الترابيين بمعهد عندهم وقد تم إنشاء معهد لهم من المعاهد ذات الفصل الواحد، وسهل نويبع الساحلي مساحته من الجبل وحتى البحر حوالي ثلاثة كم وطوله في المكان الذي ذكرناه من المزينة وحتى شمال الترابين حوالي ٢٠ كم وهو سهل رملي خصب له شواطئ جميلة تأتيه المياه من الجبل الذي يطل عليه من ناحية الغرب وهو الجبل الممتد من شرم الشيخ حتى طابا وهو مطل على الساحل حيث تخترقه بعض الأودية فتصب مياهها في خليج العقبة عند نزول الأمطار والسيول وتسقى هذه الأودية سهل دهب الساحلي ،وسهل نويبع .

وقد ذكر نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ص ٧٦ ما نصه : « وواد النصب الشرقية » ينشأ من الشرق وتخترقه البلاد متعرجًا فيها مسافة ٤٨ ميلاً إلى أن يصب في الخليج عند ميناء دهب وفيه عين غزيرة ونخيل ويعرف عند رأسه بوادي الرحبة الواقع في طريق الدير من وادي سلا : ولوادي النصب فروع شتى أشهرها وأعظمها وادي سعال وينشأ من جبل العرفان فرع الجبل الأحمر ويسير في منحنى عظيم تحدبه من الشمال ويصب في النصب قبل مصبه في ميناء دهب بنحو ساعتين قيل ويعرف في أسفله « بوادي الحمام » « ووادي العين » ويسمى أيضًا «وادي وتير » ينشأ من جبال التيه الشرقية ويصب في الخليج عند قلعة النويبع وقد سمي وادي العين لأن مجراه على أربع ساعات من جنوبي قلعة النويبع عينًا تدعى عين الفرطاقة أو العين السفلى تميزًا لها عن العين العليا « في أعلاه الآتي ذكرها » وسمي واد وتير لأنه متحدب من وسطه كوتَر « أس سرج » أي الجمل وهو يتألف من أودية شتى تجمعها ثلاثة وهي «وادي الشيخ عطية

من الشمـال ووادي الزلقة ووادي الغزالة حيث يأتى وادي الشيخ عطية من الغرب ويلتقيان في مكان في الوادي يدعى (الهرمات) » علـى نحو ٢٢ ميلاً من قلعة النـويبع ثم يسير الوادي سبعـة أميال تقريبًا في وادي الـغزال آتيًا من الجنوب الغربي عند العين السفلى ويسير الكل باسم وادي العين إلى النويبع ، انتهى كلام نعوم شقير .

ومعنى ذلك أن سـهل النويبع سهل خـصب تأتيه المياه من الجـبل الغربي الممتد على ساحل خليج العقبة ولا يترك سوى سهول قليلة عند دهب ونويبع وطابا أما بقية أجزائـه فهي مطلة مباشرة على مياه خليج الـعقبة ، وفي ميناء نويبع بدا العـمران ينتشر وأقـامت المحافظة مسـاكن كثيرة للعـاملين ومدارس وفروعًا للمصالـح الحكومية وبين الميناء وقبيلة المزينة يـقع المعهد الديني الذي أنشأه الأزهر بالتـعاون مع المحافظة « ابتدائي ، إعدادي ، ثـانوي » ، لتعليم أبناء قبيـلة المزينة وهم قوم طيبون يقـبلون على تعلم العلم ولهـم مساكن من الطوب والرمل والحجـارة يسكنونها منذ القـدم وعندهم مسجد صـغير ولهم عادات وتقـاليد أشهـرها الكرم والنجـده وإغاثة الملـهوف ، وهم يحتـفظون بأسرارهم وأعمالهـم فلا يطلعون عليها إلا من وثقوا به ، وعنـد قبيلة المزينة والميناء شاطئ رملى جمـيل يشرف على خليج العقبة حيـث قربت المسافة من الشاطئ الآخر لأن خليج العـقبة يضيق كلما اتجهنا شمـالاً وقد كثرت المباني والمساكن وزاد العمران على هذا الشـاطئ في الآونة الأخيرة وأصبحت زاخرة بالعـمارة والحـضارة بـجوار البـدو الذين مـازالوا يحـافظون عـلى عاداتـهم وتقاليدهم .

وبعد زيارة ميناء نويبع وإنهاء الأعمال المكلفة بها اللجنة رجعنا مع رئيس مدينة نويبع على بعد عشرة كم من الميناء وبالـقرية السياحية أنزلونا ليلتنا هذه وهي قرية هادئة بها مساكن متفرقـة وشاطئ جميل لا أحد يزعج فيها أحد ،

وفي سهرة على شاطئ نويبع حيث وضعت بعض الكراسي مباشرة بجوار الماء وبعض المناضد وهناك من يأتي بالشاي أو القهوة سهر العلماء وتحدثوا في شأن هذه البقعة الغالية من أرض مصر وهي ثغر من ثغور المسلمين وتحتاج إلى العمارة والإخلاص والتواجد الدائم من أبناء مصر وتحقيق الالتحام مع القبائل البدوية وحماية أبنائهم وبناتهم من الغزو الفكري والثقافي ومنع التزوج بالأجانب والأجنبيات حفاظًا على العروبة والانتماء لمصر وحفاظًا على الأمن القومي المصري ، إن الشباب هنا يحتاجون إلى العلم الواعي المستنير ليحفظهم من الفكر الوافد مع السياح ومن الثقافات الأخرى ، وهنا يأتي دور المؤسسات التعليمية والثقافية والرياضية .

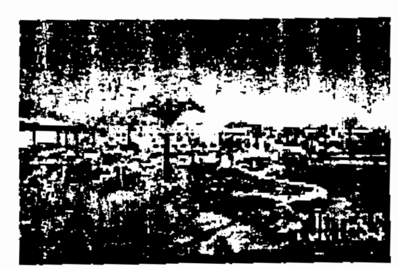
وفي الصباح الباكر حضر رئيس المدينة معنا طعام الإفطار وصحبنا في جولة على ساحل نويبع وزرنا مزرعة نويبع ثُمَّ قامت المحافظة بزراعة كثير من الخضر والفاكهة والزهور وكان منظرها بديعًا ، ثم زرنا مكان قبيلة الترابين والأرض المعدة لبناء معهد الترابين ،وهذه القبيلة تعتز بنفسها وأبنائها ولها من الطباع ما هو أساسي في طبيعة الشعب العربي المسلم ، وشاطئها الجميل وموقعها متميز لوقوعه مباشرة على مياه الخليج وبها مدرسة ومساكن للبدو وبعض المصالح الحكومية .

وقبل أن نغادر نويبع قال لنا رئيس المدينة : إن هذا المكان له تاريخ في الزراعة والعمارة من قديم الزمان ولذلك فقد ذكرت ما كتبه نعوم شقير في كتاب تاريخ سيناء من ميناء نويبع حيث قال : «وميناء نويبع على نحو ثلاثين ميلاً من ميناء دهب وفيه آبار ماء وحديقة متسعة من النخيل وطابية صغيرة بنتها الرادارية المصرية سنة ١٨٤٣ رجعلت فيها نفرًا قليلاً من البوليس الهجانة وألحقتها إداريًا بمركز نخل ، وفي خليج العقبة المد والجزر كما في خليج السويس وقد راقبناها مدة إقامتنا في رأس خليج العقبة سنة ١٩٠٦ فكان الفرق بينهما ستة أقدام .

الرحلة إلى طابا

وودعنا مدينة نويبع بواديها المتسع وجبالها الشامخة التي قال عنها الجغرافيون أنها جبال ملتصقة بالبحر أي خليج العقبة ومطلة عليه إلا عند وادي دهب ووادي نويبع ، وسلمنا على رئيس المدينة وشكرناه على حسن الاستقبال والضيافة وقال لنا : سوف أرسل معكم مندوبًا من مجلس المدينة لزيارة طابا وجزيرة فرعون .

وسرنا وسار معنا مندوب المجلس وكان ذلك حوالي الثامنة صباحًا حيث عدنا بالسيارة إلى الطريق العام والممتد من شرم الشيخ إلى طابا ، ولما دخلنا طريق طابا اتجهنا بالسيارة حيث الطريق مرتفع قليلاً عن سطح البحر فظهرت لنا نويبع بوديانها وشواطئها التي ظهرت صافية المياه بيضاء الرمال مشرقة مع إشراق الشمس عليها من الجانب الآخر وحيث تقوم العبارات من ميناء نويبع بنقل المسافرين إلى المملكة الأردنية والسعودية وغيرها من البلاد العربية وحيث ظهر المشهد مع ارتفاع الطريق كأنه لوحة زيتية جميلة ، ولكن من أين لفنان أن يرسم تلك اللوحة بهذه الروعة والجمال كيف والذي خلقها هو الله الخالق البارئ المصور سبحانه .



وسارت بنا السيارة في طريق ساحلي حيث أصبح الجبل على يسارنا والبحر عن اليمين وهناك شاطئ ضيق يتسع أحيانًا إلى خمسين أو مائة متر بين الطريق والماء ويضيق أحيانًا حتى تسير السيارة بجوار الماء وقد ضاقت

مساحة الخليج هنـا شمالاً ونشعر أنها تسير في بحر مـن الماء بين جبلين جبال العقـبة وجبال نويـبع وطابا وخليج العـقبة مشهـور بزرقة مائه وحـسن هوائه وعمقـه وغرابة ألوان الجبال المحـيطة به ، وقد بدا بعض المسـتثمرين ينـشئون بعض القرى الـسياحية علـى الطريقة البدوية بـين الطريق والشاطئ فيـضعون أفرانًا من النوع الذي يستخدمه البدو وأكشـاكًا بسيطة ويطهون الطعام بالخشب وذلك لمن يحب العودة إلى الطبيعة والتمتع بالبساطة من الزائرين .

حيث كنا ننظر ونرى هذه المشاهد في السيارة وهي تسير في اتجاه الشمال وحيث تبعـد طابا عن نويبع مسافـة ٦٥ كم تقريبًا والطريق يرتـفع وينخفض ويدور أحيانًـا أو يدخل وسط الجبال ويترك شـاطئ البحر في مسافـات قليلة حتى وصلنا إلى مشارق مدينة طابا وقبلها بخمسة كم تقريبًا رأينا الطريق يهبط إلى مستوى سطح البحر وإذا ميناء صـغير وبه بعض الزوارق المتوسطة الحجم وبعض رجال الشرطة وبعض موظفي مجلس مدينة نويبع ، وهنا قال مندوب مجلس المدينة : توقـفوا فهذه جزيرة فرعون أو قلعـة صلاح الدين ، ونظرنا يمين السيـارة فرأينا جزيرة صغيـرة قريبة من الشاطئ عـليها بناء يشبـه القلعة العسكرية، ونـزلنا من السيارة وسلمـا على الرجال الذين يقومـون بالحراسة والخدمة في هذ المكان الجميل من أرض مصرنا الحبيبة الغالية واستقبلنا هؤلاء بالبشر والترحاب وأنزلونا على سقالـة إلى القارب متوسط الحجم فركبنا وسار بنا القارب مـسافة تقل عن مائة مـتر ثم دار بنا دورة حول جزيـرة فرعون ثم أنزلونا على ساحل الجزيرة وهي كما وصفـها نعوم شقير في كتابه ص ٣١ ، «وجزيرة فرعـون» عند رأس الخليج على ثمانيـة أميال من مدينة العقـبة بحراً وهي جزيرة صغيرة محيطها نحو ألف متـر مؤلفة من أكمتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة وبينها وبين بر سيناء نحو ٢٥٠ متراً وهي داخلة في حد سيناء ، وعلى قـمة الأكمتين خـرائب قلعة قـديمة لم يبق منهـا سوى صهاريـج المياه

ومخازن الغلال والذخائر ومنازل العسكر ، وفي جدرانها المزاغل لضرب النار ولذلك تعرف عند العرب بالقلعة أو القليعة أو القرية ، وهي الآن خراب لا ساكن فيها وكان يحيط بها سور منيع له باب إلى جهة سيناء، وقد ذكر بعض السياح الإفرنج أنه مر بالجزيرة في أواسط القرن الغابر فرأى حجراً فوق الباب مكتوب عليه اسم باني القلعة وتاريخ بنائها ولكن هذا الباب قد تحطم الآن وتهدم السور إلى الأرض إلا أن ما يبدو من أساسه يدل على متانته وقد فتشت عن الحجر التاريخي المشار إليه في الجزيرة كلها فلم أقف له على أثر ولكن عثر بعضهم بين الخرائب على القلعة على قطع من العملة النحاسية القديمة وقد ظن بعض السياح أنها عصيون جابر المذكورة في التوراة بقرب أيلة ولكن خرائب قلعتها الحاضرة تدل على أنها أحدث من ذلك العمر والأرجح أنها من بناء صلاح الدين الأيوبي وأنه بناها لمقاومة الصليبيين وهي تشبه في بنائها قلعة صلاح الدين بجوار عين سدر كما سيجيء ويقال : إن أرنولد ده شتتليون حصرها بالمراكب عام ١١٨٢م ، ثم هجرت بعد ذلك بمئة سنة والتقى بقلعة العقبة انتهى كلام نعوم شقير .

وعلى كل حال فعند زيارتنا للقلعة دخلناها بجميع طرقاتها ومخازنها وبها قليل من فصوص الفيروز وقد تم ترميمها على يد المحافظة ، والكل يعلم أنها قلعة صلاح الدين وأنها هي التي حبس فيها صلاح الدين أرناط وأرنولد ده شتتليون كما ذكر نعوم شقير وأقسم أن يقتله بيده . والأمر اللافت للنظر أن هذه القلعة في تلك الجزيرة صامدة شامخة تدل على الأصالة العربية والإسلامية وأنها تقول : إن مصر بشعبها وشبابها وتدينها هي التي حمت العالم الإسلامي من هجمات التتار والصليبيين وأنها صمام الأمن للأمة العربية إلى يوم القيامة .

وسعدنا بزيارتنا لهذا الأثر الهام من آثار مصر وبالروعة والأصالة والفخامة فى مبانيها وحيث تنطق جدرانها وتقول : إن شعب مصر فى خدمة العروبة والإسلام إلى يوم القيامة .

وسرنا حوالى خمسة كم حيث منفذ طابا وكانت فى ذلك الوقت تتسم بالبساطة وقلة المبانى إلا بعض المبانى الإدارية التابعة للمنفذ الذى وصلنا إليه وبعده من ناحية الشمال تبة مرتفعة تشكل نقطة الحدود بين مصر وأرض فلسطين وحيث رجعت طابا كلها إلى السيادة المصرية وعاد ذلك الجزء العزيز الغالى إلى أرض الوطن بعد قرار لجنة التحكيم الدولية عام ١٩٨٩م بأن طابا كلها أرض مصرية وتم رفع علم مصر على الحدود .

ومن المنفذ رجعنا ناحية الشاطئ حيث يرتفع فندق سونستا والذى بنى فى عهد الاحتلال وتم عودته إلى مصرنا الحبيبة وفى فناء الفندق جلسنا قليلاً لتناول كوب من الشاى ولننظر إلى الشاطئ الجميل أمام الفندق ، وفى جنوب الفندق على الشاطئ توجد استراحات خشبية أقامتها الشرطة المصرية وخصصت واحدًا منها مسجدًا للصلاة فيه وكان يؤم المصلين فيه رجل من ضباط الصف المتطوعين من رجال الشرطة القدامى وحيث تقام شعائر الدين فى كل مكان يحل فيه المسلمون وتعجبنا وقلنا حقًا : إن الله هو الذى يدعو إلى دينه وهؤلاء الرجال يؤدون أعمالهم فى جدية وبساطة ويؤدون شعائر دينهم فى سهولة ويسر وليس لأحد ما أن ينصب نفسه وصيًا على الإسلام والمسلمين ، وهنا يظهر معدن الشعب المصرى المتدين فى يسره وسهولته وتمسكه بقيمه وأخلاقه ودينه .

ومدينة طابا اليوم زاخرة بالمبانى الجديدة والمساكن التى أقامتها المحافظة وأصبحت بها المساجد والمدارس وجميع المصالح الحكومية وخاصة ما يتعلق

بالجوازات والجنسية فهى الثغر المهم الذى يفصلنا عن الجانب الإسرائيلى ومن هذا المنفذ تنشط حركة السياحة ذهابًا وعودة والناظر إلى الشرق من ساحل طابا يرى مدينة العقبة الأردنية والساحل الشرقى والسفن والزوارق على صفحة الماء فى شمال خليج العقبة والهدوء والجمال والزرقة الصافية زرقة الماء وزرقة السماء وقال الحاضرون : كم تمنينا أن نقيم هنا وقتًا طويلاً لعدة أيام لنتمتع بهذا الهدوء والجمال والبهاء والهواء الصافى المنعش مع درجة حرارة معتدلة . إن كل ما حولك يقول لك أهلا ومرحبا ويصف الجمال الرائع والجلال الذى يوحى لك بتسبيح الخالق قائلاً : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وقد أنشأت الدولة مطارًا فى طابا لاستقبال الرحلات من ضيوف مصر ومن كبار الزوار وهو يقع إلى الجنوب الشرقى من المدينة وهو من أجمل وأجل هذه الخدمات فى هذه المنطقة العزيزة من أرض الوطن والتى جاهد الرجال من أجل عودتها لمصر حتى عادت .

ولما كان الوقت ضيقًا وكان لابد لنا من التحرك إلى مدينة كاترين ودعنا مدينة طابا عائدين من نفس الطريق مرورًا بنويبع وحتى مفارق دهب كاترين على ٣٥كم من دهب شمالاً . وعند نقطة المرور تفرع الطريق إلى طريق ينزل إلى الجنوب حتى شرم الشيخ وطريق يتجه إلى الغرب يسمى طريق : نويبع كاترين .

●● ●● ●●



وصف مدينة كاترين





وصف مدينة كاترين

وسرنا فى هذا الطريق لـنقطع سيناء بالعرض بين الجبـال المختلفة الألوان والتى يغلب عليـها اللون الأحمر والأصفر ، وبين الأودية ومـجارى السيول والمطالع والمنحدرات والأعشاب الطبيـة وبعض البدويات يرعين الأغنام والماعز وبعض القرى الصغيرة البعيدة عن الطريق التى يسكنها أهالى المنطقة من البدو والرعاة الذين يعملـون بالرعى وبعض الزراعات البسيطة وبعـضهم يعمل فى وظائف حكومية أو الصيد أو التجارة الموجودة فى وسط سيناء .

وبعد سيـرنا حوالى مائة كم وصلنـا إلى مطار كاترين وهو مطار صـغير لاستقبـال الطائرات الصغيرة ويبـعد عن المدينة حوالى عشـرة كم ، وقال لنا مندوب المحافظة : إنه لابد لنا أن نصل مدينة كاتريـن قبل السـاعة الثانـية عشـرة حيث إن الدير يغلق أبوابه فى هذا الوقت .

وكنا قـد تحركـنا من طابـا فى العـاشرة صباحًا وقطعنا مـائة وخمسة وأربعين كم فى حوالى ساعتين إلا ربع ، وحيث دخلنا مدينة كاترين وذهبنا مباشرة إلى طريق ترابى على اليـسار بين جبلين وهناك نقـطة شرطة توقف السيـارات قبل الدير بحوالى ١كم وينزل السياح والزوار ويسـيرون على أقدامهم حتى باب الدير ، إلا أن مندوب مجلس المدينة كان فى انتظارنـا عند نقطة الشرطة وهم يعلمون أن وفدًا مـن الأزهر قادم لزيـارة الدير وبه بعـض كبار الـسن من العلـماء ، فسمح لسياراتـنا بالدخول حتى باب الدير وحيث استقبـلنا أحد الرهبان على

باب الدير وهو قسيس شاب مصرى من شبـرا يتحدث اللغة العربية وكان هو دليلـنا فى زيارة الدير ، إن كـل من كان فى الـدير من الرهبـان والقسـاوسة والشمامسة وبعض الـراهبات من اليونان فهم تابعون للكنيسـة اليونانية ماعدا القسيس المصرى الذى صحبنا .

وكذلك تعـمل بالدير قبيـلة الجبالية وهـى قبيلة بدوية كـانت من الجنود الذين جاؤوا لحماية الدير وحراسته ثم دخلوا فى الإسلام واستمروا فى خدمة الدير وانتـسبوا إلـى العرب الذين يـسكنون ضواحـى مدينة كـاترين ، وهذا وسوف نورد ما أورده نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء حيث قال فى ص٢٢٢ الفصل الثانى فى دير طور سيناء (أشـهر ما فى الجزيرة من بناء وأثر «دير طور سيناء») وهـو واقع فى سفح قمة مـن قمم طور سيناء علـى أحد فروع وادى الشـيخ كما مـر ويعلو نحـو ٥٠١٢ قدمًـا عن سطح البـحر حيث الـعرض ٣٢/٥٥ شمالاً والـطول ٣٣/١٨ شرقًا وعلى نحـو ثمانية أيام مـن السويس وستة أيام من العقبة ويومين من مدينة الطور .

وهو من أبنيـة الـروم الأرثـوذكس بنـاه الإمـبـراطور يوستنيـانوس نحو سنة ٥٤٥م معقـلا لرهبان سيناء وقد بـنى على اسم القديسة كـاترينا ويدعى أيضًا دير القديسة كاترينا .

وللدير سور عظيم قريب من المربع المستطيل ومساحته نحو ٨٥م فى ٧٥م ومتوسـط علوه نحو ١١م وسمـك حائطه نحو مـترين وربع المتر حـيث إنهم جعلـوا داخل الحائط كنائس صـغيرة للـعبادة ، داخل السـور الأبنية القـائمة بعضـها فوق بعض طبـقة واحدة أو طبقـتان أو ثلاث أو أربع على غـير نظام وتخترقها ممرات ودهاليز معوجة ضيقة حتى يرى المتجول نفسه تارة فى صعود وتارة فى هبوط وتارة فى ظلمة وتارة فى نـور ويرى من اختلاف حال الأبنية

وأشكالها أنها قامت فى أعصر مختلفة وقد تداعى بعضها إلى الخراب وخرب البعض الآخر وهدم البعض قصد تجديده وبنائه .

وقد ضم السور «العليقة المشتعلة» برجا من برجين بنتهما القديسة هيلانة فى تلك الجهة قبل بناء الدير . أما البرجان فقد تهدما الآن ولم يبق لهما أثر وكان أحدهما عند العليقة والآخر خارج السور إلى الشرق منه وأهم الأبنية القائمة فى داخل السور إلى الآن الكنيسة الكبرى التى بنيت عند بناء السور وكنيسة العليقة وعدة كنائس أخرى بنيت بعدها فى أعصر مختلفة ، وجامع بمنارة «مئذنة» ومكتبة ـ نفيسة ـ ومنازل الرهبان وزوار الدير ومخازن للحبوب والمؤن والأثاث والأخشاب ومطابخ وفرنان فرن للقربان وفرن للخبز وطاحونتان تداران بالبغال ومعصرة زيتون تدار بالبغال أيضًا ومعمل للخمر والسبرتو من البلح والعنب وآبار تختلف فى العمق والقدم وخارج السور إلى جهة الغرب عرصة فسيحة مسورة وحديقة متسعة فيها أنواع الشجر والفاكهة، انتهى كلام نعوم شقير .

أما قافلتنا فقد دخلنا من باب الدير الغربى وهو باب قصير لابد لمن يدخل منه أن ينحنى قليلاً وسرنا فى سرداب شبه مظلم وأصبحنا في حارة ضيقة بين بناء المدخل والكنيسة وسرنا إلى جهة الشمال فوجدنا سلما خشبيًا صعدنا عليه إلى الطابق الثالث إلى شرفة متسعة يفتح بها باب خشبى كبير وفتح لنا القسيس الشاب هذا الباب وقال : تفضلوا هذه المكتبة وبها مجموعة من القساوسة والرهبان كانوا فى انتظارنا بالبشر والترحاب وجلسنا على بعض الكراسى الموجودة فى صورة صالون طويل وبالوسط وضعت بعض المناضد الجميلة وعليها من الكعك والبسكويت وبعض الحلوى وجاؤوا بالقهوة شربنا وأخذنا بعض الحلوى .

ثم جاؤوا بكتاب نعوم شقير تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها وهو كتاب من المقطع الكبير حوالى ٨٠٠ صفحة على ورق جيد وطباعة فاخرة فأعطوا كل واحد من الموجودين نسخة كهدية مع بعض مطبوعات الدير.

ثم صحبنا رئيس الأساقفة فى جولة داخل أبنية الدير المختلفة فنزلنا عدة سلالم فى ناحية الشرق فكنا فى سطح الدير ورأينا بكرة كبيرة الحجم يلتف حولها حبل كبير من التيل والكتان ؛ما يشبه الشرفة المغطاة يتدلى منها صندوق خشبى كبير مربوط من أعلاه بالحبل الملتف حول البكرة وهذا الصندوق هو الأسانسير المعلق الذى ينزل فيه الكهنة والعمال فى أوقات الخوف وعندما تغلق الأبواب فيرفعون حاجاتهم فى هذا الصندوق الذى يرتفع بدوره بواسطة البكرة والحبل حيث يقوم الرهبان بإدارة البكرة بواسطة يد معوجة تنتهى بذراع طويل يمسك به الرهبان ويديرون البكرة لإنزال الأسانسير أو رفعه من الأرض وهى طريقة بدائية تستخدم من العصور الوسطى .

ثم صحبنا نائب الدير إلى الطابق الثانى حيث مررنا بالكنيسة الكبرى ثم كنيسة العليقة وفيهما من النجف والتحف والأيقونات والفخامة المعمارية وفى كنيسة العليقة قبل دخولها قالوا لنا : اخلعوا أحذيتكم فخلعنا ودخلنا فإذا الصندوق الذى فيه القديسة كاترين ؛إذا المكان الذى تخرج منه العليقة وإذا بشجرة العليقة تمتد جذورها داخل الكنيسة أما فروعها فخارجها ملتصقة بالسور كما مر من قبل .

وبعد خروجنا من الكنيسة الكبرى والكنيسة العليقة سرنا قليلاً ناحية الغروب لنزور جامع الدير وهو مسجد صغير له مئذنة أو منارة غربى الكنيسة الكبرى على نحو عشرة أمتار منها وتعلو أرضه نحو عشرة أمتار عن أرض

الكنيسة المذكورة ومنارته أقل ارتفاعا من قبل الكنيسة وبناؤه بالطوب النىء والحجر الغشيم من الجرانيت ، وفى الجامع أثران تاريخيان نفيسان وهما كرسى ومنبر من الخشب الصلب وعلى الكرسى والمنبر آيات قرآنية ونقوش إسلامية مزخرفة مصنوعة ومكتوبة بدقة وإتقان ، وبالخط الكوفى وقد بنى المسجد فى عهد الخليفة الآمر بحكم الله فى شهر ربيع الأول سنة خمسمائة هجرية .

وصلينا الظهر والعصر بمسجد الدير ثم نزلنا إلى الطابق الأول العلوى حيث يوجد طلمبة مياه لها عجلة كبيرة ويد ويديرها الزوار ويشربون منها وقال لنا القسيس الشاب المصرى باللغة العربية : هذه البئر الذى سقى منها موسى غنم بنات شعيب ومن يشرب من هذه الطلمبة لابد له أن يتزوج فمازحه كبير العلماء فى القافلة وقال له : وأنت ألم تشرب منها ؟ فضحك الشاب وشربنا منها وعلى بعد عشرة أمتار منها توجد شجرة العليقة أغصانها وفروعها وقالوا : هنا نادى الله موسى .

وسرنا قليلاً إلى ناحية الجنوب الغربى من الدير وصعدنا بعض السلالم الخشبية وأدخلونا فى صالون كبير وجلسنا نتحدث حتى خرج علينا مطران الدير ورئيسه فسلم علينا وحدثنا عن طريق المترجم مرحبًا بنا ومشيداً بالأزهر ورجاله وتعاونهم مع الدير وأنهم بعيدون عن التعصب الدينى ويتحدث رئيس العلماء مبينًا ما أوصى به نبى الإسلام محمد ﷺ بالأديرة والكنائس وساكنيها وقام المطران بعرض صورة من العهدة النبوية لرهبان طور سيناء بالأمن والأمان ، ودعنا مطران الدير ونزلنا بصحبة القسيس الشاب المصرى إلى الطابق الأرضى حيث أطلعنا على معاصر الزيتون وأفران الخبز وغيرها من الأمور الإدارية التى يعتمد عليها رهبان الدير فى معيشتهم .

ثم خرجنا من حيث دخلنا من انباب الرئيسى وحيث تقف السيارة فى وسط حديقة الدير على شاطئ وادى الشيخ وهو واد صغير منخفض بجوار الدير يشبه الترع عندنا ولكنه لا يأتيه الماء إلا فى أوقات السيول والأمطار ، وفى الجهة المقابلة فى الجنوب يوجد طريق ترابى يدخل منه الناس والسياح والزوار ويفصله عن المكان الذى نقف فيه الوادى الضيق ، وحولنا فى حديقة الدير أشجار الزيتون المعمرة وأشجار أخرى كثيرة وبعض المزروعات من الخضروات وغيرها .

وقال القسيس المصرى : تعالوا لتروا بعض الغرف التابعة للدير فى صف مستطيل تحت الأشجار على شاطئ الوادى حيث توجد المخازن والورش اللازمة للصيانة وأهم ما بها غرفة الجماجم التى فتحها لنا فرأينا أكواما من الجماجم مكدسة بعضها فوق بعض لم يبق منها إلا العظم ويحجبها عن الناظر جدار من الزجاج ننظر منه لنرى ما بداخل الغرفة ، وقالوا : هذه جم الرهبان توضع كلها فى هذه الغرفة .

ثم قال القسيس الشاب المصرى : إن هذه حديقة الدير وهى كانت قديمًا أكثر من هذا خصبًا وأكثر عطاء ولكن قلة الأمطار فى هذه الأيام قد أثرت عليها وعلى المزارع التابعة للدير حيث كانت تعطى قبل ذلك كثيرًا من المزروعات والمحاصيل مثل اللوز والمشمش والعنب والبلح والخضراوات والفواكه ، ثم قال : إن بناء الدير كان قد تهدم منه الكثير فى أوائل هذا القرن ولكن حكومة مصر والمخلصين من أتباع الدير تبرعوا وتم ترميم الجانب الأكبر من المبانى الهامة به ولا تزال أعمال الترميم مستمرة .

ثم قال القسيس الشاب : إذا نظرت خلف الدير إلى ناحية الشرق فسترون جبل موسى وهو الجبل الذى نزلت عليه التوراة وكان موسى يصعد

هذا الجبل ليناجى ربه ويتعب جداً فى صعود الجبل ، يقول نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء وجغرافيتها ما نصه ص٤٤ من قمم جبل طور سيناء «جبل موسى» يقع فى عرض شمالى ٦ ,٣٢ ,٨٢ وطول شرقى ٣٨ ,٥٨ ,٣٣ ويعلو نحو ٧٣٦٣ قدمًا عن سطح البحر ، وقد بنى على رأسه كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء وجامع أصغر منها بل الجامع عبارة عن كوخ من الحجارة الغشيمة ، تسلقت قمم هذا الجبل فى يوم أصبح سنة ١٩٠٥ فرأيت معظم بلاد الطور وجانبًا من خليج العقبة وقد أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على تلك الجبال المتراكمة بعضها فوق بعض على مدى النظر وكان المنظر من أبدع ما رأت العين وجملت الطبيعة ، وقد ترك فى نفسى أثرًا من فخامة سيناء لا تمحوه الأيام «وجبل المناجاة» شمالى جبل موسى يدل عليه البدو أنه الجبل الذى عليه ناجى الله موسى عليه ، ومن ذلك اسمه وهو يعلو نحو ٦٠٠ قدم عن سطح البحر وينشأ من منقلبه الغربى واد صغير يفيض لري واد الشيخ. ووداي الدير سمى كذلك لأنه قام فى جنبه الأيسر دير طور سيناء الشهير الآتى ذكره.

وفى طريق الخروج من الدير عدنا إلى نقطة المرور بعد أن ودعنا مكان الدير والقسيس المصرى الشاب والذى قال لنا : عندما كنا نركب السيارة انظروا إلى من حولكم هناك أعداد كثيرة من الناس والسياح والمصريين رجالاً ونساء إنها هيئة أمم فوقفنا ننظر حولنا وقال أحد الحاضرين : من أراد أن ينظر إلى البشر فى ألوانهم وملابسهم وصورهم فليقف هنا وليصور فقال أحد الشباب : ماذا لو أقيمت مسابقة للجمال فى هذا المكان فأى الألوان والأجناس يحظى بالجائزة ؟ فقال الآخر : كلهم خلق الله وكلكم لآدم وآدم من تراب ، ودار حوار قصير بين الشابين إذ مرت فتاة بدوية تلبس الملابس السمراء وعلى رأسها خمار مزين بما تصفه البدويات وهى تلبس لباس العرس عند البدو المقيمين بكاترين فقال الجميع : والله ما يستحق جائزة الجمال بين

جميع الذين يمرون هنا سوى هذه الفتاة البدوية التى تلبس لبس أكثر الثياب جمالاً وأكثرها ستراً فإن الفطرة الإنسانية التى قامت على الستر وليس على العرى ، وإن آدم وحواء فى الجنة كانا يلبسان ثياباً من الظفر يغطى جميع جسديهما ويستر سوءاتهما ولما أكلا من الشجرة وقع اللباس فظهرت العورات واشتد الحياء عندهما فجعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة لأن الستر فطرة والحياء فطرة فى النفس البشرية .

وفى طريق العودة من الدير فى الطريق الترابى والذى ترك على فطرته حيث يقع الدير على قمة جبل طور سيناء ومن حوله من الجنوب والشمال جبال عالية تسير فيها كأنك تمشى فى شارع متسع بين عمارات مرتفعة وعند نهاية وادى الدير تل صغير فى زاوية الجبل الجنوبى عليه مقام النبى هارون وفى الجهة المقابلة من الجبل رسم عجل منقوش فى الصخر قالوا : إنه العجل الذى عبده بنو إسرائيل والسياح والزوار يقفون يرمون صورة العجل بالحصى والحجارة .

ويتقابل الطريق الرئيسى المؤدى إلى مدينة كاترين مع وادى الدير بالعرض وفى الجهة المقابلة لوادى الدير يتسع الوادى فيكون سهلاً فسيحاً عرضه ١كم تقريباً وطوله حوالى ٣كم يسمى وادى الراحة أو سهل الراحة ، ويقولون : إن بنى إسرائيل عبدوا العجل عنده وكانوا يقيمون فيه مدة بقاء موسى عليه السلام فى سفره لمناجاة ربه سبحانه وتعالى .

ودارت بنا السيارة يساراً مع لطريق إلى مدينة كاترين وعلى اليسار واليمين بعض المؤسسات السياحية وبعض المطاعم والمحال التجارية لكن أهم ما يلفت النظر فى مدخل كاترين هو المسجد الجديد الذى أقامته وزارة الأوقاف يسمى مسجد الوادى المقدس والذى توقفنا عنده حيث صلينا الظهر

والعصر من لم يصل قبل، ثم سرنا قليلاً وسط المحال التجارية والاستراحات التى أقامها مجلس المدينة وبعضها من الذى خلفه الإسرائيليون بعد خروجهم.

وعلى تبة مرتفعة عن الطريق قليلاً يوجد مجلس مدينة كاترين بمبانيه الحديثة وموظفيه المخلصين وبرئيس المدينة استقبلنا أحسن استقبال وأخذنا إلى مكان فسيح جنوبى غرب مجلس المدينة وقال : هذه هى الأرض المخصصة لبناء المعهد الدينى ، وبعد إتمام الإجراءات القانونية والرسومات المطلوبة تحركنا فى جولة حول مدينة كاترين فهى عبارة عن وادى صغير تتخلله كثير من المرتفعات وتحيط به قمم الجبال التى توحى كلها بالراحة والهدوء والجمال والجلال .

إن مدينة كاترين من أشد مدن سيناء برودة فالطقس بعد العصر أصبح مائلاً للبرودة وخاصة ونحن فى أوائل فصل الشتاء وأواخر فصل الخريف حيث العام الدراسى قد انتظم ونحن نبحث عن عمارة المعاهد تحت الإنشاء وتدعيم المعاهد القائمة .

وصحبنا رئيس مدينة كاترين إلى أحد الفنادق بجوار وادى الراحة حيث تناولنا طعام الغداء وحيث نقضى ليلتنا فى هذا الفندق لأن النهار أوشك أن ينتهى .

وبعد صلاة المغرب بالمسجد تطوع بعض العلماء لإلقاء محاضرة دينية بمسجد الوادى المقدس وبعد صلاة العشاء صحبنا رئيس المدينة إلى مقر سكنه حيث قدم الشاى وحيث عكف المهندسون المصاحبون للجنة مع مهندس مجلس المدينة على دراسة الرسوم والخرائط التى تخص مبانى الأزهر فى كاترين والسباعية والجوفا والطرفا ووادى سهب وكلها تابعة لمدينة كاترين

وحيث جلس الموظفون ورئيس المدينة وكبار علماء الأزهر بالقافلة فى شبه ندوة عن الأماكن المقدسة بمدينة كاترين وقال كبير العلماء : إنه مما لا شك فيه أن بنى إسرائيل عندما خرجوا من مصر نزلوا بلاد وجبال التيه ، وجبال التيه تبدأ حدودها بعد جبال طور سيناء شمالى سيناء ويكاد يكون وادى الطرفة الممتد حتى مفارق الطور كاترين بطول ١١٠كم وهو الفاصل بين جبال التيه وجبال طور سيناء وإن جبل طور سيناء يشمل مدينة كاترين ومدينة طور سيناء وما بينهما ، فهذه الأرض قد دخلها بنو إسرائيل وأقاموا بها فترة من فترات التيه الذى كان لمدة أربعين سنة .

والمرجح أن عبادة العجل كانت قريبة من مدينة كاترين وإن موسى عليه الصلاة والسلام عندما رجع بالتوراة وأوقف بنو إسرائيل ليقرأ عليهم التوراة ويلقى عليهم الوصايا العشر كان قريباً من هذا المكان وإن «اليم» وهو النهر الذى ألقى موسى فيه العجل بعدما أحرقه فصار ترابًا كان قريبًا منه هنا لكن هناك مكانان يقال : إنهما فى الدير وهو الجبل الذى نادى الله عنده موسى عليه السلام وحمله الرسالة إلى فرعون وجنده ، والمكان الآخر هو المكان الذى نزلت فيه التوراة وهو جبل المناجاة ولا ينطبق الوصف الموجود بالتوراة أو بالقرآن عند ذكرهم هذين المكانين على مكان الدير ولا على مدينة كاترين فهذا الموضوع يحتاج إلى تحقيق كل مكان على حده ، ونتبع الآيات القرآنية والكتابات التى كتبت فى هذا الموضوع خاصة وإن القرآن الكريم لم يهتم بتحديد الأماكن التى حدثت بها أحداث القصص القرآنى إلا عند ذكر قصة موسى عليه السلام وبنى إسرائيل فى سيناء .

وقضينا ليلتنا بفندق الوادى المقدس وهو واقع فى مدخل مدينة كاترين فى وادى الراحة عن يمين الداخل إلى كاترين ويقابل وادى الدير وبناء الدير

كذلك يقابل جبل يسمى جبل الصفصافة من ناحية الشرق وقد وصف نعوم شقير هذا المكان بقوله فى ص٤٦ «وجبل الصفصافة وهو إلى الشمال الغربى من جبل موسى سمى كذلك لأن فى سفحه الشرقى صفصافة ، وهو يعلو نحو ٦٧٦٠ قدمًا عن سطح البحر ويطل على سهل فسيح غريبة يدعى سهل الراحة تبلغ مساحته نحو ميل مربع ويعلو ٥٠٠٠ قدمٍ عن سطح البحر وإلى الطرف الشرقى لهذا السهل عند مصب وادى الدير وعلى نحو ميل غربى الدير تل صغير عليه كوخ من الحجارة الغشيمة يدعى مقام النبى هارون .

ومن فندق الوادى المقدس سرنا فى حوالى الثامنة صباحًا باتجاه وادى الطرفة وقرية فيران فى الطريق إلى مدينة طور سيناء وقبل تحرك السيارة نظرنا إلى شروق الشمس على وادى الراحة والهدوء ولمسة البرد التى تحمل الهواء الجاف الخالى من الشوائب والتلوث ، ليتنا نقضى وقتًا طويلاً فى هذا المكان الهادئ الجميل .

إن فى مدن جنوب سيناء لسرًا غريبًا وهو إن من يكن فى مدينة من مدنها تتعلق روحه ونفسه بالمكان ويصعب عليه أن يفارق هذا المكان بل إن الزائر الذى يأتى لقضاء مأمورية أو للزيارة لمدينة كاترين برغم برودة الجو تتعلق روحه ونفسه بالمكان ويتمنى أن يقضى فيه وقتًا طويلاً .

وقبل أن نغادر المكان دخلنا داخل المدينة لنأخذ وقودًا للسيارة ودخلنا سوق المدينة فوجدنا دكان الحاج أحمد ، ويسميه البدو الدكتور أحمد وهو بدوى يعالج المرضى بالأعشاب ويصف لكل داء دواء وقد افتتح محلاً أو دكانًا للأعشاب يبيع فيه العشب الطبى بأسعار بسيطة وقد وضعه فى أكياس ومع كل كيس ورقة باسم العشب والمرض الذى يعالجه وكيفية تناوله والمدة المحددة لذلك ، واشترينا منه ما يلزم كل من أعشاب علاج السكر والبطن

والروماتيزم ، وبأحد المحلات المجاورة بعض المنسوجات اليدوية التى تصنعها نساء البدو من المشربيات والسجاد والكليم وبعض الملابس المصرزة على الذوق العربى وأخذ كل حاجته وتابعنا المسير فى الطريق فمررنا فى اتجاه الجنوب قليلاً على مقام النبى هارون ثم مقام النبى صالح ومدخل وادى السباعية وبعض الأبنية التابعة لمجلس المدينة مثل روافع المياه والمبانى المقامة عليها وتسمى محطة المياه التى تأتى السيارات من مجلس المدينة فتأخذ منها المياه لتوزعها على مجلس المدينة والمساكن والمصالح الحكومية .

•• •• ••

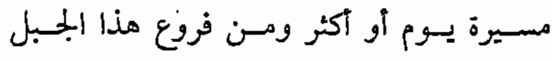
وصف مدينة فيران وجبل سربال

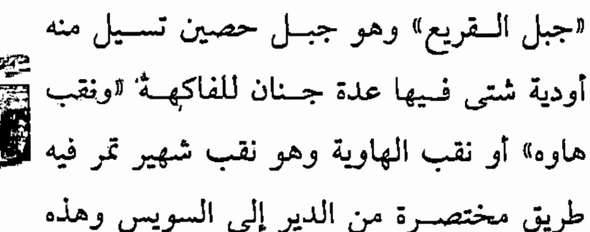


وصف مدينة فيران وجبل سربال

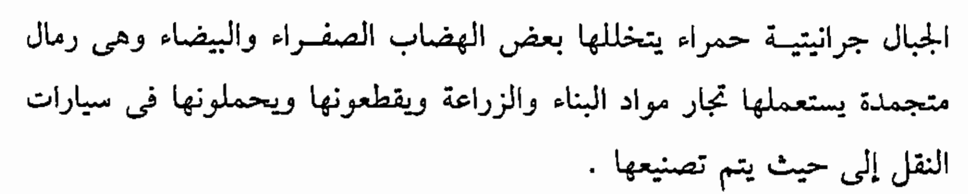
وهناك بعض المؤسسات السياحية فى طريق الداخل أو الخارج إلى كاترين وبعد حوالى خمسة كم وعند نقطة المـرور يتفرع الطريق إلى فرعين فرع يعود شرقًا إلى نويبع ودهب وفرع ينحدر غربًا إلى وادى الطرفة وقرية فيران الحسوة ثم مفارق الطور ثم العودة إلى مدينة الطور وبعد مسير حوالى ٢٠كم فى اتجاه الغرب وبين الجبال الصـخرية المذكورة فى كتاب تاريخ سيناء وجغـرافيتها فى جبال بلاد الطور .

يقول نعوم شقير : «والجبل الأحمـر» سمى بذلك لحمرة تربته وهو واقع إلى الغرب مـن جبل سيناء علـى نحو عشرة أميـال منه ويمتد شمـالاً وجنوبًا مسـيرة يـوم أو أكثر ومـن فروع هذا الجـبل





«جبل الـقريع» وهو جبـل حصين تسـيل منه أودية شتى فـيها عدة جـنان للفاكهـة «ونقب هاوه» أو نقب الهاوية وهو نقب شهير تمر فيه طريق مختصـرة من الدير إلى السويس وهذه الجبال جرانيتيـة حمراء يتخللها بعض الهضاب الصفـراء والبيضاء وهى رمال متجمدة يستعملها تجار مواد البناء والزراعة ويقطعونها ويحملونها فى سيارات النقل إلى حيث يتم تصنيعها .



ومن الجبال الـتى ذكرها نعوم شقـير والتى تطل على طـريق وادى فيران «جبل سربال» .

* وهو أشهر جبل فـى سيناء بعد جبل موسى واقع إلى الشـمال من مدينة

طور سيناء والغرب من جبل موسى على نحو ثلاثين ميلاً من كل منهما وهو يطل على مدينة الطور ويحجبه عن جبل موسى الجبل الأحمر وله خمس قمم تمثل تاجًا عظيمًا فى شكل نصف دائرة ارتفاعًا أعلاها نحو ٦٧٣٠ قدمًا عن سطح البحر ونحو ٤٠٠٠ قدم عن وادى فيران الشهير فى سفحه الشمالى ، وقد ذهب بعضهم إلى أن سربال تختزل من سرب بعل أو نخيل الإله بعل إشارة إلى نخيل فيران فى سفحه وأن الناس كانت تقدسه وتحج إليه قبل النصرانية بل قبل الخروج بأجيال ونرى الآن فى الطريق إليه من وادى فيران حجارة أثرية منقوش عليها أسماء الزوار الذين لم ينقطعوا عن زيارته حتى القرن الثالث للمسيح وفي سفحه خرائب دير قديم وكنيسة مبنية بالحجر المنحوت ومقابر للنساك وهو فى رأى بعض المحققين جبل حوريب وجبل سيناء المذكورين فى التوراة لا الجبل المعروف الآن بجبل طور سيناء ، غير أن جبل طور سيناء أكثر انطباقًا على رواية التوراة من جبل سربال ، سنعود إلى ذلك تفصيلاً فى باب التاريخ » .

انتهى كلام نعوم شقير .

وفى القرآن الكريم فى سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ .

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره والقرطبى فى تفسيره إن عبادة «بعل» وهو الصنم الذى صنع من ذهب كثير كانت فى بنى إسرائيل فى قرية بعلبك غربى دمشق

وهذه الرواية غير موثقة بالأحاديث فلعلها صحيحة .

وإن هذه القصة كانت فى بعلبك غربى دمشق وإن هذه العبادة وصلت إلى سيناء فى جبل سربال أو إن القصة كلها حدثت فى وادى فيران وإن رسالة إلياس عليه السلام كانت فى هذه البقعة والله أعلم .

كذلك ذكر صاحب كتاب تاريخ سيناء « جبل البنات إلى الشمال من وادى فيران فى الجهة المقابلة لوادى فيران وحيث يمر وادى فيران المكمل لوادى الشيخ وسط الجبل الأحمر ثم جبل سربال جبل البنات ، والطريق من كاترين والذي سرنا فيه يسير في وادى الشيخ أولاً قرب كاترين بعده قرب الطرفا يسير في وادي فيران الذي يقول عنه صاحب كتاب تاريخ سيناء « ووادي الشيخ ، وهو مع وادي فيران يكونان واديًا واحداً وله رأسا » وادي الدير المار ذكره الناشئ من جبل المناجاه «ووادي المناجاه» الناشئ من جبل كاترينا وهما واديان صغيران قصيران يلتقيان عند مقام النبي هارون ومنه يسير الوادي باسم وادي الشيخ شمالاً بغرب نحو عشرة أميال فيخترق الجبل الأحمر عند الوطية ثم يسير منها جنوبًا بغرب نحو عشرين ميلاً إلى مضيق بين جبلين يدع بويب فيران فيأخذ اسم وادي فيران ويسير متعرجًا غربًا بين جبلين من الجرانيت الأحمر وفروعه تصب فيه عن اليمين والشمال إلى أن يصب في خليج السويس عند سهل القاع ، ثم قال في ص ٦٧ : ووادي فيران وهو أشهر أودية سيناء كلها قديمًا وحديثًا وأغزرها ماء ونخيلاً حتى لقد سمى «واحة الجزيرة» .

ويبدأ وادي فيران من بويب فيران وهو مضيق بين جبلين قائمين على جانبي الوادي كمصراعي باب مفتوح ومن ذلك اسمه ، والمضيق لا يزيد اتساعه عن عشرين قدمًا ويعلو نحو ٢٤٥٠ قدمًا عن سطح البحر .

وسرنا في وادي الشيخ حتى وصلنا قرية الطرفاء وهي قرية ممتدة مساكنها

على جانبي الطريق وفي وسط الوادي حدائق للفاكهة والخضراوات وتكثر فيها أشجار الطرفا ويقال إنها هي الأشجار الذي كان ينزل عليها المن لبني إسرائيل وهو بللورات تشبـه العسل الأبيض كانت تنزل في الصباح عـلى نبات الطرفا ويأتي بنو إسرائيل فيأخذون منه ما يكفي يومًا واحداً فمن ز د على ذلك فسد طعامه ، وبعـد قرية انطرفا سرنا وعلى يمين الطريق فـتحات تؤدي إلى وادي التيه وجبال التيه عن يمين الطريق والجبل الأحمر وجبل سربال عن يساره كلما تقدمنا في الطريق كلما ارتفعت الجبـال من حولنا لأن الطريق من كاتربن إلى خليج السويس يشكل منحدراً وبعد خمسين كم من كاترين وصلنا قرية الطرفا وفيـران التي تحيط بهـا الجبال العـالية إلا أن الوادي عندها مـتسـعًا في شكل دائري حـول القرية وهي مليـئة بالبـساتين الغـامرة والنخـيل القديم المتـراكم ويجرى بالوادي عندهـا بعض المياه وقد تغـوص السيارة في الميـاه التي تجري على الطريق بين غـابات النخيل والـفاكـهة المنـتشرة على جـانبي الطريق في سفوح الجبال .

وقرية فـيران بها مـبان إدارية ومسـاكن خلفهـا اليهود وراءهم ومـساكن أقامتها المحافظة ونقطة شـرطة ورئاسة الحي أو المدينة وهي اليوم تسمى مدينة فيران وبها عدد كبير من السكان وتنتشر الأشجار والمساكن على جانبي الطريق في قرية فـيران وفي الطريق بعـدها بمسافة خـمسة كـيلو مترات وتظهـر قرية الحسوة وبـها مسـاكن على جـانبي انطريق وأشجار إلا أن [illegible] يقل كلما اتجهنا غربًا حتى [illegible] بقريـه المكتب قبل مفارق الطور كاترين بحوالي ٢٠ كم وفيهـا صخور عليهـا كتابات نبطيـة وأخرى عربية ومصـرية قديمة ، وقيل: أنها من أول الأماكن التي ظهرت فيها الكتابة في الأرض .

ويمتد الطريق مـن كاترين إلى مفـارق الطور بطول ١١٠ كم ويعتـبر من

أكثر الأماكن في سيناء عمرانًا والبيوت والقرى والمدارس والمساجد والأشجار تمتد على جانبي الطريق في أغلب الأماكن تقريبًا ، وقد كان هذا الوادي قديمًا تجري به الأنهار وتكثر به المزروعات أكثر من الآن وما من قبيلة من قبائل سيناء إلا ولها شجر ونخيل في وادي فيران ولهم حضور في أوقات جني الثمار وإقامة لعدة أيام حيث يعملون في جمع التمر والثمر كل يأخذ نصيبه ثم يعودون إلى ديارهم فقد كان هذا الوادي من قديم التاريخ مزرعة سيناء .

والطريق من كاترين إلى الطور يعطي السائر فيه جوًا من الروعة والفخامة والبهاء بألوان الجبال الحمراء والزرقاء تتخللها بعض خطوط عرضية سوداء لمعدن الحديد أو بعض المعادن التي تتأكسد مع نزول المطر ويظهر كل معدن بلون خاص به فيعطي أشكالاً وألوانًا توحي بالأصالة والقوة والجمال وتقول : أين المستثمرون المصريون ليأخذوا من هذه الكنوز الموجودة على جانبي الطريق وفي باطن الجبال ؟

وبعد قرية فيران يضيق الوادي وترتفع الجبال فتشعر أنك تسير في مدينة عظيمة قديمة تضرب في باطن التاريخ وتحكي قصة وجودها وخلقها وألوانها التي أبدعها الخالق وخاصة أن الجبال بعد قرية فيران يتغير لونها من اللون الأحمر إلى اللون الأزرق والأخضر والأسمر وهي منظر يسحر الألباب ويسعد النظر بقدرة الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى .

وسارت القافلة حتى وصلنا إلى مفارق الطور كاترين على بعد حوالي ٦٠ كم شمال مدينة الطور وحيث يلتقي الطريق النازل من كاترين بالطريق الذاهب إلى الطور من نفق الشهيد أحمد حمدي إلى شرم الشيخ بطول ٣٦٦كم ، ومن الشمال إلى الجنوب وهو مقارب لساحل خليج السويس وعلى إحدى الاستراحات الموجودة بالمفارق جلسنا لتناول كوبًا من

الشاي وللتمتع بمنظر هذا المكان الذي يقع شمال سهل القاع وغرب طريق كاترين ويقابله جبل حمام موسى على شاطئ الخليج وحيث يمر سهل القاع بين جبل حمام موسى أي الجبل الغربي وجبل سربال من الشرق .

يقول نعوم شقير عن هذه الجبال : أما بلاد الطور فهي شبه الجزيرة نفسها الواقعة بين شطري البحر الأحمر كما مر ومساحتها على وجه التقريب نحو عشرة آلاف ميل مربع وهي بلاد جبلية وعرة ولعلها أوعر بلاد جبلية على سطح الكرة الأرضية فنرى الجبال فيها متراكمة بعضها فوق بعض كأنها بحر عجاج متلاطم الأمواج قد أمر بغتة أن يجمد فجمد كان كما في أبان هياجه، وهذه الجبال تعلو في الوسط وتنحدر تدريجيًا إلى الشرق والغرب فتسيل منها الأودية إلى خليج السويس وخليج العقبة ثم إن جبال هذه البلاد الشرقية تقتحم خليج العقبة حتى نكاد تغوص فيه فلا تترك إلا طريقًا ضيقًا على شاطئه ولكن جبالها الغربية تنحسر عن خليج السويس في أكثر جهاته فتترك وراءها ثلاثة سهول رملية عظيمة وهي من الشمال سهل الراحة بين جبال الراحة وخليج السويس ويمتد من شط السويس إلى حمام فرعون عند ميناء ملعب مسافة نحو ٦٠ ميلا في رأسه واحة عيون موسى وسيأتي ذكرها فما بعد .

« وسهل المرفا » ويمتد من ميناء أبو رديس ويمتد جنوبًا نحو خمسة أميال إلى مصب فيران «أي في المكان الذي نحن فيه الآن مفارق الطور كاترين» وقال نعوم شقير : والمعروف أن سهل المرفا هو المعروف في التوراة ببير ياسين حيث تذمر الإسرائيليون من الجوع فأرسل لهم المن والسلوى لأول مرة (خروج ص ١٦ عدد ١) ، قال :

« وفي هذا المكان عسكر بنو إسرائيل حتى ذهب موسى للقاء ربه عند

حمام موسى وجاء بالتوراة ، وهذا المكان هو جانب الطور الأيمن » .

وسهل القاع يبدأ حيث ينتهـي سهل المرفا ، أي : يبدأ من مفارق الطور كاترين ، قال ويمتد حتى رأس محمد جنوبًا مسافة تسعين ميلاً تقريبًا وعرضه عند مدينة الطور نحو ١٤ ميلاً ولكنه من مصب فيران إلى مدينة الطور يتقهقر نحو البر فيفصـل بينه وبين البحر جبال مستطيلة قليـلة الارتفاع أشهرها جبل حمام موسى وجبل الناقوس .

●● ●● ●●


وصف حمام موسى



وصف حمام موسى

ومن بداية سهل القاع سرنا في اتجاه الجنوب إلى مدينة طور سيناء ، فوصلنا حمام موسى حوالي العاشرة صباحًا ، وقال لنا مندوب المحافظة سوف ندخل الحمام أولاً ثم نأتي لنصعد الجبل والكافتيريا الموجودة بجانبه ، ودخلنا باب الحمام وهو عبارة عن حديقة متسعة من النخيل في أسفل جبل حمام موسى وحيث يبدو الجبل وكأنه قطع بالسكين أنه ينحدر في طرفه الجنوبي بعرض حوالي ثلاثة كيلو مترات انحدارًا فجائيًا دون تسلسل تدريجي والمكان يحدِّثُ عن نفسه أنه حدث هنا حدث مهم ، ودخلنا الحمام وجلسنا بين النخيل حيث قامت المحافظة بإعداد الحمام وتجهيزه كمنتزه جميل وبه أرائك خشبية ومقاعد وينحدر الماء من الحمام فيمر في منحدرات ويصب في حوض كبير بني من الحجارة الحمراء وشدت جدرانه بالإسمنت المقوى تتجمع فيه المياه الخارجة عن الحمام وهي مياه كبريتية دافئة .

ومن هذا الحوض تخرج خراطيم المياه لتروي أرض الحمام ونخيله وأشجاره ، إنه بستان جميل هادئ يريح الأعصاب وتسكن عنده النفس زرعت أرضه بالحشائش الجميلة وضعت به الطرقات المحاطة بالحجارة الملونة وانتشرت به بين النخيل أنواع من الأشجار قديمة وجميلة والمكان يشعرك بالهدوء والسكون وشمسه منعشة وهواؤه عليل ونسماته تداعب وجه الزائر ويجواره وعلى قرب منه خليج السويس بمياهه المائلة للخضرة والبياض

وأمواجه الهادئة والمكان كله يسبح بحمد الله الخالق البارىء المصور .

وسرنا قليلاً نتريض بين الأشجار والنخيل ونتحادث جماعات ومجموعات مثنى وثلاث ورباع ، وبعد قليل قال لنا مندوب المحافظة : إن الحمام أصبح فارغًا وجاهزاً لكم لتدخلوه حيث تم إخراج الذين كانوا فيه من العائلات ومعهم نساؤهم وأطفالهم ودخلنا الحمام وهو عبارة عن مبنى من الأحجار وسقفه من الخرسانة المسلحة وبه غرف لخلع الملابس وتغييرها وله باب خشبي واسع يغلق بعد أن يدخل الزوار وهو أشبه بحمام سباحة مغطى أو صالات الألعاب المغطاة .

ويقول فيه نعوم شقير : وجبل حمام موسى ، وهو جبل صغير على خليج السويس على بعد أربعة أميال من مدينة طور سيناء فيه سبعة ينابيع كبريتيه حاره وقد بنى المغفور له سعيد باشا فوق أحدها حمامًا لا تزال آثاره باقية إلى الآن بقرب هذا الجبل ميناء أبو صويرة .

والحمام الذي أسسه سعيد باشا هو حمام موسى إلا أن المحافظة قامت على ترميمه وإعداده للزوار وحول الحمام رصيف من الحجارة الحمراء المثبتة بالأسمنت عرضه حوالي مترين وطول الحمام حوالي ٢٠ متراً وعرضه حوالي ١٠ أمتار وتنبع عيون ماء كبريتية دافئة من الجبل فتصب ماءها في الحمام وهي قليلة الملوحة ويستحم فيها الزوار وهي دائمة التجدد فَبمَا ينزل من الجبل إلى الحمام يخرج مثله من أعلى الحمام في مواسير لصرف المياه ، وفي أيام الصيانة تفتح منافذ الحمام السفلى فتصرف الماء كله حيث يتم غسل الحمام ، ونزل الشباب إلى الماء وبقي الشيوخ ينظرون إليهم حتى شبعوا من الاستحمام والماء الدافئ فخرج الجميع مودعين حمام موسى وهم يقولون : ياليتنا نمكث هنا أكثر من هذا الوقت ما أجمل هذا المكان وأربوعه .

سوف نحاول العودة إلى هنا أكثر من مرة ، لقد جئنا إلى جنوب سيناء في مأمورية عمل وكنا نخاف من الجهد والمشقة ووعورة الطريق ووعورة الجبال ولكن في الحقيقة رحلة ممتعة وجميلة لا يسأم منها الزائر وأنه ليود أن يقيم بكل مكان بها أكبر مدة ممكنة .

وعند باب الحمام رأينا في الجهة المقابلة في سفح الجبل سلمًا واسعًا يرتفع حوالي ٢٠ مترًا عن باب الحمام ويؤدي إلى استراحة كبيرة على تبة في سفح الجبل وعليها سقف خشبي من الخشب الذي يشبه الأرابيسك أعواد من الخشب بالطول والعرض تأتي بالظل ولا تحجب الهواء وبها مناضد «ترابيزات» من الخشب والبلاستيك وكراسيّ جميلة الألوان وعليها مفارش جميلة منقوشة وجلسنا نشرب الشاي أو أي نوع من المشروبات كل حسب رغبته .

وحضر إلينا في هذه الاستراحة رئيس مدينة طور سيناء وتناول معنا الشاي ثم قال إن هذا السلم يرتفع في سفح الجبل حوالي ١٢٠ مترًا ثم يأتي بعده منحدر فوق الجبل متدحرج بارتفاع ١٠ أمتار فيكون ارتفاع الجبل من مداخل الحمام حوالي ٢٥٠ مائتين وخمسين مترًا ،قد سمعنا أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام كان يصعد هنا فوق الحمام ويجلس على الجبل ليناجي ربه فهل ترغبون في صعود الجبل ؟ فقالوا جميعًا نعم ، ولكن يجب أن نراعي كبار السن فنتعامل معهم برفق وهدوء «**فالضَّعيف أمير الركب**» كما يقول رسول الله ﷺ ، وقمنا وبدأنا بالصعود مع درجات السلم وعند نهايتها جلسنا قليلاً ثم صعدنا قليلاً وجلسنا ثم صعدنا بحمد الله فوق الجبل في أعلى مكان، وتوجهنا نحو الجنوب فرأينا مدينة طور سيناء قائمة بمبانيها الحديثة والجميلة وبينها وبين الحمام حوالي سبعة كيلو مترات تقريبًا ثم نظرنا شرقًا فإذا الطريق الذي جئنا منه طريق السويس الطور وأمامنا قرية من قرى الطور

على يسار الداخل إلى الطور وبعد نقطة المرور تسمى قرية وادي الطور وهي بجوار جبل الحمام ويجوار الطريق أرضها منخفضة قليلاً ومبانيها بسيطة وحولها أشجار وبساتين وأعناب ويطل عليها من الشرق جبل سربال العظيم أو جبل الطور لأن جميع الجبال الواقعة جنوبي بلاد التيه تسمى جبال الطور، ثم نظرنا إلى الغرب فرأينا أنفسنا فوق الجبل على شاطئ خليج السويس بمياهه الزرقاء وبأمواجه الهادئة الجميلة والسفن وقوارب الصيد تبدو على سطحه مثل علامات صغيرة مضيئة وهو كما يقول نعوم شقير ، يحد سيناء الجنوبية من الغرب فطوله من السويس إلى رأس محمد نحو ١٥٠ ميلاً وعرضه من عشرة أميال إلى ثمانية عشر ميلاً وعليه مو نئ عيون موسى وأبو زنيمة وملعب وأبو رديس .

وميناء طور سيناء على نحو خمسة وخمسين ميلاً من أبو رديس ومائة وخمسة وثلاثين ميلاً من السويس بشاطئ البحر ومائة وخمسة وعشرين ميلاً بالطريق البواخر ، وهو أشهر موانئ سيناء وأقدمها .

ومن الشمال نظرنا إلى سطح جبل حمام موسى حيث ينقص ارتفاعه كلما سرنا شمالاً لكن جبل حمام موسى عليه ظاهرة تجريدية فصخوره ملساء مستوية فيه تعاريج مثل المطبات انصناعية الملساء على الطرقات وهو أشبه بقصعة العجين اليابس الذي وضع الخباز يده فيه فضغط عليه فارتفعت بعض أجزائه وانخفض البعض الآخر ولكن في نعومة وتقوس وليس تكسر أو تحجر مثل سطح بقية الجبال ، بالله ما أبدع هذه المناظر من جميع النواحى إننا في حوالي الثانية عشرة ظهراً والهواء هنا جميل لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة .

قال أحد الحاضرين: إن هذه لأماكن تنطق بأنه كان في هذا المكان حدث

عظيم فما هو يا ترى ، فقلت لهم : إني أعمل هنا منذ عشر سنوات أو أكثر أراقب هذه الأماكن وأقرأ القرآن الكريم وأجد في آيات القرآن الكريم أموراً تلفت النظر فيما جرى على هذه الأرض من أحداث في قصة موسى عليه السلام ، إن القرآن الكريم لا يهتم غالبًا بتحديد الأماكن التي تقع فيها الأحداث ويأتي بها في صورة عامة كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ولم تحدد مكانها وقوله : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ ولم يحدد مكانه وغير ذلك كثير وكثير إلا في قصة موسى عليه السلام فقد جاءت في القرآن مكررة ومحددة في أغلب أماكنها .

نقد جاء في سورة القصص قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، وأهل التفسير جميعًا لم يهتموا ببيان المكان كما بينه الله سبحانه وتعالى حيث ذكروا في ذلك أقوالاً ترجع كلها إلى الجبل الذي ناجى عليه رب العزة موسى ، وأن ذلك كان رحمة لأمة محمد ﷺ فقد نودوا أن يا أمة محمد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وهذا كله جيد لا غبار عليه وليس لنا أن نقول فيه أكثر مما قال المفسرون أو المحققون يرون في بعض الآثار الضعف وهذا أيضًا لا يهمنا الخوض فيه .

أما ما يلفت النظر في الآيات الكريمة أنها فرقت بين جبل المناداة وجبل المناجاه ومن المعلوم لغويًا أن العطف بالواو يقتضي المغايرة فنقول والله أعلم أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾ وهو الجبل الغربي الذي نقف فيه هو الجبل الذي ناجى فيه موسى ربه سبحانه وتعالى وأن هذا الجبل كان أطول من هذا وكان ممتداً حتى مدينة طور سيناء ولما تجلى

نور الله سبحانه لـلجبل اندك المكان الذي كان أمام موسى وحـتى مدينة طور سيناء حيث قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] اندك المكان من هيبة الله ومن خشية الله ولولا وجود موسى عـلى الجبل لاندك كله ولكن المكان الذي اندك يبدا من حمام موسى حتى مدينة الطور سيناء ولا يوجد في جبال الطور أو كاترين ولا جبل المنـاجاة ولا جبل الصفاصفة مـثل هذا المكان الذي سوى بالأرض إنهم يشيـرون .لى بعض الأماكن خلف الدير يـقولون : إن هذا هو المكان الذي اندك فيه الجبل كيف وجبل كاتـرين ومما حوله يرتفع ارتفاعًا كبيراً عن سطح البحر ، والقدرة الربانية فوق ذلك كله والآية تقول : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ أن حبل حمام موسى هو الجبل الذي نزلت عليه التوراة لعدة أسباب :

١ - الجبل قد قطع كأنه قطع بسكين وسوى بالأرض وهذا الأليق بتفسير الآية الكريمة .

٢ - بقية الجبل هبط بعد أن كان عالـيًا وظهرت عليه آثار الهبوط وسوى سطحه وبقى مـتعرجًا أملسًا كأنه وعـاء للعجين اليابس تعرض للـضغط عليه بغطاء أملس متعرج .

٣ - إن الجبل الغربي في سيناء هو جبل حمام موسى على شاطئ الخليج وليس بعده شيء .

٤ - إن بني إسر ئيل عـندما جازوا لموعد ربهم مع مـوسى وقفوا في وادٍ متسع كانوا جمعًا كبيراً في رواية التوراة ولكنهم في رواية القرآن الكريم كانوا

سبعين رجلاً ، وقد ذكرت التوراة أن بني إسـرائيل وقفوا في واد متسع بجوار جبل منخفـض يرى من بجوار الجبل في الوادي من هو فـوق الجبل وموسى ومن معـه كانوا في هذا المكان في سـفح الجبل وقف أصحاب مـوسى وفوق الجبل صعد مـوسى ، وفي رواية التوراة وقف شعب إسرائيل وكـانوا ستمائة ألف في الوادي وصعد مـوسى فوق الجبل الذي يرى من فوقـه من تحته ومن تحته من فوقه .

٥ - الآية الكريمـة في سورة طه تؤيد هـذا القول فالله سـبحانه وتـعالى يـقـول : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ [طه: ٨٠] ولم يقل وواعدناكم قمة الطور أو سطحه .

٦ - قام أحـد الموظفين بمديرية الـزراعة بجنوب سـيناء بالحفـر في مكان يسمى مـصيعد بـين مدينة الطور والحمـام فأخرج مسـحوقًا أصفـر به رقائق مستديرة تشبـه قشور السمك فظن أنها بلورات من الذهب فـجمعه في وعاء كبير «جوال» وأخذه إلى أحد المعامل بالقاهرة لتحليله هل هو ذهب ؟ فكانت نتيجـة التحليل أن هذه حـجارة مطحونة أي مدكـوكة حيث تم عليـها ضغط شديد فطحنت فصارت بللورات .

٧ - كنا نظن أن الكتاب غير المسلمين الذين تعرضوا لتحديد مكان الجبل الذي نزلت عليه التـوراة مجمعون على أن هذا الجبل فـي كاترين أو بجوارها وكان نعوم شـقير وهو كاتب مسيـحي متدين قد أورد في كتابـه تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها عكس ذلك وأن هذا المكان يختلف فيه ، حقًا إن المفسـرين جميعًـا من المسلمين لم يـهتموا بهـذا المكان وتحديده ولكـن القرآن الكريم قد اهتم وحـدد وأشار إلى ذلك إشارات واضحة وصريـحة ونحن هنا نتحدث عن رواية القرآن الكريم وليس عن روايات الكتاب الأقدمين ، ولكننا

سوف نسوق ما قاله نعوم شقير في هذا الموضوع .

في صفحة ٤٧٨ تحت عنوان « مباحث الخروج » قال : ولنعد إلى مباحث الخروج فإن هذا الحادث العجيب على عظم أهميته لا نعلم عنه شيئًا صريحًا إلا عن طريق التوراة والقرآن ولم يعثر بعد على أثر من الآثار المصرية أو السورية يشير إليه صريحًا ويرجع عدم وجود أثر له في مصر لأن ملوكها لم يحيوا من الحوادث إلا ما خلد لهم الفخر وطيب الذكر لا الخيبة والفشل كحادث الخروج هذا وقد باد سكان سيناء الأصليون وبادت لغتهم وتغيرت أسماء الأمكنة التي مر بها الإسرئيليون عند اختراقهم سيناء حتى أنه لم يكد يبقى مكان معروف باسمه القديم لذلك اختلف الباحثون في تفاصيل خبر الخروج في الملك الذي خرج الإسرائيليون في عهده والمكان الذي خرجوا منه من مصر والمكان الذي عبروا منه البحر الأحمر والطريق التي ساروا بها في سيناء والمكان الذي حاربهم فيه العمالقة والجبل الذي نزلت عليه التوراة والبلاد التي تاه بها الإسرائيليون وعدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر وحقيقة المن والسلوى وغير ذلك من مباحث الخروج ، وهذا ولعلماء التوراة والمؤرخين والمحققين في هذه المباحث آراء شتى وتخمينات كثيرة ألمعنا إلى بعضها في باب الجغرافية وأظهر تلك الآراء في مباحث الخروج .

قال نعوم شقير في تاريخ سيناء ص ٤٧٩ وأظهر تلك الآراء :

١ - أن الإسرائيليين خرجوا من مصر في عهد منفتاح بن رمسيس الثاني من ملوك الدولة التاسعة عشرة وأن مدينة رمسيس هي الخرائب المعروفة الآن بتل المسخوطة في مديرية الشرقية وأنهم عبروا البحر الأحمر بالقرب من مدينة السويس وأن شق البحر الأحمر بالقرب من مدينة السويس وأن شق البحر الأحمر بريح عاصفة عند عبور بني إسرائيل ورجوعه عند مرور مركبات*

فرعون يعللان بالمد والجزر المشاهـدين إلى الآن في رأس البحر الأحمر وأنهم بعد دخـولهم سيناء ساروا بـطريق «البتراء» فاتـوا عيون موسى فـعين الهوارة «مارة» فعين غرندل «إيـليم» فتسهل المرفا «برية سين» فوادي فـيران «ريفيديم» وأن العمـالقة حاربوهم فـي هذا الوادي قرب العين في المكان المعروف الآن «بحصى الخطاطـين» وأنهم ساروا من هذا الوادي إلى جبل مـوسى وأن جبل الصفـصافة هو الجبل الـذي وقف عليه بنو إسرائـيل وتلقوا الشريـعة من فم موسى وأنهم بعد أن قضوا نحو سنة عند جبل موسى عادوا إلى طريق البتراء فمروا بعين حدره «حـضيروت» ، وهبطوا شاطئ خليج الـسويس عند نويبع وساروا إلى عـصيون جابر وأيـلة على رأس الخليج ومن هـناك ساروا بوادي العربة بوادي «طابا» أو بوادي «العين» إلى أن أتوا وادي الجرافي ثم ساروا منه شمالاً إلى بريـة عين قديس فقضوا فـيها بقية الأربعين سـنة ، ثم عادوا إلى عصيون جابر وأيلة وداروا حول بلاد آدوم مـن الشرق فذهبوا بوادي اليتم إلى أن أتوا طريق دمشق الشام فساروا فيـها إلى الشرق نحو الأردن ثم عبروا هذا النهر إلى أرض الميعـاد وأن المن الذي كان طعامهم كل مدة تغـربهم في سيناء ليس صمغ الطرفـاء الذي قال به البعض : لأن هذا لا يظهـر إلا عند اشتداد الحر في شـهري يونيـو ويوليو وكل مـا يمكن جمعـه عنه في السنـة لا يكفي شخصًا واحدًا ستة أشهر بل هو حـب عجيب كان ينزل لهم مع الندى ويقول الكتـاب أنه «كبزر الكزبرة أبيض وطعـامه كرقاق بعسل» وأن طائر الـسلوى الذي نزل عليه في برية سين ثم في عين حـضيروت هو طائر السمان أو طائر الجراد.

وقد نشر الإفرنج عـدة كتب في هذه المباحث كلها ومن أنفســها وأحدثها كتاب «من النيل إلى نبو» للعلامة الدكـتور هكتز من كبار المرسلين الأمريكان في بيروت نشره في أمريكا سنة ١٩١١م ، وبسط فيه آراءه وأهم آراء الباحثين

في جميع المواضيع المشار إليها ولست أقصد في كتابي هذا بسط تلك الآراء وإبداء الرأي فيها كلها لأنه لا يسع الكتب أن يبدي رأيًا مسموعًا في مثل هذه المباحث الهامة الغامضة إلا إذا سار في طريق الخروج من أولها إلى آخرها وكان له الإلمام التام بجغرافية مصر وتاريخها القديم والحديث وفي تاريخ الكتاب المقدس وتفسيره كالدكتور هكنز .

ولكان كلما كان موضوع كتابي هذا يقضي علينا بطرح هذه المواضيع وكنت زرت أكثر الأمكنة الواقع الخلاف عليها لم أر بدًا من إلقاء دلوى في الدلاء وأن أقول كلمتي في الأمور الآتية وهي :

١ - طريق موسى أو طريق لإسرائيليين في سيناء .

٢ - عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بطريق سيناء .

٣ - الجبل الذي نزلت عليه الوصايا العشر .

٤ - البلاد التي تاه بنو إسرائيل بها ، انتهى كلام نعوم شقير .

ونقول : إن هذه النصوص تدل صراحة على أن الموضوعات الأربعة التي ذكرها نعوم شقير ليدلي فيها موضوعات خلافية لم يصل فيها أحد من المحققين إلى حقيقة كاملة وهذه الموصوعات هي :

١ - طريق موسى أو طريق الإسرائيليين في سيناء .

٢ - عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بطريق سيناء .

٣ - الجبل الذي نزلت عليه الوصايا العشر .

٤ - البلاد التي تاه بها بنو إسرائيل .

هذه الموضوعات كلها ومعها موضوعات أخرى ذكرها في ص ٤٧٨ وسوف نتعرض لكل موضوع من هذه الموضوعات عند الحديث عنه .

هذا وقد اعتمد نعوم شقير على مراجع كثيرة وعلى رحلته فى سيناء لكنه لم يعتبر القرآن اكريم مرجعًا له إما لعدم إلمامه بالتفاسير أو لعدم إيجاد أى اعتراضات عليه فى حاله وزمانه فكتابه كتب عام ١٩٠٦م ولكن هدف البحث الذى تعرضنا له هو إبراز ما فى القرآن الكريم من حقائق متصلة بالموضوع والقرآن الكريم إذ تعرض للتاريخ فهو أوثق المصادر التاريخية والتى نؤمن بها، ومن هنا فإنا سوف نتعرض فى موضوع الجبل الذى نزلت عليه الشريعة على سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أو ما يسمى «جبل المناجاة» وقد تحدثت عن أن جبل حمام موسى هو جبل المناجاة وهو الجبل الذى نزلت عليه الشريعة بنص الآيات المحكمات فى سورة القصص وقد ذكرت ذلك وأوردت سبعة أسباب دعتنى للقول بأن جبل حمام موسى إن شاء الله هو جبل المناجاة .

وأن قوله تعالى فى سورة القصص : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

فهذه الآيات تشير إلى نعمة الله سبحانه وتعالى التى أنعمها على رسوله محمد ﷺ فعلمه وقص عليه أخبار من مضى من الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام حيث لم يكن محمد ﷺ حاضراً للمناداة أو المناجاة ولا لإقامة موسى فى أرض مدين فكلها من أخبار الغيب يقصُّها رب العزة سبحانه وتعالى حيث لا يقدر على ذلك غيره وأنها هى أصدق الأخبار وأوثقها : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

والمفسرون ذكروا فى الآيات الثلاث أقوالاً : فذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

الشَّاهِدِينَ﴾ قال : يعنى ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربى التى كلم الله موسى من الشجرة التى هى شرقية على شاطئ الوادى وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله سبحانه أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانًا على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين » إذن فهو يشير إلى أن الجبل الغربى الذى كلم الله موسى من الشجرة الشرقية بشاطئه .

ومن المعلوم أن المفسرين يتحدثون عن المعنى المراد والعطاءات المختلفة التى جاءت لرسول الله ﷺ من عالم الغيب أما تحديد الأماكن فليسوا مهتمين بها فابن كثير يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نودوا أن يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى وأجبتكم قبل أن تدعونى ، ثم ذكر آراء العلماء فقال قال قتادة : «وما كنت جانب الغربى إذ نادينا موسى » هذا والله أعلم أشبه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وكذلك ذكر القرطبى فى تفسيره وكذلك الطبرى والله أعلم .

وإنا لا نقول فى كتاب الله سبحانه بما لا نعلم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ لكننا نقول أن الآيات الثلاث من سورة القصص أرقام ٤٤, ٤٥, ٤٦ ذكرت تحديد مواقع وتكرار عطاء لم يهتم به المفسرون قديمًا حيث لم يأت أحدهم إلى هذا المكان ولا عاينه ولا فكر فى تحديد مواقفه ولكنهم تتبعوا العطاء الربانى لرسول الله محمد ﷺ وأمته .

وتفيد الآيات الكريمات حسب الموقع والمشاهدة ثلاثًا من النعم متكررة أولاً فى الجبل الغربى الذى تحدث عنه ابن كثير وثانيا فى أرض مدين وثالثا بجانب الطور فهذه ثلاثة أماكن عطف بعضها على بعض بالواو والتى من

شأنها أن تقتضى مغايرة ما بعدها لما قبلها فالجبل الغربى غير أرض مدين غير جانب الطور ثلاثة أماكن مختلفة جرت بها وقائع ونعم مختلفة لم يكن يعلم بها رسول الله محمد ﷺ وتفيد الآيات بوجود واد متسع له شاطئ ووجود الجبل الغربى وهو مغاير لجبل الطور ويقابله ونظن والله أعلم أنه جبل حمام موسى للأسباب المتقدمة ولأن مظاهر الآيات القرآنية كلها تدل على وجود عمل عظيم وكبير له آثار موجودة على الأرض حيث قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وفى تفسير القرطبى والطبرى وابن كثير وغيرهم إجماع على أن موسى عليه الصلاة والسلام واعده ربه أن يصوم ثلاثين ليلة فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما انتهت استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين وقد اختلف المفسرون فى هذه العشرة ما هى ؟ فقال مجاهد ومسروق وابن جريج وروى عن ابن عباس : إنها العشر الأوائل من ذى الحجة والثلاثين من شهر ذى القعدة فيكون قد كمل بها الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب إلى الطور كما قال تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ الآيه فحينئذ استخلف موسى على بنى إسرائيل أخاه هارون ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد وهذا تنبيه وتذكير والأخ هارون عليه السلام نبى شريف كريم على الله له وجاهته وجلاله صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وقد قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : لما استاك موسى أوحى الله

إليه: يا موسى لا أكلمك حتى يعود فمك إلى ما كان عليه أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إلى من ريح المسك وأمره بصيام عشرة أيام وكان ضرب الأجل للمواعدة سنة ماضية ومعنى قديم أسسه الله تعالى فى القضايا وحكم به للأمم وعرفهم به مقادير التآخى فى الأعمال وأول أجل ضربه الله تعالى الأيام الستة التى خلق فيها جميع المخلوقات فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ .

وأن بنى إسرائيل قد علموا أن الله ضرب لموسى أجلاً ثلاثين يومًا فلما زاده العشرة كانت فتنتهم فى العشرة التى زادها الله بما فعلوه من عبادة العجل، ثم قال أيضا ودلت الآية على أن التاريخ يكون بالليالى دون الأيام لقوله : ﴿ ثَلاثِينَ لَيْلَةً ﴾ لأن الليالى أول الشهور وبها كانت الصحابة رضى الله عنهم تخبر عن الأيام وروى عنها أنه كانت تقول : صمنا خمسًا مع رسول الله ﷺ ، والعجم تخالف فى ذلك فتحسب بالأيام لأن معولها على الشمس.

ابن العربى يقول : وحساب الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن كثير فى تفسيره : يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التسليم من الله تعالى سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ .

وقد أشكل حرفا لن هنا على كثير من العلماء ، لأنها موضوعة لنفى التأبيد فاستدل به المعتزلة على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة وهذا أضعف

الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الجمهور على جواز الرؤية لله سبحانه في الآخرة ، وقد جاء في الكتب المتقدمة بأن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى : إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولهذا قال : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ .

وقد أورد ابن كثير كثيراً من الروايات في تفسير ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ ومنها ما رواه السدي عن عكرمة عن ابن عباسي في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ودكا يعني ترابا ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ قال : مغشيًا عليه رواه ابن جرير.

وقال قتادة : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ قال ميتًا وقال سفيان الثوري : ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال سنيد عن حجاج ابن محمد الأعور عن أبي بكر الهذلي: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة .

ثم قال بعد ذلك روى الإمام أحمد في مسنده قال حدثنا أبو كامل حثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب بن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعبدالرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم : والذى اصطفى محمد على العالمين فقال اليهودى : والذى اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودى فلطمه فأتى اليهودى رسول الله ﷺ فسأله فأخبره فدعاه رسول الله ﷺ

فاعترف بذلك فقال رسول الله ﷺ : **لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى ممسك بجانب العرش فلا أدرى أكان ممن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل »** أخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى به .

وفى رواية : «**فلا أدرى أكان ممن أفاق قبلى أم أنه جوزى بصعقة الطور**» ثم قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد جاء فى بعض الروايات أن موسى عليه السلام ظل أربعين يومًا بعد المناجاة لا يراه أحد إلا مات من وقع النور الربانى عليه وهناك أحاديث تشير إلى أن الله سبحانه حجابه النور وأنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

والشاهد من الآيات والأحاديث أنه كان هناك حدث عظيم لا يجوز المرور عليه بالسرد دون الالتفات والربط بين أجزائه ، والمفسرون أجمعوا على أنه حدث للجبل أمر عظيم حتى قال بعضهم : أنه ساخ فى الأرض فهو يتجلجل فيها وقال بعضهم إنه نزل فى البحر وقال بعضهم : إنه سوى بالأرض وقال آخرون صار ترابا فهل هذا الحدث العظيم يبقى على الأرض دون شواهد وآثار تدل عليه .

ونقول : إن هذا الحدث حدث فوق جبال الطور عند كاترين فى جبل سربال أو جبل الصفصافة وكلها جبال عالية عاتية شامخة لا يبدو عليها أى أثر للدك أو النزول فى الأرض أو أنها سويت بالأرض أو صارت ترابا .

أما جبل حمام موسى ، فيجوز أن نسميه الجبل الساجد الذى هبط من تجلى الله بنوره سبحانه وتعالى عليه والذى انقطع عند حمام موسى بانحدار فجائى كعضو قطع فجأة بسكين مسنونة ، وأن أرض الحمام إلى مدينة طور سيناء قريبة جدًا من سطح البحر «خليج السويس» ولعل بعض الجبل قد

غاص فى البحر ولولا وجود موسى عليه السلام فوقه لاندك محله ولولا أن المجال مجال العطاء والرحمة والرسالة والعلم والتعليم لاندكت كل الجبال المحيطة ، فهذا الحدث العظيم واضح وظاهر فى جبل حمام موسى وأثره ولسان حاله يقول ذلك ويحكيه .

إن العاملين بمدينة طور سيناء قد ينقلون إلى أماكنهم الأصلية فى محافظات الدلتا والوادى ،لكن نفوسهم تهفو للعودة إلى أرض مدينة الطور نظرًا لأنها البقعة الوحيدة فى الأرض التى تجلت لها الأنوار الربانية سواء فى جانب جبل الطور للمناداة أو عند حمام موسى للمناجاة حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ مخاطبًا سيدنا محمد ﷺ .

إن الأرض بجوار جبل حمام موسى والمكان بينه وبين مدينة طور سيناء لتشع منها آشعة جميلة نورانية فى الصباح ومع إشراق الشمس وارتفاعها تهوى إليها القلوب الرقيقة وتأخذ بالألباب الواعية وتزيل الهم والحزن عن القلوب السقيمة والألباب الحائرة .

إن موسى عليه الصلاة والسلام عندما أراد أن يسافر للقاء ربه وكَّل أخاه هارون على بنى إسرائيل لأنه سيسافر مسافة طويلة من جوار جبال كاترين إلى مدينة الطور وجبال مدينة الطور ، وليست المسافة قصيرة كما قال بعض المؤرخين الذين جعلوا كل الأحداث موجودة حول دير سانت كاترين . والأصح أنه سار من مفارق الطور وكاترين حيث كان يقيم بنو إسرائيل فى نهاية سهل المرفا وبداية سهل القاع كما ذكر القرآن والتوراة .

إننا نسوق حديث نعوم شقير عن الجبل الذى ناجى فيه موسى ربه ، يقول نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ص٤٨٢ بعنوان «جبل الشريعة» :

أما بشأن جبل الشريعة أى : الجبل الذى نزلت عليه الشريعة فقد انقسم الباحثون فيه إلى فريقين ، فريق يقول : إنه جبل سربال وفريق يقول : إنه جبل الصفصافة أحد قمم جبل موسى ولكل من الفريقين أدلة وبراهن يؤيد بها رأيه ،غير أن المتتصرين لسربال لم يأتوا لنا إلى الآن فى كل ما كتبوه بتفسير معقول لما جاء فى سفر الخروج ص١٩ عدد١٢ : ١١ وهذا هو نصه :

فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل عن أرض مصر فى ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء رتحلوا من ريفيديم إلى برية سيناء فنزلوا فى البرية هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل فقال الرب لموسى : هاأنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين اليوم الثالث ينزل الرب أما عيون جميع الشعوب على جبل سيناء وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه كل من يمس الجبل يقتل قتلاً .

فهذا النص يخص جبل الشريعة بثلاث حالات الأولى كونه يطل على برية أو سهل يسع جميع الإسرائيليين ، والثانية أنه قائم كسور على ذلك السهل حتى يمكن الواقف فى السهل أن يمسه بيده والثالثة أن كل من فى السهل يستطيع أن يرى من على رأس الجبل ويسمع صوته ، وهذه الحالات الثلاث ليست على جبل سربال وهى متوافرة كل التوافر على جبل الصفصافة.

أمّا جبل سربال فإنه فضلاً عن كونه منحدراً تحدراً عظيمًا ورأسه يبعد عن سفحه بعداً سحيقًا ليس فى سفحه سهل كبير أو صغير .

وأما جبل الصفصافة فإنه قائم كسور على سهل الراحة ولا يعلو عنه سوى ١٧٦٠ قدمًا ومساحة ذلك السهل ميل مربع أو يزيد كما قدمنا وفوق

ذلك فإن أنصار سربال لا يمكنهم تعيين المكان الذى عسكر فيه جيش إسرائيل مدة السنة التى أقاموها فى جبل سيناء سواء كان ذلك الجيش ثلاثة ملايين نفس أو مئة ألف نفس أو عشرين ألف نفس ، فقد قدمنا أنه ليس فى سفح جبل سربال سهل كبير أو صغير وليس هناك إلا وادى فيران وفروعه ووادى عليات الآتى من جبل سربال وكلا الواديين ضيق حتى إنه ليصعب إيجاد مساحة لعشر خيام منصوبة بعضها بجانب البعض فضلاً عن آلاف الخيام التى لزمت جيش إسرائيل ، زد عليه إن وادى فيران عند النبع لا يصلح للسكنى ليس لضيقه فقط بل لكثرة بعوضه وقد رأيت أن الحماضة سكان فيران الأصليين كانوا يرحلون ليلا من عند النبع إلى رجامات البيض على نحو ٣ ساعات غربًا هربًا من البعوض والحميات » انتهى كلام نعوم شقير .

ونقول : إن الخلاف قائم بين مؤرخى أهل الكتاب حول تعيين الجبل الذى نزلت عليه الشريعة ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم واصفة وموضحة لكل المواضع والحوادث التى حدثت فى آيات سورة البقرة والأعراف وطه والنمل والشعراء والقصص وفى مريم وغيرها من السور تفصيل ما أجمل وبيان ما أهمل والذى يهمنا فى كلام نعوم شقير أن جبل المناجاة ليس مرتفعًا ارتفاعًا كبيرًا وأنه قائم كسور على واد متسع يسع الآلاف من الناس كما نقول أن رواية القرآن الكريم تشير إلى أن هذه الحوادث شملت أكثر من موقف فموسى عندما ذهب لمناجاة ربه وتلقى التوراة كان وحده وكان مسافرًا سفرًا بعيدًا عن المكان الموجود به الإسرائيليين ولو كان فى جبل الصفصافة أو سربال بجوارهم لصعد إليه بعضهم عندما عبدوا العجل ووقعت الفتنة .

ثانيًا : إن قراءة الوصايا العشر على بنى إسرائيل كانت بعد عودة موسى وتحريقه العجل وأخذ الألواح وعرضها على بنى إسرائيل فهى إذًا مواقف مختلفة نعرض لكل موقف منها على حدة والله المستعان .

*

بسم الله الرحمن الرحيم

عودة إلى سير قافلة الأزهر فى رحلتها بجنوب سيناء :

وكنا قد توقفنا فى صعودنا فوق جبل حمام موسى الذى تحدثنا عنه فقلنا إن حديث القرآن الكريم حول المكان الذى ناجى فيه موسى ربه سبحانه وتعالى حيث سأل موسى الله سبحانه الرؤية فقال له ربه : ﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ حديث القرآن الكريم يدلنا على أن موسى عليه السلام ناجى ربه بعد أن صام ثلاثين ليلة ثم عشراً ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

وسار إلى طور سيناء بجوار الجبل الغربي كما يقرر ابن كثير أو بجوار غربي جبل الطور كما يقول كثير من المفسرين وأن موسى عليه السلام قد سافر مسافة طويلة دعته إلى استخلاف أخيه هارون على بني إسرائيل وأن موسى عليه السلام تلقى الألواح وفيها التوراة في هذه المقابلة حيث قال له ربه سبحانه : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأعراف : ١٤٤ - ١٤٧] .

وقال الحاضرون فوق الجبل لقد أمسينا وحضرتنا صلاة المغرب فهيا نعود إلى مدينة طور سيناء حيث نزلنا بالاستراحة التي خصصتها المحافظة للضيوف الذين كانوا في حاجة إلى قسط من الراحة بعد هذه الجولة العظيمة .

وبعد صلاة العشاء عدنا للمقابلة والحديث بمقر اللجنة بمدينة الطور ، وتحدثنا عن ما رأيناه في هذه الرحلة وقال شيخ من كبار العلماء ، من الواضح أن أحداث قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم تمت بعدة مشاهد ومراحل متعددة ، فإن موسى عليه السلام ناجى ربه على الجبل الغربي وهو جبل حمام موسى أو على غربي جبل الطور المقابل لمدينة طور سيناء حيث لم يستطع المفسرون أن يحددوا بالضبط معانى الآيات التى تحدثت عن الأماكن بل اكتفوا بالإشارة العابرة لتحديد هذه الأماكن والتي اهتم بها القرآن الكريم لحكمة سامية يعلمها الله سبحانه ، بل واكتفى المفسرون جميعًا بالحديث عن الأحداث الكثيرة التي زخرت بها هذه القصة العظيمة والتي علمتنا كثيرًا من العلم واهتم المفسرون بتوضيح الأحداث دون توضيح الأماكن، وعلى كل حال فإننا نحاول أن نربط الأحداث بالمواقع التي حدثت فيها والمفهوم من الآيات الكريمة ، ومن هذه الأحداث :

أولاً : أسرع موسى عليه السلام للقاء ربه تاركًا بني إسرائيل لأنه كان متشوقًا للقاء ربه فأسرع بالذهاب إلى الموعد شوق المحب للقاء المحبوب ، وحيث صام ثلاثين ليلة بمواعدة ربه له ثم تسوك بالسواك فأمره ربه أن يصوم عشرًا يكمل بها الأربعين ثم يعود بدون سواك لأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، فلما سأله ربه سبحانه بقوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه : ٨٠ : ٨٢] .

يقول ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء : « إن الله امتن على بني إسرائيل بإحسانه إليهم حيث نجاهم من فرعون وجنده وواعدهم أن يصحبوا نبيهم موسى عليه السلام إلى جانب الطور الأيمن أي منهم فالجبل ليس له يمين ولا يسار كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره ولكنه الجبل عن يمينهم ، وأن الله أنزل عليهم المن والسلوى لطعامهم في سفرهم ولكن بسبب معصيتهم حرموا لقاء الله سبحانه وسماع كلامه » .

لقد كان الشوق على المحبين شديداً وخاصة الأنبياء حين يشتاقون لربهم وقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ فتر عنه الوحي حتى حزن النبي ﷺ فلما بلغنا حزنًا غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس الجبال فكما أوفى بذورة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقًا فيسكن لذلك جاشه ، وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال : له مثل ذلك ، وقيل : إنه نزلت عليه سورة المدثر بعد فترة الوحي عنه وقيل : كانت فترة الوحي مرتين جاء بعد الثانية سورة الضحى ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ، والشاهد أن الشوق للوحي والشوق للعلم والشوق إلى نور الله تدفع الأنبياء إلى الإسراع بطلب اللقاء كما فعل موسى عليه السلام وكما فعل رسول الله ﷺ وهكذا يفعل المحبوب .

ثانيًا : إن الألواح وفيها التوراة نزلت على موسى يوم المناجاة وفيها من العلم والعطاء والرحمة حيث قال الله سبحانه في كتابه الكريم ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ابن كثير : وكانت الألواح من جوهر نفيس ففي الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ من الآثام وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام (فخذها بقوة) أي بعزم

ونيـة صادقة قـوية ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أن يضـعوها على أحـسن وجوهها وأجمل محاملها ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي : سترون عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري المكذبين لرسلي ثم ذكر أن العلم كله من عند الله والتقوى باب العلم واتقوا الله ويعلمكم الله فقال : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ أي : عن فهمها وتدبرها وتعقل معناها الذي أريد منها ودل على مقتضاها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ أي : ولو شاهـدوا ما شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يـنقادون لاتباعها ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ أي : لا يسلكوه ويتبعوه ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي : صرفناهم عن الفهم والعلم لتكذيبهم بآياتنا وتغافلهم عنها وإعراضهم عن الـتصديق والتفكير في معناها وترك العـمل بمقتضاها ، ثم قال تـعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

ثالـثًا : أن بني إسرائيل كان يـنقصهم التمحيص والابتـلاء فإن أصحاب الأنبياء يمحصون في الدنيا ويمتحنون بأشد أنواع البلاء والتكاليف ليظهر الإيمان الحق من البـاطل وهذا رسول الله ﷺ في غزوة تبـوك أو جيش العسـرة يأمر أصحابه بالخروج للجهاد في وقت طاب فيه الثمر وكثرت عليهم المعارك حتى أنهم أحـبوا البقـاء في المدينة فـأمرهم رسـول الله ﷺ بالخروج لقـتال الروم فخرج من خرج وأنفق من أنفق وتخلف من تخـلف فعاتبهم الله سبحانه في كتـابه الكريم وعـاتبهم رسـول الله ﷺ من تخلف منـهم وذكر الله المنافـقين وكشف أمرهم ثم تاب على التائبين في سورة التوبة .

أما أصـحاب موسى فقـد سحرت أعيـنهم ماديات الحـياة فطلبوا عـبادة العجل فلما ذهب موسى للقاء ربه ومناجاتـه سبحانه وتعالى عبد بنو إسرائيل

العجل المخيم في قلوبهم والمستقر في نفوسهم حيث قال سبحانه وتعالى لموسى في سورة طه : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٨٣ - ٩٨] .

قال ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء : يذكر الله تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل حيث ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة والله تعالى يجيب عنها فعمد رجل يقال له : هارون السامري فأخذ ما كانوا استعاروه من الحلى فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي ويقال : أنه استحال عجلاً جسداً لحمًا ودمًا حياً يخور قاله قتادة وغيره وقيل : بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور

كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أي : فنسى موسى ربه عندها وذهب يتطلبه في طور سيناء وهو هاهنا ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدست أسماؤه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وهباته ، قال تعالى مبينًا بطلان ما ذهبوا إليه وما عولوا عليه من الإلهية هذا الذي قصاراه أن يكون حيوانًا بهيمًا أو شيطانًا رجيمًا ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ وقال ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جوابًا ولا يملك ضراً ولا نفعًا ولا يهدي إلى رشد اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم عالمين في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ندموا على ما صنعوا ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

قال ابن كثير : ولما رجع موسى عليه السلام إليهم ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ومعه الألواح المتضمنة التوراة ألقاها فيقال : إنه كسرها وهكذا هو عند أهل الكتاب وأن الله أبدلها غيرها وليس في اللفظ القرآني ما يدل على ذلك إلا أنه ألقاها حين عاين ما عاين ، وعند أهل الكتاب أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها ألواح متعددة ولم يتأثر موسى بمجرد الخبر من الله تعالى عن عبادة العجل فأمره بمعاينة ذلك ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «**ليس الخبر كالمعاينة**» وفي الكتب العربية بيت من الشعر يقول :

يابن الكرام ألا تدنوا تبصر ما قد حدوثك فما راءٍ كمن سمعا

قال ابن كثير في قصص الأنبياء : ثم أقبل موسى عليهم فعنفهم ووبخهم في صنعهم هذا القبيح فاعتذروا بعمل السامري وقولهم باطل فقالوا : ﴿ وَلَكِنَّا

حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ فهم يرون أن ما أخذوه من خير مصر من الذهب والحلي غنائم والغنائم كانت محرمة قبل رسول الله ﷺ ولم تحل إلا لأمة محمد ورسولها ، فأصحاب موسى يتحرجون من تملك حلى آل فرعون وهم أهل حربهم وأعدائهم ولم يتحرجوا من عبادة العجل الجسد الذي له خوار .

ونحن نقول : إن الله أكرم أمة محمد ﷺ وأحل لها الغنائم وهداها صراطه المستقيم ، ولقد عبد بنو إسرائيل العجل بوادي ريفيديم المجاور لجبل كاترين حيث استقروا بوادي الراحة ويقول أصحاب التفاسير : إنهم كانوا ستمائة ألف وقد كان لهم موعد من الله سبحانه وأن يذهبوا للقائه ومناجاته فحرموا بعبادتهم العجل الذي أخرجه لهم موسى السامري كما يسمى في بعض الكتب أو هارون السامري كما سمى في بعض الكتب الأخرى حيث صنع لهم من الذهب عجلاً ووضع فيه قبضة من التراب لذي كان تحت حافر فرس جبريل وهي تسمى الحياة .

والله سبحانه وتعالى يقول عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ أي : أن المحرك لهذه الفتنة هي نفس السامري والشيطان المسلط على بني آدم ولكن ذلك لقى هوى في نفوس الإسرائيليين فاجتمعت الأهواء وتوافقت على الكفر وعبدة العجل فكان التمحيص والابتلاء فلما رجع موسى عليه السلام وعنفهم في ذلك قالوا يا موسى ادع الله أن يتوب علينا فقال ما قاله الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال ابن كثير في قصص الأنبياء : فيقال : إنهم أصبحوا يومًا وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف وألقى الله عليهم ضبابًا حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه ، ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم فيقال : إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفًا .

وأما السامري فقد عوقب في الدنيا بأن لا يمس أحد ولا يمسه أحد . ووعده الله بالعقاب الأليم في الآخرة وفي سورة طه : ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ .

قال ابن كثير : فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل فحرقه قيل : بالنار كما قال قتادة وغيره ، وقيل : بالمبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرهما وهو نص أهل الكتاب قال فحرقه ثم ذره في البحر وأمر بني إسرائيل فشربوا فمن كان من عابديه علق على شفاههم من ذلك الرماد ما يدل عليه وقيل : بل اصفرت ألوانهم ثم قال تعالى إخبارًا عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ وهي مسجلة لكل صاحب بدعة إلى يوم القيامة ثم أخبر سبحانه عن حلمه ورحمته بخلقه وإحسانه على عبيده في قبول توبة من تاب إليه بتوبته عليه : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٥٣] وكانت عبادتهم العجل كما قدمنا في وادي الراحة مقابل دير سانت كاترين والجبال المحيطة والوادي الممتد عند وادي الطرفا ثم وادي فيران أو ما يسمى في التوراة «رفيديم» وقد قام موسى عليه السلام بتذرية التراب المختلف من حرق العجل بالماء الذي يجري في

وادي الطرفا ووادي فيران حيث شرب منه بنو إسرائيل وهم شهود ، ودارت معركة القتل والغمام حول هذه الأماكن ولم يخرج من بني إسرائيل حسب ما جاء في القرآن الكريم للقاء الله سبحانه مع موسى في جانب الطور الأيمن إلا السبعين رجلاً نتحدث عنهم في الباب الآتي :

والأصح أن عبادة العجل كانت في شمال سهل القاع وجنوب سهل المرفا عند مفارق كاترين الطور كما هو المفهوم من رواية التوراة والقرآن الكريم.

•• •• ••

خروج بني إسرائيل للميقات



خروج بني إسرائيل
للميقات للقاء الله سبحانه

يقول الله سبحانه في كتابه الكريم في سورة الأعراف : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

قال ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء : ذكر ابن عباس والسدي وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا من علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهارون ويوشع وناذاب وأوبيهو ، وذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتذروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل وكانوا قد أمروا أن



يتطيبوا ويتطهروا ويغتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمود النور ساطع صعد موسى الجبل فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ

كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥] ، وليس هذا بلازم لقوله تعالى : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] ، أي مبلغًا : وقد سمع بنو إسرائيل كلام الله من موسى عليه السلام مبلغًا وزعموا أيضًا أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥:٥٦] ، وقال هاهنا ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ قال محمد ابن إسحاق : اختار موسى عليه السلام من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير فقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه بما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا رتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات رتبه له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم فطلب السبعون أن يسمعوا كلام الله فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى اجبل كله، ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم : ادنوا وكان موسى إذا كلمه ربه وقع عل جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا .

فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره فانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم فقالوا : ﴿ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ وهي : الصاعقة فانقلبت أرواحهم فماتوا جميعًا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف:١٥٥] أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا الذين عبدوا العجل منا فأنا براء مما عملوا .

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج : إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل وقوله : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾ أي : اختباؤك وابتلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف يعني أنت الذي قدرت هذا وخلقت ما كان من أمر العجل اختبار تختبرهم به كما قال لهم هارون من قبل ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ﴾ أي : اختبرتم ولهذا قال سبحانه : ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ أى من شئت أضللته باختبارك إياه ومن شئت هديته ، لك الحكم والمشيئة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت.

وهذا أخى القارئ العزيز ذروة الاختبار والامتحان ، وبنو إسرائيل كان ينقصهم التمحيص والاختبار لأنهم دائمًا يميلون للنواحى المادية والمشاهدة الملموسة ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم أصنامًا مثل الأصنام الموجودة فى سيناء ثم صنع لهم السامرى العجل فى غيبة موسى فعبدوه ، وليس هناك من عذر عقلى فى عبادة العجل ولا فى عبادة الأصنام إلا أنهم لا يؤمنون بالغيب ويحبون المشاهدة ، حتى إنهم لما ذهبوا مع موسى وسمعوا كلام الله سبحانه وتعالى ، طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ثم قال تعالى : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ .

وذلك على لسان سيدنا موسى عليه السلام ، ﴿ هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ قال ابن كثير أى تبنا إليك ورجعنا وأنبنا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمى والضحاك والسدى وقتادة وغير واحد وهو كذلك فى اللغة : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أى إنى أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التى أخلقها وأقدرها ، ورحمتى وسعت كل

شيء .

كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي** » ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي فسأوجبها لمن يتصف بهذه الصفات ، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ قال ابن كثير : وهذا تنويه بذكر أمة محمد ﷺ لموسى عليه السلام في جملة ما ناجاه الله به وأعلمه واطلعه عليه ، وقد تكلمنا في التفسير عن هذه الآية وما بعدها بما فيه كفاية ومقنع ولله الحمد والمنة .

ثم قال : وقال قتادة : قال موسى يا رب إني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، رب اجعلهم أمتي فقال : تلك أمة أحمد، قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون إلى دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد ، قال رب : إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرًا ، حتى إدا رفعوها لم يحفظوا شيئًا ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئًا لم يعطه لأحد من الأمم وقال رب: اجعلهم أمتي، قال تلك أمة أحمد، قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول ويؤمنون بالكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي ، قال تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها

ومن كان قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نار فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم ، قال موسى عليه السلام رب اجعلهم أمتى قال: تلك أمة أحمد ، قال رب : فإنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له بحسنة فإذا عملها كتبت له بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال رب : اجعلهم أمتى قال: تلك أمة أحمد ، قال : رب فإنى أجد فى الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى ، قال: تلك أمة أحمد ، قال قتادة : فإن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد .

هذا ما كان من أمر المناجاة وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا أشياء كثيرة لا أصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره فى آخر الكتاب إن شاء الله .

أما ما كان من أمر الجماعة من بنى إسرائيل والذين اختارهم موسى لموعد ربه وميقاته والذين قالوا : يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأرسل عليهم الرجفة والصاعقة فماتوا فقد ذكر الله سبحانه فى سورة البقرة قصتهم فقال : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فقد أحياهم الله سبحانه وتعالى بعد موتهم إكرامًا لموسى عليه السلام .

قصة بقرة بنى إسرائيل :

ومن الأحداث العجيبة التى حدثت لنبى الله موسى عليه السلام قصة بقرة بنى إسرائيل وهذه وقعت لهم فى سيناء فى أول سنة قضاها بنو إسرائيل فى سيناء ، قال الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣].

قال الإمام ابن كثير فى كتابة قصص الأنبياء : قال ابن عباس وعبيدة السلمانى وأبو العالية ومجاهد والسدى وغير واحد من السلف : كان رجل فى بنى إسرائيل كثير المال وكان شيخًا كبيرًا وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم فقتله فى الليل وطرحه فى مجمع الطريق ، ويقال : على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا : ما لكم تختصمون ولا تأتون نبى الله ؟ فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى رسول الله موسى ﷺ ، فقال موسى عليه السلام : «أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به » فلم يكن عند أحد منهم علم منه ، وسألوه أن يسأل الله فى هذه القضية فسأل ربه عز وجل فى ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ يعنون : نحن نسألك عن أمر هذا القتيل وأن تقول لنا هذا؟ ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أى : أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلى وهذا هو الذى أجابنى حين سألته عما سألتمونى أن أسأله فيه ، قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدى وأبو العالية وغير واحد : فلو أنهم عمدوا إلى بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكن شددوا فشدد

الله عليهم. وقد ورد فيه حديث مرفوع وفي إسناده ضعف فسألوا عن صفتها، ثم عن لونها ثم عن سنها فأجيبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في التفسير ، والمقصود أنهم أمروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين الفارض والبكر أي بين الكبيرة والصغيرة كما قال المفسرون ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة وجماعة .

ثم شددوا وضيقوا عن أنفسهم فسألوا عن لونها فأمروا بصفراء فاقع لونها أي مشرب بالحمرة تسر الناظرين وهذا اللون عزيز ثم شددوا أيضًا وضيقوا على أنفسهم فسألوا وقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه «**لولا أن بني إسرائيل استثنوا لما أعطوا**» وفي صحته نظر والله أعلم : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهي المذللة بالحراثة وسقي الأرض بالساقية مسلمة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها . قاله أبو العالية وقتادة وقوله لاشية فيها أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلمة من العيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها فلما حددها بهذه الصفات وحصرها بهذه النعوت والأوصاف قالوا : ﴿ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ ويقال : إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذا الصفة إلا عند رجل منهم كان بارًا بأبيه فطلبوها منه فأبى عليهم ، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه فيها ذكر السدي وزنها ذهبًا فأبى عليهم حتى أعطوها بوزنها بعشر مرات فباعها لهم فأمرهم نبي الله موسى بذبحها : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي : وهم يترددون في أمرها ثم أمرهم بأمر ربهم أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها ،

قيل: بلحم الفخذ وقيل : بالعظم الذى يلى الغضروف وقيل : بالبضعة التى بين الكتفين فلما ضربوه ببعضها أحيه الله تعالى فقام وهو يسحب أوداجه فسأله نبى الله موسى من قتلك ؟ قال : قتلنى ابن أخى ، ثم عاد ميتًا كما كان قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٧٣]، أى كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله ـه كذلك أمره فى سائر الموتى إذا شاء أحياهم أحياهم فى ساعة واحدة كما قال تعالى : ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨] انتهى كلام ابن كثير .

هكذا أخى القارئ الكريم يتحدث القرآن الكريم عن موسى وبنى إسرائيل فى سيناء والأحداث العجيبة التى حدثت منهم وحدثت لهم وكيف صنع موسى معهم فى كل موقف بأمر الله سبحانه وتعالى لهم : فهو يعالج داءهم من الطمع والجشع وحب المال والجزاء من جنس العمل ، فقد قتل أحدهم عمه استعجالاً لماله حتى يرثه حيث لم يكن لهذا العم ولد ولا بنت وماله شرعًا لأبناء أخيه وهم لا يصبرون حتى موته وحده فيسارعون بقتله ثم يخرجون يبكون عليه وهم يتهمون الناس بقتله ولكن الله لهم بالمرصاد فقد أمرهم أن يذبحوا البقرة الغالية الثمن التى دفعوا فيها أكثر من المال الذى تركه عمهم، وأمرهم أن يضربوا القتيل بجزء من البقرة المذبوحة فأحياه الله وقال قتلنى ابن أخى عندما سأله موسى عليه السلام ، وأظهر الله الحق وجوزى القاتل بالقتل وخسروا مال عمهم وخسروا ثمن البقرة الغالية ورأوا آيات الله سبحانه وتعالى الذى يقول : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ .

وكذلك نرى أن القرآن الكريم قد ذكر المواقف والأحداث الكثيرة التى حدثت فى سيناء لموسى عليه السلام مع بنى إسرائيل وكيف فعل الله بهم ،

وهذه سورة البقرة تحكى هذه المواقف فى قوله تعالى ﴿ وإذ ﴾ مع بداية كل موقف . وتفصيل هذه الأحداث بعد ذلك فى سورة من القرآن الكريم ، وحيث جاء القرآن الكريم بالقول الفصل فيما كان مبهمًا فى الكتب السابقة أو فيما غيره بنو إسرائيل من قصص وأحكام التوراة وكتابتهم ما يرونه فى صالحهم وترك ما يستحون منه ، فإن قصة وأحداث سيدنا موسى عليه السلام فى سيناء مذكورة فى كتبهم فى صورة ملخصة ومبتورة وقد أبعد منها أى قول يشين هؤلاء الناس ، فالحمد لله على نعمة القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النمل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هذا وهناك من يقول : إن هذه القصة وقعت قبل الخروج من مصر نظراً لأنها تحدثت عن مساكن وأرض زراعية ، أو تكون حدثت لبعض بنى إسرائيل بعد الخروج حيث عاد بعضهم إلى مصر وقيل إن موسى عليه السلام رجع بهم إلى مصر قبل أن يؤمروا بدخول بيت المقدس .

●● ●● ●●



خروج موسى عليه السلام
من مصر إلى أرض مدين



خروج موسى عليه السلام من مصـر إلـى أرض مـديـن

يقول الله سبحانه فى الكتاب الكريم : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٤-١٧] .

قال الإمام ابن كثير فى كتابه قـصص الأنبياء : لما ذكر الله تعالى أنه أنعم على أمه برده لـها وإحسانه بذلك وامتـنانه عليها ، شرع فى ذكـر أنه لما بلغ أشـده واستـوى وهـو إحكام الخـلق والخلـقة وهـو سن الأربـعين فى قـول الأكثرين، أتـاه الله حكمًا وعلمًا وهو النبـوة والرسالة التى كان بشـر بها أمه حين قال : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ثم شرع فى ذكر سـبب خروجهم من بلاد مصـر وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هناك حتى كمل الأجل وانقضى الأمر وكان ما كان من كلام الله له ، وإكرامه بما أكرمه به كمـا سيأتى قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَـا ﴾ قال ابن عباس وسـعيد بن جبير وعكرمة وقـتادة والسدى ، وذلك نصف النهار وعن ابن عباس : بين العشائين : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ أى يتضاربان ويـتهارشان ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ ﴾ أى إسرائـيلى ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ أى قبطى ، قال ابن عباس وقتادة والسدى ومحمد بن إسحاق ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن

شيعته ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته إلى تبنى فرعون لـه وتربيته فى بيته ، وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهة ، وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخواله أى من الرضاعة ، فلما استغاث ذلك الإسرائيلى موسى عليه السلام على ذلك القبطى أقبل إليه موسى ﴿ فَوَكَزَهُ ﴾ قال مجاهد : أى طعنه بجمع كفه وقال قتادة بعصا كانت معه ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أى : فمات منها ، وقد كان ذلك القبطى كافراً مشركًا بالله العظيم ، ولم يرد موسى قتله بالكلية وإنما أراد زجره وردعه ، فقد كانت ثورة من موسى عليه السلام على الظلم ، لأن الله يقـول: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ فالإسرائيليون كانوا فى مصر مستضعفين ، والفراعنة كانـوا ظالمين ، فما فعله موسى عليه السلام لم يكن لإرادة القتل ، وإنما لرد الظلم ونصرة المظلوم .

قال ابن كثيـر ومع هذا قال موسـى : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ١٥-٢٠] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه أصبح بمدينة مصر خائفًا أى من فرعون وملئه ، أن يعلموا أن هذا القتيل الذى رفع إليه أمره إنما قتله موسى فى نصرة رجل من بنى إسرائيل ، فتقوى ظنونهم إن موسى منهم ، ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير فى

صبيحة ذلك اليوم فى المدينة ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أى يتلفت ، فبينما هو كذلك إذ ذلك الرجل الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس يستصرخه أى يصرخ به ويستغيث على آخر قد قاتله فعنفه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته قال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ثم أراد أن يبطش بذلك القبطى الذى هو عدو لموسى وللإسرائيلى فيروعه عنه ويخلصه منه ، فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ قال بعضهم : إنما قال هذا الكلام الإسرائيلى الذى اطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكأنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطى اعتقد أنه جاء إليه لما عنفه قبل ذلك بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذى وقع بالأمس فذهب القبطى، فاستعدى فرعون على موسى وهذا الذى لم يذكره كثير من الناس سواه .

ويحتمل أن يكون قائل هذا الكلام القبطى ، وأنه لما رآه مقبلاً نحوه خاف ورأى من سجيته انتصاراً جديداً للإسرائيلى فقال : ما قال من باب الظن والفراسة ، إن هذا لعله قاتل ذلك القتيل بالأمس أو لعله فهم من كلام الإسرائيلى حين استصرخه عليهما ، فأدله على هذا والله أعلم .

والمقصود : إن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل فى طلبه وسبقهم رجل ناصح من طريق أقرب فقال : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ ﴾ أى : من هذه البلدة ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ أى فيما أقوله لك ، وسبحان الله العظيم مجرى الأقدار على العباد ، فإنه إذا أراد أمراً هيأ له الأسباب ، وإذا قضى شيئًا فإنما يقول له : كن فيكون فجعل الله سبحانه ذلك الإسرائيلى ، ومشكلاته سببًا فى خروج موسى من مصر ،

وتوجهه إلى أرض مدين لتتم كلمة الله سبحانه وتعالى ويأخذ موسى ما قدر له من العمل والزواج حتى يأتى موعد ومكان الرسالة ، قال الله تعالى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ، أى فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدى إلى طريقه ولا يعرفه قائلاً : ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢١-٢٤].

قال ابن كثير فى كتابه قصص الأنبياء : يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفًا يترقب أى يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون ، وهو لايدرى أين يتوجه ، ولا إلى أين يذهب ، وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أى اتجه له طريق يذهب فيه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أى : أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود ولذا وقع فقد أوصلته إلى المقصود .

والملاحظ أن موسى عليه السلام مثل جميع الأنبياء يلوذون بربهم عند كل محنة ، فإنه لما قتل القبطى ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ثم سأل ربه التوبة فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ولما خاف بطش فرعون وجنده قال : ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ففوض موسى أمره كله لربه فى جميع أحواله وسأله ولم يسأل أحد سواه ، وكذلك يفعل الصادقون فى إيمانهم والأصفيء من عباد الله سبحانه .

قال ابن كثير قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، وكانت بئرًا يستقون

منها ومدين هى المدينة التى أهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهوم قوم شعيب عليه السلام وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام فى أحد قولى العلماء.

تحديد مكان مدين اليوم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، ثم أما بعد :

فقد شغلنى فى سنوات العمل بجنوب سيناء عقد الثمانينات والتسعينيات ومن خلال المرور المستمر بين مدن جنوب سيناء وأوديتها ومن خلال متابعتى لآيات القرآن الكريم ، والتى اهتمت بتحديد الأماكن فى سيناء فى قصة سيدنا موسى عليه السلام ، كما لم يهتم القرآن الكريم بتحديد أية أماكن أخرى فى جميع قصص الأنبياء إلا إشارات بسيطة مثل قوله تعالى ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ فى قصة نوح عليه السلام فى سورة هود لم يأت ذكر للأمكنة إلا الإشارة البسيطة إلى الجبل الذى استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام أما قصة موسى فقد ذكرت مدين فى الكتاب الكريم عدة مرات فى سورة القصص وفى الآيات التى بين أيدينا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ إلى آخر الآيات .

هذا وقد ورد ذكر مدين فى سورة الأعراف فى قصة شعيب عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

وقال سبحانه فى سورة هود : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود:٨٤] . ثم ذكرها باسم الأيكة فقال فى سورة الحجر : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر:٧٨، ٧٩] وقال سبحانه فى سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وفى هذه الآيات الكريمات وفى سورة طـه قال تعالى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ كل هذه الآيات تـدل على أن مدين مـكان عظيم جـرت به أحداث كثـيرة لأنبيـاء الله شعيـب وموسى عليهما السلام، ولكن أين مدين ؟

إن المفسرين للقرآن لم يتعرضوا لمكان مدين وحدوده وتاريخه إلا بالإشارة فقط ، وحيث إن موسى عليه السلام قضى سنين فى أهل مدين ثم رجع إلى سيناء فأين هى مدين ؟

إن المفسرين القدامى والمحدثين من أهل الكتاب وآخرهم نعوم شقير الذى كتـب سنة ١٩٠٦م كتـاب تاريخ سـيناء القـديم والحديث وجـغرافـيتهـا فى ص٤٧٥ ما نصه :

وقد ولد موسى عليه السلام «سنة ١٥٧١ق م» ، فـخبأته أمه ثلاثة أشهر ولما لم يعد يمـكنها إخفاؤه صنـعت له سقطًا من البردى جـعلته فيه ووضـعته على شاطئ الـنيل فى طريق ابنة فرعـون ، فلما رأته ابنة فـرعون رقت له ، وأخذته إلى منزلها ، وأحضرت له أمه لترضعه ، فنشأ ربيبا لها مصرى التربية إسرائيلى العواطـف فرأى ذات يوم مصريًا يضرب أحد الإسرائـيليين ، فهاج الدم فى رأسه فضرب المصـرى فأصابته الضربة مقتـلاً ففر إلى أرض مدين ، وكان له من العمـر أربعون سنة هناك تزوج بنت يثرون كـاهن مدين ، وأقام مع حميه أربعين سنـة وفيما هو يرعى غنم حميه عند جـبل سيناء ، ظهر له

الرب فى علـيقة مشـتعلة وأمره بـالذهاب إلى مصـر لإنقاذ بنى إسـرائيل من الذل، انتهى كـلام نعوم شقير وهو قـد أخذ هذا الحديث ملخصًـا من أسفار موسى الخمسة : يعنى من التوراة .

إذًا فالتوراة والكتاب من اليهود والنصارى يرون أن مدين هى سيناء أو فى سيناء ، ولكن الواقع والتاريخ يكذب ذلك كمـا سيأتى فى سياق قصة موسى عليـه السلام مع نبى الله شـعيب حيث قـال له : لا تخف نجوت مـن القوم الظالمين ومـعنى ذلك أن : مديـن عندئذ لم تكن تخـضع لسلطان فـرعون . فموسى عليه السلام قد فر مـن فرعون فى أرض مدين التى هى خارج حدود مصـر وسلطان فرعـون وجنوده ، وسيـناء كلها كـانت تحت حكـم وسـلطان فرعون وكانت جزءًا من الدولة المصـرية ، فلابد أن تكون مدين خارج حدود مصر فأين مدين ؟ وتابعنا البحث فى جمـيع كتب التفسير ، فوجدناها تذكر الأحداث والدروس المسـتفادة منهـا ، ولا تذكر أو تشير إلـى المكان ، وعلى شبكة الإنتـرنت كان هناك بحث قيم يـقول : البدع عفال «آثار البـدع» مدينة البدع .

البدع مدين قديمًا :

تقع مدينة البدع فى الشمال الغربى من المملكة العربية السعودية فى وادى عقال ٢٢٥كم غربًا عن مـدينة تبوك ، وتبعد عن البحر «خليج العـقبة ثمانية وعشرين كم شرقًا والـبحر الأحمر وأربعين كم شمالاً» وترجع تسمـيتها بهذا الاسم لكثرة المياه والآبـار التى أبدعت فيها ويطلق عليهـا قديمًا اسم مدين ، وقيل : مديـن اسم قبيلة ولهذا قـال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ نسـبة لقـوم مديـن الذين سكـنوا هذه المنطـقة كـما يقـول المؤرخ الإغـريقى إيوسيبوس .

يقول المؤرخ الإغـريقى إيوسيـبوس : إن مدين بن إبراهـيم كان أول من سكنها ، فسميت باسمه حسبـما ذكر موسل ، وكان روبل الرحالة البريطانى الذى زار المكان سـنة ١٨٥٠م أول من لفت أنظـار الباحثـين من المستـشرقين فزارها عـدد منهم وكتـبوا عنه ومن أهمـهم بورتن ودوتى وموسـل وفلبى ، وبعثة جـامعة لندن التى حـققت المكان وكتبت عنـه تقريرًا علميًا نـشرته سنة ١٩٧٠م ضمن ما كتبته عن منطقة شمال غرب الجزيرة العربية وقال ابن هرمة الشاعر يمدح عبدالواحد بن سليمن بن عبدالملك :

ومعجب بمديح الشعر يمنعــــه	من المديح ثواب المدح والشفـق
لأنت والمدح كالعذراء يعجبهـا	مس الرجال ويثنى قلبها الفـرق
لكن بمدين من مفضى سويمــرة	من لا يـذم ولا يثنى له خلــــق
أهل المدائن تأتيه فتمدحـــــــه	والمادحون بما قالوا له صـــدقوا

والبدع لها مكانة تاريخية مهمة ، ففـيها مقابر أثرية منحوتة فى الصخور وتعود على أرجح الأقوال لقـوم شعيب عليه السلام ، فهى أيضًـا معبر قديم لحجاج الشام وفلسطين ومـصر ، وهى منطقة جبلية تشتهـر بالزراعة الموسمية وخصوصًا الطاطـم ويتبع لها مناطق ساحلية غنية بالمقومات السياحية ، وذلك لما تتمتع به من جـمـال طبيـعى خـلاب وشواطئ بكر سـاحرة ولندع الصور تتحدث.



إذن فمدينة مدين ، تقع شرق خليج العقبة بين شرم الشيخ ودهب ، بل هى أقرب إلى شرم الشيخ منها إلى دهب ، وهى تقريبًا مواجهة لميناء النبك أو ميناء نبق كما يطلق عليه اليوم ، ويحدثنا نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء وجغرافيتها عند ذكر موانى سيناء ص٣٢ :

ومن موانى خليج العقبة «ميناء شرم الشيخ بين رأس محمد ورأس النصرانى على نحو حوالى ثمانية أميال من الأول ، واثنى عشر ميلاً من الثانى ، وفى هذا الميناء قبر شيخ يعرف بهذا الاسم .

وميناء النبك على نحو عشرين ميلاً من ميناء الشرم ، وهو أقرب نقطة إلى بر الحجاز وتجاهه فى ذلك البر ميناء الشيخ حميد بينهما سبعة أميال أو حواليها ينتابه الآن تجار الإبل والغنم ، وأكثرهم من عرب الحويطات المصريين فيأتون بالإبل والغنم من بر الحجاز إلى النبك ، ثم يخترقون بر سيناء إلى السويس ، وفى ميناء النبك آبار ماء عذبة قديمة العهد وبستان نخيل . انتهى كلام نعوم شقير .

إذا فهذا الميناء أو ميناء شرم الشيخ هو الذى عبر منه موسى عليه السلام إلى مدين فى رحلة خروجه الأولى من مصر بنص القرآن والتوراة وبعلم التاريخ والجغرافيا ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : وجد موسى عليه السلام امرأتين حابستين غنمهما فقال لهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ معتزلتين الناس قالتا : ليس لنا من قوة نزاحم القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف من الدلو ماء كثيرًا حتى كان أول الرعاء وانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما ، وانصرف موسى فاستظل بشجرة ، وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ، وبذلك تكون العلاقة مع الله

علاقة قلب واثق ولسان صادق ، وليس بكثرة الدعاء وطول الكلام .

وكانت لدى موسى عليه السلام مشكلات ، تنقصم لهـا ظهور الشباب فى أيامنا هذه ، فهو غريب مسافر خائف جائع ، ليس له مكان ، ولا سكن ولا عمل ولا أمل ، فحلت تلك المشكلات عندما دعا ربه ، بهذه الكلمات المباركات وحيث عاش لربه وعمل لربه وتوكل على ربه ، قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : وأنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانًا فقال : إن لكما اليوم لشأنا ، فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه فى قصته وذكر له خبره ﴿ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطانا ليس فى مملكته فقالت إحداهما : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ فاحتمله الغيرة أن قال لها : وما يدريك ما قوته وما أمانته؟ فقالت : أما قوته فما رأيت منه فى الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى فى ذلك السقى منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لى : امشي خلفى وانعتى لى الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت فقال له : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ .

قال المفسرون أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين ، ووجد المرأتين قال عمرو ابن عباس وشريح لقاضى وأبو مالك وقتادة ومحمد بن إسحاق وغير واحد : لما قالت ذلك : «قال لها أبوها : وما علمك بقوته وأمانته؟ فقالت له : إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة وأنه لما جئت معه

تقدمت أمامه فقال كونى من ورائى فإذا اختلف الطريق فاقذفى لى بحصاة أعلم بها الطريق» .

قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة صاحب يوسف حين قال لامرأته : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ ، وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ ، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب .

واستدل أصحاب الإمام أحمد على صحة الاستئجار بالطعمة والكسوة واستدلوا بالحديث الذى رواه ابن ماجة فى سنته عن عتبة بن المنذر أنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نقرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال : «**إن موسى عليه السلام أجر نفسه ثمانى سنين أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بدنه** » قال ابن كثير هذه الرواية ضعيفة لكنها رويت عن طريق آخر أشد وأكثر صحة من هذه .

هذا وقد اختلف المفسرن فى تحديد شخصية الرجل الصالح ، الذى استأجر موسى وزوجه ، فقال جماعة : هو شعيب النبى عليه السلام وقال جماعة : إنه رجل آخر من مدين واسمه شعيب وقال جماعة : ليس شعيب النبى ولا شعيب الصالح ، وإنما هو رجل آخر من أهل مدين ، وقال أهل الكتاب فى روايتهم : إنه يثرون كاهن مدين والله أعلم .

والخلاصة : أن موسى عليه السلام خرج من مصر إلى مدين فى رعاية ربه وعنايته فهيأ له ربه هذا الرجل الصالح وبناته ، فتزوج وسكن ووجد العمل وأمن من الخوف حتى انقضت عشر سنوات ، وهى أكمل الأجلين وأتمهما وقال أهل الكتاب إن موسى قضى فى مدين أربعين سنة وهذا كلام بعيد ، بعيد عن الحديث والقرآن الكريم الذى حددها بعشر سنوات لكى يتفرغ موسى عليه السلام للرسالة فيعود إلى بنىّ إسرائيل ليخرجهم من مصر

وليبلغ رسالة ربه لفرعون وملئه .

ونضيف إلى هذا : أن القـرآن الكريم ذكر في قصة موسى عـليه السلام تصحيح المكان بـتحديد الوادي المقدس طوى وجبل المناجـاة وغيره من أماكن الأحداث وذكر تصحيح الأحداث بذكر الأحداث التي خجل منها بنو إسرائيل فلم تذكر في التوراة ولا في كتب اليهود ولا النصارى .

وذكر تصحيـح الأزمنة في خروج موسى عليه السلام و لمـدة التي قضاها بمدين ومدة التيه وأشار إلى عودة موسى عـليه السلام ببني إسرائيل إلى مصر قبل الأمر بدخول بـيت المقدس : ففي القرآن الكريم تصحـيح للزمان والمكان والحدث ، وفيه تحقيق المعجزة لموسى عليه السلام والتي ينكرها أهل الكتاب.

●● ●● ●●



العودة إلى مصر



العودة إلى مصر

قال الله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٢٩_٣٢] .

قال ابن كثير فـى نفسيره ، وفى كتاب قصص الأنبـياء : تقدم أن موسى عليه السـلام قضى أتم الأجلين وأكملهـما وقد يؤخذ هذا من قـوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ﴾ .

وعن مـجاهد أنه أكـمل عشراً وعشـراً بعدها ، وقوله تعالى: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ أى من عند صهره وزاعمًـا فيما ذكر غـير واحـد من المفـسـرين، وغيرهم أنه اشـتاق إلى أهله فقد صار لزيارتهم ببلاد مصر فى صورة متخفٍ وكذلك شأن جميع من يرحل من مصر يشتاق مرة ثانية إلى العودة إليها فلما سار ومعه زوجته وولدان منهم وغنم قد استفـادها مدة مقامه ، قالوا : واتفق ذلك فى لـيلة مظلمة باردة ،

وتاهوا فى طريقهم ؛ فلم يهتدوا إلى السلوك فى الدرب المألوف ، يعنى فى الطريق المعروف ، الذى كان يسير منه الناس فى رحلتهم من مدين إلى مصر وجعل يورى زناده فلا يورى شيئًا واشتد الظلام والبرد ، فبينما هو كذلك إذ أبصر نارًا تأجج عن بعد فى جنب الطور ، وهو الجبل الغربى منه عن يمينه: ﴿ قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ وكأنه والله أعلم رآها دونهم ، لأن هذه النار هى نور فى الحقيقة ، ولا يصلح لكل أحد أن يراها فقال تعالى : ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أى لعلى أستعلم من عندها عن الطريق ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدل على أنهم قد تاهوا عن الطريق فى ليلة باردة مظلمة لقوله فى الآية الأخرى فى سورة النمل ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ .

وقد أتاها بخبر وأى خبر ، ووجد عندها هدى ، وأى هدى واقتبس منها نورًا وأى نور وفى الآية الأخرى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ⑨ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق ، ثم قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وفى سورة النمل ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى سبحان الله الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وفى سورة طه قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ⑪ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑫ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ⑬ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ⑭ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ⑮ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١١-١٦] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف : لما قصد إلى تلك النار التى رآها فانتهى إليها ، وجدها تأجج فى شجرة خضراء من العوسج ، وكل ما لتلك النار فى اضطرام ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة فى ازدياد وتوقف متعجبًا ، وكانت تلك الشجرة فى لحف جبل غربى منه عن يمينه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

وكان موسى فى وادى اسمه طوى ، فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالواد المقدس طوى فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعة المباركة ولا سيما فى تلك الليلة المباركة وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفًا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ أى : أنا رب العالمين الذى لا إله إلا هو الذى لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التى لا بد من كونها ووجودها ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ من خير أو شر وحضه وحثه على العمل للآخرة ومجانبة من لا يؤمن بها ممن عصى مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبًا ومؤانسًا ومبينًا له أنه القادر على كل شيء الذى يقول للشيء كن فيكون : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ أى : ما هذه عصاك الذى تعرفها منذ صحبها ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ أى : بلى هى عصاى التى أعرفها وأتحققها ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ .

وهذا فارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذى يكلمه ، هو الذى يقول

للشيء كن فيكون وأنه الفعال بالاختبار ، وعند أهل الكتاب أنه سأل برهانًا «صادقًا» على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر ، فقال الرب عز وجل : ما هذه التى فى يدك ؟ قال : عصاى قال ألقها فى الأرض ، فألقاها فإذا هى حية تسعى» فهرب موسى من قدامها أمره الرب عز وجل ، أن يبسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا فى يده هذا وقد قال الله تعالى فى الآية الأخرى : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أى : قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تفتك . وهى مع ذلك فى سرعة حركة الجان وهو ضَرْبٌ من الحيات يقال له : الجان والجنات وهو لطيف سريع الاضطراب والحركة جدًا فهذه العصا انقلبت حية جمعت الضخامة والسرعة والشدة والحركة السريعة فلما عاينها موسى عليه السلام : ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ أى هاربًا منها لأن طبيعته البشرية تقتضى ذلك ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أى : لم يلتفت فناداه ربه قائلاً له : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ فيقال : إنه هابها شديدًا فوضع يده فى كم مدرعته ثم وضع يده فى وسط فمها ، وعند أهل الكتاب أمسك بذنبها فما استمكن منها إذا هى قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم أمره الله تعالى بإدخال يده فى جيبه ثم أمره بنزعها فإذا هى ضوء متلألئ كالقمر بياضًا من غير سوء أى : من غير برص ولا بهق ولهذا قال : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ قيل معناه إذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك ، وهذا وإن كان خاصًا به إلا أن بركة الإيمان به حق بأن ينفع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء .

وقال فى سورة النمل : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي

تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ، أى : هاتان الآيتان وهما العصا واليد هما البرهانان المشار إليهما فى قوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ، ومع ذلك سبع آيات أخر فذلك تسع آيات بينات ، وهى المذكورة فى آخر سورة الإسراء حيث يقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ وهى المبسوطة فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣] وسيأتى الكلام عن ذلك فى موضعه .

وهذه التسع آيات غير العشر كلمات ، فإن التسع من كلمات الله القدرية، والعشر من كلماته الشرعية ، وإنما نبهنا على هذا ، لأنه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة فظن أن هذه كما قررنا ذلك فى تفسير آخر سورة بنى إسرائيل .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٢ ـ ٣٥] .

قال ابن كثير : يقول الله تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام فى جوابه لربه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوه ، والذى خرج من ديار مصر ، فراراً من سطوته وظلمه ، حين كان أمره ما كان من

قتل ذلك القبطى ولهذا : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ أى : اجعله معى معينًا وردءًا ووزيرًا يساعدنى ، ويعينى على أداء رسالتك إليهم ، فإنه أفصح منى لسانًا وأبلغ بيانًا .

قال الله تعالى مجيبًا له إلى سؤاله : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ أى : برهانًا ﴿ فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ أى : فلا ينالون منكما مكروهًا بسبب قيامكما بآياتنا ، وقيل : ببركة آياتنا ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ .

وقال فى سورة طه : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ قيل : إنه أصابه فى لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التى وضعها على لسانه والتى كان فرعون يريد إختبار الطفل .

هل يعقل ؟ فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ التمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة التى وضعها على لسانه فأصابته لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها بالكلية قال الحسن البصرى : الرسل إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت فى لسانه بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم أنه يعيب به الكليم ﴿ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ أى ينصح عن مراده ويعبر عن ضميره وفؤاده ، ثم قال موسى عليه السلام ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٢٩ ـ ٣٦] .

يقول ابن كثير أى : قد أجبناك إلى جميع ما سألت وأعطيناك الذى طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل وحين شفع أن يوحى الله إلى أخيه

فأوحى إليه قال ابن كثير وهذا جاه عظيم قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ وقال تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠-١٩] .

نقرر الكلام فأتياه فقالا له ذلك وبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يفك أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويتفرغون لتوحيده ودعائه والتضرع إليه .

ولسنا بصدد إتمام قصة موسى عليه السلام مع فرعون ولكن المقصود هنا بيان ما تعرض له القرآن الكريم من تحديد أماكن الأحداث التى جرت لموسى عليه السلام فى أرض سيناء ، وإن الموضوع الذى نحن بصدده الآن هو تحديد مكان الوادى المقدس طوى والذى تحدثت عنه الآيات والأحاديث وأنه كان فى جبل طور سيناء عندما رجع موسى من أرض مدين فعبر بأهله خليج العقبة من ميناء النبك والذى يعبر منه التجار الذين يستوردون الأغنام من مدين والجمال وغيرها من الحيوانات ويبيعونها فى مصر عبر سيناء وأن موسى عليه السلام لما خرج من ميناء نبق سار فى طريق مختصر حتى أمسى قريبًا من مدينة طور سيناء حيث ضل الطريق هناك وحيث رأى النار فى جانب جبل الطور الغربى مما يلى وادى سهل القاع وأنه ذهب إلى مكان النار فناداه ربه وكلفه بالرسالة مع المعجزة التى فى يده وهى العصا واليد البيضاء وإن ذلك كان قريبًا من مدينة طور سيناء مما يلى قرية وادى الطور حيث مصب وادى

أسلا أو وادى فيران والأصح أنه مصب وادى أسلا ، وأن الزوار الذين كانوا معنا لما عاينوا على الطبيعة تلك الأماكن وقارنوها بالنصوص كان المرجح عندهم أن الموادى المقدس طوى هو المكان الموجود قريب من قرية وادى الطور الموجودة الآن وهذا المكان يحتاج إلى تحقيق أكثر لتحديد نفس المكان الذى كانت بها شجرة العوسج حيث أنزل الله رحمته وأعطى موسى الرسالة .

وفى تفسير ابن كثير قد تقدم فى تفسير هذه الآيات البينات أن موسى عليه السلام قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأتقاهما وقد يستفاد هذا أيضًا من قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ أى : أكمل .

قال ابن أبى نجيح عن مجاهد : قضى عشر سنين . وبعده عشراً أخر وهذا القول لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن أبى حاتم وابن جرير فالله أعلم .

وفى قوله تعالى ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ قالوا كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم فى خفية من فرعون وقومه . وكذلك من يخرج من مصر لابد له أن يعود إليها ويشعر بالغربة بعيداً عنها ويشعر بالشوق إليها فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التى وهبها له صهره الصالح .

●● ●● ●●

حديث عن مدين
والوادى المقدس طوى

حديث عن مدين والوادى المقدس طوى

وحيث ذكر المفسرون أن موسى لما عزم العودة إلي مصر استأذن صهره فقال له : لك ما ولدت الغنم من قالب ألوان أى : ما خرج منها على غير لونها فضربها موسى بعصاه عندما كانت تنزل الماء فأنتجت كلها قوالب ألوان والتى كانت تلد واحدة ولدت اثنين أو ثلاثة فسار بها موسى معه وهو راجع إلى مصر وهنا قد يأتينا سؤال كيف يعود موسى إلى مصر بعد عشر سنين وهو قد قتل واحداً منهم أفلا يخشى من القصاص ؟ ونقول : إن نظام الحكم فى مصر كان ديموقراطيًا بمنطق هذا العصر الذى نحن فيه وحيث كانت العقوبة تسقط بمرور عشر سنوات والقوانين كانت ثابتة ونظام الحكم مستقراً وفرعون مطاعًا فى قومه لأنهم يعتقدونه إلهًا وهذا هو السبب فى رسالة موسى وفى غضب الله سبحانه على فرعون ، وحيث إن فرعون لقى موسى وعاتبه ولكنه لم يعاقبه لسقوط العقوبة بمضى المدة .

يقول ابن كثير : سار موسى بأهله فى ليلة مطيرة مظلمة باردة فنزل منزلاً فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئًا فتعجب من ذلك فبينما هو كذلك إذ ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ أى رأى نارًا تضيء على بعد : ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾، فطلب من أهله أن يظلوا مكانهم حتى يذهب إلى النار ويعود إليهم بما يدفئهم فى هذه الليلة الشاتية الباردة خاصة وأنهم قد أضلوا الطريق فذهب إلى النار فلما كان عندها ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا

نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ ﴾ ، أى: جانب الوادى مما يلى الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ، قال ابن كثير : إن موسى قصد نارًا متجهًا إلى القبلة والجبل الغربى إلى يمينه وهو تفسير يتعلق بتصور الموقع والمكان فلما رأى موسى عليه السلام أن النار تضطرم فى شجرة خضراء فى لحف الجبل مما يلى الوادى فوقف باهتًا متحيرًا فى أمرها فناداه ربه ﴿ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود : قال أرأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف ، إسناده مقارب وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن منبه قال : شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول : إنها من العوسج وقال قتادة : هى من العوسج ﴿ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى أن الذى يخاطبك هو الله رب العالمين الفعال لما شاء لا إله إلا هو ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله سبحانه وتعالى .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ التى فى يدك كما قرره على ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ والمعنى أما هذه عصاك التى تعرفها ؟ ألقها .

والخلاصة فى تحديد مكان الوادى المقدس طوى : إن الله سبحانه ذكر هذا المكان فى الكتاب الكريم عدة مرات وحدد الكتاب الكريم مكانه وأشار إلى ذلك فى الآيات الكريمة والتى تعرضنا لها ولأقوال المفسرين فيها حتى لا نقول فى كتاب الله سبحانه بما لا نعلم ولا نقدر عليه عرضنا لأقوال المفسرين وأقوال أهل الكتاب وقلنا : إن البحوث فى هذه الموضوعات كلها قد قام بها

الكتاب من غير المسلمين أمثال نعوم شقير والكاتب الأمريكى هكنز وغيرهم.

يقول نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ص٤٧٨ بعنوان «مباحث الخروج»: ولنعد إلى الخروج فإن هذا الحادث العجيب على عظم أهميته لا نعلم عنه شيئًا صريحًا إلا عن طريق التوراة والقرآن ولم يعثر بعد على أثر من الآثار المصرية أو السورية يشير إليه صريحًا ويرجع عدم وجود أثر له فى مصر لأن ملوكها لم يحيوا من الحوادث إلا ما خلد لهم الفخر وطيب الذكر لا الخيبة والفشل كحادث الخروج ؟.

هذا وقد باد سكان سيناء الأصليون وبادت لغتهم وتغيرت أسماء الأمكنة التى مر بها بنو إسرائيل عند اختراقهم سيناء حتى إنه لم يكد يبقى مكان معروف باسمه القديم لذلك اختلف الباحثون فى تفاصيل خبر الخروج فى الملك الذى خرج الإسرائيليون فى عهده والمكان الذى خرجوا منه من مصر والمكان الذى عبروا منه إلى البحر الأحمر والطريق التى ساروا بها فى سيناء والمكان الذى حاربهم فيه العمالقة والجبل الذى نزلت عليه الشريعة والبلاد التى تاه بها الإسرائيليون وعدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر وحقيقة المن والسلوى وغير ذلك من مباحث الخروج .

ولعلماء التوراة والمؤرخين المحققين فى هذه المباحث آراء وتخمينات كثيرة المعنا إلى بعضها فى باب الجغرافية وأظهر تلك الآراء :

أن الإسرائيليين خرجوا من مصر فى عهد مرنبتاح بن رمسيس الثانى من ملوك الدولة التاسعة عشرة وإن مدينة رعمسيس التى خرجوا منها هى الخرائب المعروفة بتل المسخوطة فى مديرية الشرقية وأنهم عبروا البحر الأحمر بالقرب من مدينة السويس وانشق البحر الأحمر بريح عاصفة عند عبور بنى إسرائيل ورجوعه عند مرور مركبات فرعون يعللان بالمد والجذر المشاهدين فى

رأس البحر الأحمر وأنهم بعد دخولهم سيناء ساروا بطريق البتراء فأتوا عيون موسى فعين الهواره (مآره) فعين غرندل (إيليم) فسهل المرخا (برية سين) فوادى فيران (رفيديم) وأن العمالقة حاربوهم فى هذا الوادى قرب العين فى المكان المعرف الآن بحصى الخطاطين وأنهم ساروا من هذا الوادى إلى جبل موسى وأن جبل الصفصافة هو الجبل الذى وقف عليه موسى لتلقى الوصايا العشر وأن سهل الراحة تجاهه هو السهل الذى وقف فيه الإسرائيليون وتلقوا الشريعة من فم موسى وأنهم بعد أن قضوا نحو سنة عند جبل موسى عادوا إلى طريق البتراء فمروا بعين حدرة «حضيروت» وهبطوا شاطئ خليج العقبة عند النويبع وساروا إلى عصيون جابر وأيله على رأس الخليج .

ومن هناك ساروا بوادى العربة «أو بوادى طابا أو وادى العين» إلى أن أتوا وادى الجرافى ثم ساروا منه شمالاً إلى برية عين قديس فقضوا فيها بقية الأربعين سنة ثم عادوا إلى عصيون جابر وأيله وداروا حول بلاد أدوم من الشرق فذهبوا بوادى اليتم إلى أن أتوا طريق دمشق الشام فساروا فيها إلى الشرق شرق الأردن ثم عبروا هذا النهر إلى أرض الميعاد وإن المن الذى كان طعامهم كل مدة تغربهم فى سيناء ليس صمغ الطرفاء الذى قال به البعض لأن هذا لا يظهر إلا عند اشتداد الحر فى شهرى يونيو ويوليو وكل ما يمكن جمعه فى السنة لا يكفى شخصًا واحدًا ستة أشهر بل هو حب عجيب كان ينزل لهم مع الندى ويقول الكاتب هكنز هوكبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل وأن طائر السلوى الذى نزل عليهم فى برية سين فى عين حضيروت هو طائر السمان أو طائر الجراد .

وقد نشر الإفرنج عدة كتب فى هذه المباحث كلها ومن أنفسها وأحدثها الكتاب (من النيل إلى نبو) للعلامة الدكتور هكنز من كبار المرسلين الأمريكيين

فى بيروت نشره فى أمريكا سنة ١٩١١م وبسط فيه آراءه رأهم آراء الباحثين فى جميع المواضيع المشار إليها ولست أقصد في كتابى هذا أبسط تلك الآراء وإبداء رأيى فيها كلها لأنه لا يسع الكاتب أن يبدى رأيًا مسموعًا فى مثل هذه المباحث الهامة الغامضة إلا إذا سار فى طريق الخروج من أولها إلى آخرها وكان له الإلمام التام بجغرافية مصر وتاريخها الحديث والقديم وفى تاريخ الكتاب المقدس وتفسيره كالدكتور هكنز ولكن لما كان موضوع كتابى هذا يقضى على بطرق هذه المواضيع وكنت قد زرت أكثر الأمكنة الواقع عليها الخلاف لم أر بدًا من إلقاء دلوى فى الدلاء وأن أقول كلمتى ضمن الأمور الآتية وهى :

١ـ عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بطريق سيناء .

٢ـ طريق موسى أو طريق الإسرائيليين فى سيناء .

٣ـ الجبل الذى نزلت عليه الوصايا العشر .

٤ـ البلاد التى تاه بها بنو إسرائيل .

ثم تحدث نعوم شقير عن رأيه فى عدد الإسرائيليين فقال : أما عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى عليه السلام فظاهر عبارة الكتاب أنهم كانوا ستمائة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد (خروج٣٧:١٢) .

وإذا حسبنا النساء والأولاد كان عددهم حوالى ثلاثة ملايين نسمة ماعدا البهائم .

وليس فى قواد البشر قائد يستطيع جمع جيش كهذا مقداره ثم الفرار به من وجه ملك قوى شديد البطش كفرعون مصر وإن وجد هذا القائد فإنه يستحيل أن يعد لجيش كهذا الماء والزاد والركائب فى برية مجدبة كبرية سيناء

كانت منذ الخليقة وما تزال إلى اليوم قيلة المياه قليلة النبت والزرع والضرع وعدد السكان وقد تقدم لنا أن سكان سيناء لا يزيد عددهم عن خمسين ألف نسمة وأن كان بلاد الطور التى اخترقها الإسرائيليون لا يزيدون عن أحد عشر ألف نسمة ولا نعلم أن عدد سكان سيناء كان فى أى عصر من عصور التاريخ يزيد كثيراً عما هو الآن ، ولأن طبيعة جو سيناء كانت غير ما هى الآن .

إذ يستحيل تسيير جيش هذا مقداره فى برية سيناء إلا بتقدير سلسلة من العجائب الإلهية كل مدة بقائهم فى سيناء ، وهذا مما لا تتطلبه روايه الكتاب هذا كلام نعوم شقير عن عدد الإسرائيليين .

ونحن نقول أن الذى فسر كل الغموض فى قصة موسى عليه السلام هو القرآن الكريم فهو الذى يقص الحقيقة كلها ويظهر الحق من الباطل .

لقد قال سبحانه وتعالى فى سورة النمل : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ويقول سبحانه عن المعجزة التى أنكرها نعوم شقير وأمثاله من الكتاب الذين لا يرضون بالقرآن الكريم مرجعًا : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٠ ـ ٨٢] .

ويقول سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠] .

وقوله سبحانه فى سورة البقرة قبل ذلك : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] .

ولما كان القرآن الكريم مصدقًا لما بين يديه من الكتب السابقة ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ فقد أوضح الكتاب الكريم أن موسى عليه السلام كان يسير ببنى إسرائيل فى سيناء بمعجزة ربانية وبسلسة متصلة من العجائب الربانية فالعصا عجيبة ومعجزة وخرق البحر عجيبة ومعجزة ليست حركة المد والجزر كما يقول نعوم شقير نقلاً عن رواية التوراة وعن كتاب الإفرنج ، وكذلك نزول المن والسلوى معجزة ربانية ، وانفجار الماء من الحجر الذى ضربه موسى بالعصا معجزة وعجيبة ربانية ، فلا يهم أن يكون عدد الإسرائيليين ثلاثة ملايين أو عشرين ألفًا ، لأن الذى يتولى الرعاية هو الله سبحانه وتعالى ، وهو الرزاق ذو القوة المتين ، يقول ابن كثير فى تفسيره فى سورة البقرة : وأما السلوى فقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السلوى طائر يشبه السمان كانوا يأكلون منه وقال ابن كثير عن وهب بن منبه قال : سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام الطعام فقال الله لأطعمنهم أقل لحم يعرف فى الأرض ، فأرسل عليهم ريحًا فأذرت عند مساكنهم السلوى وهو السمانى قدر ميل فى ميل قدر رمح فى السماء فخبئوا للغد فنتن اللحم وخنز الخبز وقال السدى : لما دخلوا بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما ههنا أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن ، فكان ينزل على شجرة الزنجبيل والسلوى ، وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه ، فكان يأتى أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سمينًا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه، ثم قالوا لموسى : هذا الطعام فأين الماء أين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام ، وأمر الله موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله فشرب كل سبط من عين ثم قالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم يعنى تعيش زمنًا طويلاً ، وتزيد فى الطول كما يزيد الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله

تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ وروى عن وهب ابن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدى : وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس : خلق لهم فى التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن ولا تبلى قال ابن جريج : فكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون فى يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسداً قال ابن عطية السلوى طير بإجماع المفسرين وقال بعضهم : إنه العسل وقال ابن كثير قال الله سبحانه : ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أى : أنهم كفروا بنعمة الله سبحانه وما شكروا وطلبوا من موسى عليه السلام أن يأتيهم بأطعمة مختلفة من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١].

ويقال : إنهم رجعوا مصر بعد أن تلقوا التوراة ، وبعد مضى عام وقليل فى صحراء الطور ثم سكنوا مصر حتى أمرهم بدخول بيت المقدس فهذه كلها آيات بينات دلائلها ظاهرات على قدرة الله سبحانه وأنه كان يعطى موسى وبنى إسرائيل معجزات ربانية ويصحبهم فى سيرهم مع موسى عليه السلام فى التيه بالرزق والكساء ، ويظلل عليهم السماء فلا يهم عددهم ولكن المهم أن يعتبروا ، ويعتبر الكتاب المحدثون الذين يمرون على هذه القصة دون النظر إلى جوانب الإعجاز فيها والتى لم يظهرها غير القرآن الكريم .

ونعـود معك أخى القارئ الكريم إلـى حديث نـعوم شقـير عن تحـديد الأماكن التى حدثت بها أحداث قصة موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل .

إن رواية التوراة حددت عدد الذين خرجوا مع مـوسى من مصر بستمائة ألف من الذكور فإذا أضفنا النساء فسيكـون العدد قريبًا من ثلاثة ملايين نسمة تقريبًا إذ يسـتحيل تسيير جيـش هذا مقداره فى برية سيناء إلا بتـقدير سلسلة متصلة من العـجائب والمعجزات الإلهية كل مدة بقائـهم فى سيناء وهذا ما لا تتطلبه رواية الكتاب وقد قلنا : إن الـقرآن الكريم أثبت أنهم كانوا يمشون مع موسى علـيه السلام بسلسلـة متصلة من العـجائب والمعجزات الإلهـية ، ثم يمضى نعوم شقير فيقول : وفوق ذلك فإننا نرى من رواية الكتاب أن العمالقة عند محاربـتهم الإسرائيليين فى ريفيـديم وقفوا فى وجههم النـهار بطوله إلى مغـيب الشمس ، وقـد قدمنا أن سـكان بلاد الطور مـا كانوا فى عـصر من العصور أكثـر من عشرين ألف نسمة أو نحو ٣٠٠٠ مقـاتل ، فلو كان عدد مقاتلـى الإسرائيليين ستمـائة ألف كما هو ظاهـر الكتاب ما أمكن العـمالقة الوقوف فى وجههم كل تلك المدة بل ما كانوا وقفوا فى وجههم البتة : وعليه فلا بـد أن يكون المراد من عـبارة الكتـاب غير ظـاهرها وهذا هو رأى أكـثر المحققين الذين درسوا الموضوع من أرضـه ومن هؤلاء العلامة بترى المار ذكره وقد أتى فى كتابه : « مباحث فى سيناء » عـلى تفسير لهذا المعنى فقال : إن لفظة ألـف تطلق فى التـوراة على العدد المـعروف كمـا تطلق على عـائلة أو خميمة وتناول هذا التـفسير الدكتور هكنز فى كتابه المشـار إليه آنفا فأتى بعدة أدلة من الكتـاب على صحة رأى بتـرى فى علمه ألف ثم طبـق رواية التوراة عليه فكان عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر نحو مائة ألف نسمة وهذا العدد أيضًا فى رأيى أكثـر مما تتحمله حال سيناء وتقتضـيه رواية التوراة وعليه فلابد لعلماء التوراة من استئناف البحث فى هذا الموضوع وإيجاد تفسير جديد

للأرقام الواردة فى هذا الكتاب يحل هذا المعنى تمام الحل حتى لا يزيد عدد الإسرائيليين الذين اجتازوا سيناء عن ستة آلاف مقاتل أو عشرين ألف نسمة على أعظم تقدير والله أعلم ، انتهى كلام نعوم شقير .

أخى القارئ الكريم : إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالحق والبيان والحل الكامل الشامل لكل مشاكل الإنسان على الأرض وإقامة الفرائض واجتناب النواهى، ولو أن الناس صدقوا ما جاءهم به ربهم على لسان نبيهم ﷺ لم يبق لديهم أى مشكلة عقلية أو سمعية أو بصرية لم تبق هناك مشكلة اقتصادية ولا سياسية ولا اجتماعية ، لم تبق هناك مشكلة عقائدية أو سيتافيزيقية «**لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبداً كتاب الله وسنتى ألا هل بلغت اللهم فاشهد**» إن من يترك هدى محمد ﷺ يحصد الشقاء فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وما كان الشقاء المسيطر على العالم كله اليوم إلا من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ .

ومن هنا فإن القرآن الكريم يصحح لبنى إسرائيل ومن بعدهم كثيراً من الذين كتبوه وغيروه وحرفوه وبدلوه .

ونعوم شقير ككاتب من كتاب أهل الكتاب لا يتخذ من القرآن المرجع المعول عليه بل يعتمد على المراجع التى دونها فى نهاية كتابه تاريخ سيناء ، ثم يعمل قلمه وفكره فى توضيح رؤيته وكثيراً ما يصيب ولكنه كثيراً ما يخطئ بشهادة العقل والشرع والواقع فهو يرى أن بنى إسرائيل ساروا فى سيناء فى طريق البتراء ليبتعدوا عن حاميات فرعون الموجودة فى طريق الحج المصرى مع علمه بأن موسى عليه السلام خرج من مصر بعد أن هلك فرعون وجيشه وبعد أن أورث الله بنى إسرائيل ملكهم ، وأن الذى يحرسهم فى

طريقهم هو الله سبحانه .

كذلك لم يتعرض نعوم شقير للطريق الذى رجع فيه موسى من مدين عن طريق ميناء النبك لاعتقاده هو وكل الكتاب الذين نقل عنهم أن مدين كانت فى سيناء علمًا بأن القرآن الكريم قد ذكر أن موسى عليه السلام خرج من البلاد التى يسيطر عليها فرعون ووصل إلى مدين وجاءته الفتاة التى أرسلها له أبوها تدعوه إليه قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٢ ـ ٢٥] .

فأرض مدين غير أرض مصر وهم شعب وحكومة غير شعب مصر وفى سورة طه يقول سبحانه : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤٠ ، ٤١] .

لم يتحدث كتاب أهل الكتاب عن طريق عودة موسى من مدين إلى طور سيناء وحيث ناداه ربه فى ليلة شاتية باردة مظلمة وحيث كانت المناداة من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة وهنا بيت القصيد ، المطلوب الآن تحديد مكان الشجرة بجوار طور سيناء حيث قال الله تعالى فى سورة مريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١-٥٣] .

وقد تحدثنا فى ذلك وقلنا : إن كتاب نعوم شقير وغيره لم يتعرض لمكان

الشجرة والمكان الذى نادى موسى فيه ربه سبحانه وتعالى كما تعرض القرآن الكريم فى الآية السابقة من سورة مريم وفى آيات سورة القصص حيث قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٢٩-٣٢] .

والآيات الكريمة تشير كما أوضحنا من قبل فى هذا البحث نقلاً عن تفسير ابن كثير وغيره من التفاسير أن موسى عليه السلام سار إلى مدين بهداية ربه وقضى فيها عشر سنوات يرى غنم حميه (والد زوجته) وأنه رجع بعد أن قضى الأجل وانتهت المدة التى يسقط حكم القتل بها ، فلن يحاكم بعد فوات هذه المدة حسب القانون المصرى فى ذلك الوقت ، وأن موسى عليه السلام أخذ قطيعًا من الغنم ، وسار بزوجته وأولاده عائدًا من مدين فى شمال السعودية مقابل مدينة شرم الشيخ ، ودهب وعبر الخليج من ميناء «النبك» أو ميناء نبق فى مراكب ، كانت تنقل تجار الأغنام والجمال من السعودية إلى سيناء عبر ميناء النبك وأن موسى عليه السلام كان عائدًا إلى أهله فى مصر حيث كان بنو إسرائيل ، وحيث لم يذكر أحد من المفسرين صراحة مكان وجود بنى إسرائيل بمصر فى عهد موسى عليه السلام والطريق الذى خرجوا منه من مصر إلا أنهم ذكروا أن موسى عليه السلام عبر البحر جنوب مدينة السويس.

●● ●● ●●



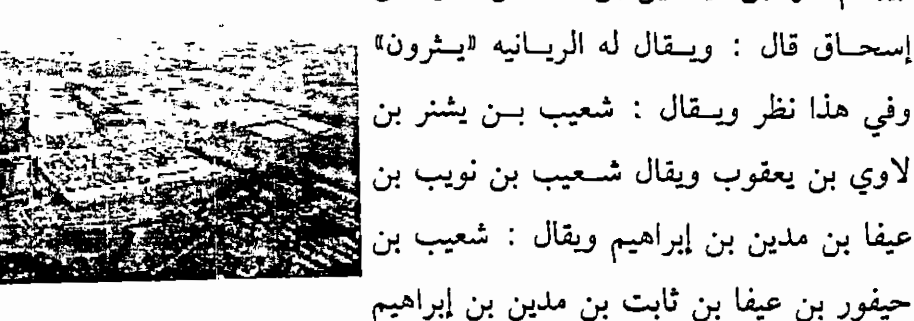
تحقيق مكان مدين

تحقيق مكان مدين

قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

قال الإمام ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء كان أهل مدين قومًا عربًا يسكنون مدينتهم «مدين» التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبًا من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكائيل بن يشجن ذكره ابن إسحاق قال : ويقال له الريانيه «يثرون» وفي هذا نظر ويقال : شعيب بن يشنر بن لاوي بن يعقوب ويقال شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ويقال : شعيب بن حيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم



وقيل : غير ذلك في نسبه وقال : ابن عساكر ويقال : جدته ويقال : أمه بنت لوط .

والشاهد في هذه القصة هو تحديد مكان مدين شمال بلاد الحجاز وجنوب الأردن .

قال ابن كثير وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة ابن سعد العنزي : أنه قدم على رسول الله ﷺ فانتسب إلى عنزة فقال : «نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأختان موسى » فلو صح هذا لدل على أن شعيبًا صهر موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم : عنزة لا لأنهم عنز بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فإن هؤلاء بعده بدهر طويل ، والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل «قال أربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر» وكان بعض السلف يسمى شعيبًا خطيب الأنبياء ويعني ذلك فصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته .

وقد روى ابن إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس : قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا قال «**ذاك خطيب الأنبياء**» .

*** طريق موسى عليه السلام عند عودته من مدين :**

من المعلوم أن موسى عليه السلام عندما قضى الأجل ، وعندما سار بأهله حتى وصل إلى الطور من مدين ، والتي هي في شمال الجزيرة العربية وجنوب معان بالأردن قريبًا من بحيرة لوط وهو البحر الميت بالأردن ، قد سلك طريق تجار الغنم الذين يعودون بتجارتهم من السعودية إلى مصر عبر سيناء ومن هذه الطرق ما يسمى طريق النُّبك أو ما يسمى اليوم بميناء نبق أو محمية نبق ومنها يعود التجار بالأغنام والجمال عن طريق البواخر ، التي تعبر خليج العقبة ثم يسيرون بهم أيامًا ومراحل داخل سيناء يرعون غنمهم وإبلهم

حتى يصلوا بها إلى السويس ، ومن العلوم أن موسى عليه السلام كان يسير في نفس الطريق ولكنه ضل الطريق ولكنه ضل الطريق في ليلة شاتية مظلمة، فذهبت به إلى جوار جبل طور سيناء كما قدمنا ، وقد أوضح نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء طريق التجار والذين يعودون بما معهم من غنم وجمال وغيرها من السعودية فقال في صـ ٢٨٥ «درب النبك» .

هذه الدرب هي درب تجار الإبل والغنم من الحجار إلى مصر في هذا العهد ، حدثني الحسن الأجن التاجر الحويطي الذي يتجر بالإبل والغنم مع الحجاز قال :

«نأتي بالإبل والأغنام من الحجاز إلى ميناء الشيخ حميد ، ونعبر بها خليج العقبة الصبح في مراكب فنصل ميناء النبك إذا ساعدت الريح بساعة ونصف ثم نسير من النبك الضحى شمالاً بغرب ٣ ساعات ، فنصل وادي الأرملة فنسند معه حتى نلتقي وادي البدع فنبيت فيه أول ليله ثم نسند مع وادي البدع إلى فنبيت فيه أول ليله ثم نسند مع وادي البدع إلى أن نلتقي وادي رتامة «فرع من البدع» الظهر فنقيل فيه ثم نستطرد السير في هذا الوادي قليلاً ننفرج من اليمين إلى وادي نقيرات فنقطعه ونأتي عين الكيد في وادي الكيد فنبيت ثاني ليلة ثم نصعد في الوادي نحو ساعة ونعرج إلى اليمين فنسير بين جبلين ونقطع وادي الأملح «فرع من مدسوس» ثم نتسلق نقبًا صغيراً ونهبط في وادي النصب فنبيت فيه ثالث ليلة ثم نبرح وادي النصب ونسير عن شمالنا فيقابلنا وادي زغرة فنسند معه نحو ساعتين ثم نتركه عن شمالنا ونسير إلى يمينا فنأتي علو العجرمية فنبيت فيه رابع ليلة ثم نسير في العلو حتى نأتي عين الأخضر في رأس وادي الأخضر فنستقي منها ونستطرد السير إلى نقب الأشقير فنبيت فيه خامس ليلة ومن نقب الأشيقر نهبط وادي

الأشيقـر فنبيت فـيه خامس ليلـة ومن نقب الأشيقـر نهبط راديس الأشـيقر وننحدر سـعه إلى أن نأتي وادي السـيق فننحدر معـه ساعة ثم نتـركه زندخل الرملة ونسير فيها إلى الشيخ حبوس فنبيت عنده سادس ليلة ثم نستطرد السير في الرملـة فنأتي فم و دي النصـب «اغربية» الضـحى فنرد الماء وتصـدر عنه العصر فنقطع رمله القُرَى ونبيت في رادي الحـمر سابع ليلة ثم نستطرد السير في طريق البتراء فـنبيت في غرندل ثامن ليلة ثم في بئـر عواد تاسع ليلة ثم في عيـون موسى عاشـر ليلة ثم نأتـي الحجر السـويس الضحي عنـد كوبري السويس فـتقضي فـيه يومًا إلى ثلاثـة أيام فيتقـاضانا وكيل الحـويطات رسم جمرك والمحجر وهو ٤,٥ قـروش عن كل رأس ماعز و ٥,٥ قروش عن كل رأس ضأن و ٤٣ قـرشًا عن كل جـمل ثم نتخـذ طريق نابلـيون إلى بلبـيس فسوق الخانكة قـرب المرج فسوق شبيم فسوق قليوب فـسوق طنان نبيع الإبل والأغـام ثم نعود إلى الحجاز بهذه الطريقة عينها فنشتري سواقه ثانية وهكذا .

هذا ويذهب تجار الحويطات من مائة إلى ثلاثـمائة تاجر في السنة يذهبون جماعـات تختلف من خـمسة إلى عشـرين تاجراً وكل تاجـر يذهب مرة أو مرتين أو ثلاثًا في السنة وفي كل مرة يحضر معه من مائة إلى خمسمائة رأس غنم ومن عشرة جـمال إلى مائة جمل وأكثر تجـارة الإبل في هذه الطرق من إبريل إلى أغسطس . . . انتهى كلام نعوم شقير .

ونقول أن هذه الرحلة عـبر خـيج العقبة من أرض مديـن بالسعودية إلى مصر لتجار الأغنام والتي وصفها نعـوم شقير كانت في ١٩١١م يعني العصر الحديث والزمن الـقريب أما رحلة موسى عـليه السلام فهي تمـامًا سارت هذا المسار حيث كان خليج العقبة من أكـثر مناطق الدنيا عمارة وحضارة في زمن سيدنـا موسى عليه السـلام ، وكانت على جانبـيه تكثر الحضـارات والممالك

القديمة فالفراعنة في سيناء مصر وحضارة ثمود وحضارة مدين وحضارة قوم لوط والحضارات بسوريا من فينيقية وأشورية وغيرها ، وأما موسى عليه السلام فقد عبر خليج العقبة بغنمه التي أعطاها إليه حماه ليس فيها قشوش ولا ضيوف ولا طينوب وهي خالية من العيوب وعبر موسى بالسفينة التي كان يعبر بها الناس والتجار من ميناء النبك ميناً نبق حاليًا حيث كان هو أهم الموانئ على الخليج ولكنه لم يسلك الطريق الذي وصفه نعوم شقير وحيث أن القرآن الكريم لم يذكر خط سير موسى عليه السلام ولم نجد لدى المفسرين من أثر يدل على ذلك فإنه لابد أن يكون موسى عليه السلام قد سلك نفس الطريق غير أنه مر بثلاث محطات ضرورية لرحلته حسبما ورد في القرآن الكريم فالأولى وهي مدين والثانية هي طور سيناء حيث ناداه ربه بالوادي المقدس طوى والثالثة هي المدينة التي يسكنها أهله أمه وأخوه هارون وبقية الأسرة ويقيم بها فرعون سلك مصر في هذا الزمان .

ونحن مع القرآن الكريم نقول : إن من الثابت نصًا في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قد مر بطور سيناء مكان مدينة الطور الآن وأنه تاه في الطريق ، فسار في اتجاه الجبل الذي يسمى جبل الطور وكان بين الطريق والجبل مسافة لا تزيد عن خمسة كيلو مترات حسبما هو موجود على الطبيعة وأن موسى عليه السلام رأى نارًا في لحف الجبل ، أي في جانب الجبل من الوادي وهو متجه شرقًا ثم سار شمالاً فأصبح الجبل عن يمينه قال الإمام القرطبي في تفسير سورة مريم عند قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾ أي : وقرأ عليهم من الكتاب قصة موسى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ في عبادته غير مرائي وقرأ أهل الكوفة بفتح اللام أي : أخلصناه فجعلناه مختارًا ﴿ وَنَادَيْنَاهُ ﴾ أي : كلمناه ليلة الجمعة ﴿ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ أي : يمين موسى وكانت

الشجرة جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر قاله الطبري وغيره ، فإن الجبل لا يمين له ولا شمال ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ نصب على الحال أي : كلمناه من غير وحي وقيل : أدنيناه لتقريب المنزلة حتى كلمناه وذكر وكيع وقبيضه عن سفيان عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ أي : أدنى حتى سمع صريف الأقلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ وذلك حين سأله فقال : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي ﴾ .

*** مكان الوادي المقدس طوى :**

قال الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه قصص القرآن ص ١٩٨ ما نصه :

وقد وصف بالأيمن ضد الأيسر ، وهو باعتبار أنه واقع على يمين القبلة على طريقة العرب من جعل القبلة هي الجهة الأصلية ، فيكون الموقع هو الجهة الغربية لجبل الطور أي : جهة مغرب الشمس من الطور ، أنه مكان في جانب جبل الطور عند مدينة طور سيناء ، وهي أخصب مكان في هذه المنطقة ومن المعلوم جغرافيًا أن مدينة طور سيناء ينزل عندها الماء من جبل الطور عند السيول من وديان تنحدر من جبل كاترين شرقًا إلى مدينة طور سيناء ، وحيث قرية وادي الطور وبعدها حمام موسى ناحية البحر ويفصل جبل الحمام عن جبل الطور وادي متسع يسمى سهل القاع وهو حسب ما ذكره نعوم شقير في كتاب تاريخ سيناء ص ٣٨ قال «وسهل القاع» هو امتداد سهل المرفا والذي يبدا من ميناه أبو رديس ، ويمتد جنوبًا نحو خمسة عشر ميلاً إلى مصب فيران المشهور إنه السهل المعروف في التوراة ببرية سين حيث تذمر الإسرائيليون من الجوع ، فأرسل لهم المن والسلوى لأول مرة خروج

ص ١١٦ .

وسهل القاع يبدأ حيث ينتهي سهل المرفا ويمتد جنوبًا إلى رأس محمد مسافة تسعين ميلاً تقريبًا وعرضه عند مدينة الطور نحو ١٤ ميلاً ولكنه من مصب فيران إلى مدينة الطور يتقهقر نحو البر فيفصل بينه وبين البحر جبال مستطيلة قليلة الارتفاع أشهرها جبل حمام موسى ، وجبل الناقوس وبين جبل حمام موسى ، وجبل الطور عند مدينة الطور ١٤ ميلاً تقريبًا بها وادي سهل القاع ويصب فيه عند مدينة الطور وادي فيران الذي يقول عنه نعوم شقير ص ٧٤ «ووادي فيران» ينشأ من نقب فيران شرقي جبل سربال ويسير متعرجًا جنوبًا نحو ١٥ ميلاً فيصب في سهل القاع على نحو ١٦ ميلاً من مدينة الطور وهو في طريق هذه المدينة من الدير والعقبة وعند مصبه حجارة نبطية وفيه ثلاث عيون «عين الوطية في رأس الوادي في سطح نقب فيران الجنوبي» وعين الرويسات على نحو خمسة أميال عن عين الوطية وعليها ثلة من النخيل «وعين الحشا» على نحو خمسة أميال من عين الرويسات وهي أغزرها ماء تجري نحو ثلاثة أميال ثم تغور بالقرب من مصب الوادي في مجراها بعض النخيل ومن فروع فيران وادي كرين يأتي من الشرق من جبل مدسوس ويصب فيه بين عين الوطيه ، وعين الرويسات بعد مسيرة ستة أميال، أو نحوها وفي رأسه في جبل مدسوس يكثر حيوان التيبل فتقصده السياح لصيده.

ووادي الملاحة يأتي فيران من الشمال الغربي ويصب فيه بين عين الرويسات ، وعين الحشا طوله نحو ستة أميال ، وفي رأسه معدن المغنسيوم والحديد عدنه القدماء اتيت هذا المعدن سنة ١٩٠٧ فرأيت تلالا من نقاوة المعدن بقربها عدة أكواخ بناها المعدنون الأقدمون مساكن لهم وهي مبنية من

حجر الغشيم والطين بناء متين جداً حتى نجد الطين لاصقًا بالحجر كأنه جزء منه ؛ ولها أبواب من حجر ضيقة جداً شبران في شبرين فلا يمكن الدخول منها إلا زحفًا وأهل البلاد يسمونها «قصر» مفردها قصير .

نقيب حبران أما نقب حبران ، فهو جبل مرتفع شهير يطل على سهل القاع وجبل سربال وجبال التيه فتنجلي منه المناظر من أجمل المناظر في سيناء وأبهاها وطوله من أسفله عند عين لوطية إلى رأس قمته مسيرة ساعة وعلى قمته خرائب قرية قديمة للسكان الأصليين ، تخترقها طريق الطور ترى المنازل فيها مبنية على شكل إسطواني أو حلزوني تنتهي بقبة ، ولكل منزل في أسفله حائط متين يدعمه ، وكلها بالحجر الغشيم والطين ، وللقرية جبانة محكمه الصنع فيها أربعة أضرحة ، ضريحان تحت الأرض وضريحان فوقها قالوا : وقد وجد بعض البدو في تلك الجبانة أساور من ذهب .

ويعتقد ـ والله أعلم ـ أن هذا المكان الذي عسكر فيه بنو إسرائيل وعبدوا فيه العجل ، ورفع الله سبحانه فوقهم الجبل في هذا المكان .

« **ووادي أسلا** » ينشأ من غربي طور سيناء ويسير متعرجًا بين الجبال الطرفية إلى أن يصب في سهل القاع على نحو ١٤ ميلاً من مدينة طور سيناء وهو أجمل وادٍ في سيناء كلها وفيه عين تجري مسافة قصيرة ثم تغور في رمال قبيل مصبه في سهل القاع وفيه تمر طريق مختصرة من مدينة الطور إلى دير سيناء ويعرف رأسه بوادي الطرفا . انتهى كلام نعوم شقير .

إذًا أين الوادى المقدس طوى ، وبعد هذا السرد واستعراض الأماكن في الكتب السابقة ، وعلى الطبيعة فإن الوادي المقدس طوى لا يعدو أن يكون عند مصب وادي حبران في سهل القاع على بعد ١٦ ميلاً شرقًا بشمال من مدينة الطور والأرجح عندي أن مصب وادي أسلا هو مكان الوادي المقدس

طوى ، وذلك لأنه أقرب إلى مدينة طور سيناء ، وأقرب لرحلة موسى عليه السلام وأنه كما وصفه تاريخ سيناء أجمل وادي في سيناء كلها وأن فيه طريق مختصرة تمر من مدينة الطور إلى دير سيناء وهو دير سانت كاترين والله أعلم وعلى الجهات الإدارية بمحافظة جنوب سيناء التحقق من ذلك على الطبيعة بالصورة والنظر التاريخي والدراسة السطحية لهذا الوادي المقدس .

●● ●● ●●


حديث الجبل

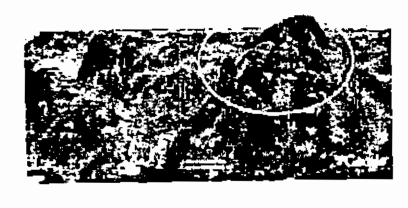


حديث الجبل

قال الإمام ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٢٩٠ : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٣-٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١] .

قال ابن عباس وغير واحد من السلف : لما جاءهم بالألواح ، وفيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم فقالوا : أنشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها قال : بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مراراً فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم ، حتى صار كأنه ظلة ، أي غمامة على رؤوسهم ، وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة اليهود إلى اليوم يقولون : لا سجدة



أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال : فلما نشرها ولم يبق على الأرض جبل ولا شجرة ولا حجر إلا أهتز ليس على الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

أي : ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم نكثتم عهودكم ومواثيقكم فأدرككم ربكم بإرسال الرسل وأنزل الكتب عليكم ، انتهى كلام ابن كثير .

ونقول : إن بني إسرائيل يحبون لمحسوس والملموس وكلام التوراة فيه وعود ووعيد ويبشر بالجنة في الآخرة ، وهم لا يحبون إلا جنة الدنيا ، كذلك فإن التوراة تساوي بين البشر جميعًا على أنهم خلق الله وعباده ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ولكن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار وفي التوراة مكتوب أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص .

وهم جعلوا من أنفسهم أعلى منزلة من سائر الناس، وأكثر قيمة فكيف تساوي التوراة بين نفس اليهودي وأي نفس أخرى وعين اليهودي وأي عين أخرى ، بل إنهم كانوا يفضلون بعض قبائلهم وأسباطهم في الدية والقصاص فكيف يرضون بالمساواة مع سائر الناس ، فرفضوا التوراة ، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يرجع بها إلى ربه سبحانه حتى يغيرها كيفما يرون ويعتقدون فغضب موسى ، وأمرهم أن يأخذوها كما هي وغضب الله سبحانه وتعالى فأمر الملائكة فرفعوا الجبل فوق رؤوسهم حتى صار مثل السحابة في السماء فخافوا العذاب ، فسجدوا على شقهم الأيسر ، وهم ينظرون إلى السحاب فرفع الله عنهم العذاب ولكنهم بعد ذلك كتبوا كتبًا كثيرة ، وغيروا فيها ما جاء في التوراة وسموها شروح التوراة مثل التلمود أكملوه من المشنا

والجمارا.

نعم إن بني إسرائيل رفضوا العمل بالتوراة حتى رفع الله عليهم الجبل ولولا فضل الله ورحمته لأهلكهم ، ولكنهم صاروا إلى أجالهم ورحم الله ضعفهم .

وقد يظن كثير من الناس أن هذا العمل قاصر على بني إسرائيل وحدهم، كلا فإن أتباع الأنبياء بعد ذلك يحاولون تغيير المفاهيم السماوية المنزلة من عند الله ، فإن لم يستطيعوا تغييرها عمدوا إلى وضع التفاسير والفتاوى والاجتهادات العقلية لتجعل ما نزل من السماء مساويًا أو متابعًا لما يخرج من رؤوس الناس من نظريات فلسفية وعقائد دينية وخلافات مذهبية فإن المسلمين لا يقدرون على تغيير القرآن الكريم لأن الله تعده بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ولكنهم وضعوا شروحًا وتفاسير وقوانين تساعدهم على الهرب من تنفيذ ما جاء في القرآن الكريم فعطلوا الحدود والأحكام وتدخلوا في الحلال والحرام .

أما أهل الكتب السابقة فقد أمرهم الله سبحانه بالمحافظة عليها فعمدوا إليها فغيروها وكتبوا من عند أنفسهم ما قال الله سبحانه ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

هذا ولم يرد في أي من كتب التفسير مثل ابن كثير ، القرطبي ، والطبري ، وغيرهم ما يشير إلى مكان الجبل الذي رفعه الله على بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ ولا قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ .

غير أنهم أوردوا بعض الأقوال أنه الجبل الذي نزلت عليه التوراة ، وأن

الطور هو الجبل الذي ينبت فيه الزرع والذي لا ينبت يسمى جبلاً فقط .

والواقع والمشاهد والملموس من هذه القراءة في كتب التفسير وفي كتاب نعوم شقير وفي كتب الأمريكان مثل الدكتور هكنز وغيره ، والكتاب المحدثين. إن أحدهم لم يستطع التحديد على وجه الدقة : أين مكان الجبل الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل ولا غيره من الأماكن إلا ما أشار إليه القرآن الكريم وهو عندنا جميعًا أصدق المراجع وأوثقها .

وفي إشارات القرآن الكريم ، وترتيب دلالات الآيات الكريمات التي شملت رحلة موسى عليه السلام في سيناء مع بني إسرائيل بالترتيب والتدبر في هذه الإشارات ما يدل على أن موسى عليه السلام مر سرًا بيت الخادم كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧ - ١٣٨] ، وأنهم بعد ذلك ذهبوا إلى طريق كاترين ونزل عليهم المن والسلوى في قرية الطرفا بجوار كاترين وأنهم سكنوا ما يسمى بوادي الراحة بين جبل الصفصافة وجبل السربال وأن موسى عليه السلام سافر مسافة طويلة من مكان مدينة كاترين فاخترق الجبال حتى وصل إلى الجبل الغربي فوق حمام موسى لمناجاة ربه سبحانه بدليل أنهم لما عبدوا العجل بجوار كاترين مما يلي وادي الطرفا أمرهم هارون عليه السلام أن يرجعوا عن عبادة العجل فقالوا ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ فلو أن موسى كان معهم فوق جبل الصفصافة أو جبل سربال لكان وصولهم إليه أمرًا سهلاً ولصعدوا الجبل بجوارهم فكلموا موسى ولكن موسى عليه السلام كان بعيدًا عنهم في مكان يحتاج إلى سفر وقد قضى وقتًا طويلاً في لقاء ربه سبحانه وتعالى ، وفي كتب بني إسرائيل وفي أسفار موسي الخمسة ، يقول نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء عن موسى عليه السلام ص ٤٧٥ ما نصه :

« صعد موسى عليه السلام إلى أرض مدين وكان له من العمر أربعون سنة وهناك تزوج بنت يثرون كاهن مدين وأقام مع حميه أربعين سنة وبينما هو يرعى غنم حميه عند جبل طور سيناء ظهر له الرب في عليقة مشتعلة وأمره بالذهاب إلى مصر لإنقاذ بني إسرائيل من الذل وقد حضر له أخوه هارون إلى جبل حوريب فأمرهما الرب فسارا معًا وطلبا من فرعون ملك مصر الأذن في إخراج بني إسرائيل من أرضه فأبى فضرب الله مصر عشر ضربات حتى أذن فرعون للإسرائيليين في الخروج من بلاده فخرجوا في سنة ١٤٩١ ق م وساروا من مدينة رعمسيس إلى سكون فايثام ففم الحبروت على بحر سوف «البحر الأحمر» ثم ندم فرعون على إطلاقهم فسار بخيله ومركباته وراءهم «فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل اليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ، فرجع الماء فغطى مركباتهم وفرسان جميع جيش فرعون ولم يبق منهم ولا واحد من ١٤ : ٢١ ، وأنشد بنو إسرائيل لنجاتهم بهذه الأعجوبة أنشودة بتسبيح الله «فرص ١٥» : تعد من إبداع آثار الشعر العبراني القديم وساروا في برية ثور ثلاثة أيام حتى وصلوا ماء يدعى ماره وكان الماء مرًا فتذمر الإسرائيليون على موسى فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار عذبًا ثم جاء إلى أيليم فوجدوا فيها ١٢ عينًا و ٧٠ نخلة ، ثم إلى البرية سين سبين إيليم سيناء حيث أنزل الله عليهم المن والسلوى طعامًا أما المن فقد كان طعامهم إلى أن دخلوا أرض الموعد ، وأما طائر السلوى فقد أنزل عليهم أيضًا في حضيروت ثم ارتحلوا إلى «دفقة» فالوش فريديم ، وكان يسكن تلك البرية العمالقة فوقفوا في طريق الإسرائيليين ومنعوهم الماء فعطشوا وتذمروا على موسى فضرب الصخرة بأمر الرب فانفجرت منها المياه وشربوا وأمر موسى كبير قواده يوشع بن نون فانتفى الأشداد من قومه ،

وحارب العمالقة ، وصعد موسى تلة مشرفة على محل الواقعة ويداه مرتفعتان إلى السماء يدعو بنصر قومه على الاعداء فنصرهم الله وامتلكوا الماء وفي الشهر الثالث من خروجهم من مصر ارتحلوا من ريفيديم وجاؤوا برية سيناء مقابل الجبل ، وهناك أنزل الله على موسى الوصايا العشر المدرجة في سفر الخروج ص ٢٠ القاضية بوحدة الله والجامعة لأسس الآداب ، ثم أنزل عليه الشرائع السياسية ، ثم الطقسية التي لا تزال أساساً لأحكام الإسرائيليين إلى هذ العهد .

وفي اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية لخروج بني إسرائيل من مصر أي سنة ١٤٩٠ ق م ، وأقام موسى بأمر الرب خيمة الشهادة أو خيمة الاجتماع المار ذكرها ، وبعد أن أقام موسى سنة في هذا الجبل إلا بضعة أيام خرج بقومه قاصداً أرض الموعد ، فساروا بطريق حضيروت ، فعصيون جابر . . . فبرية صين وهي قادش .

وبعد أن سار موسى وبني إسرائيل إلى قادش ، كم يقول نعوم شقير وهي الآن بشمال سيناء ، وتسمى برية «عين قديس» جرت الأحداث التي أمروا فيها بدخول أرض الميعاد ، ونكنهم لم يدخلوا فتاهوا في هذه البرية أربعين سنة .

ولنا في هذا الموضوع إضافة قد تغير شكل الموضوع ، ولكنها ثابتة بنص التوراة الذي أوردناه في الصفحات الماضية ، وبنص القرآن الكريم ، فالتوراة تقول إنهم بعد أن حاربوا العمالقة ساروا من ريفيديم إلى برية سين أو سيناء وبرية سين ليست في كاترين ولا في جبال كاترين ، ولا يوجد في التوراة ولا القرآن الكريم ما يشير إلى أن أي حدث من أحداث قصة موسي وبني إسرائيل قد حدثا حول جبل كاترين فبرية سيناء عبارة عن واد متسع يسع ثلاثة ملايين

نسمة ، وهي مقصودة لذاتها ، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة طه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ والجبل لا يمين له ، كما يقول المفسرون إنما يتم كلمة الأيمن أي منهم وهذا لا ينطبق على واقع الحال ، أو الأيمن أي كثير الخضرة والزرع وهذا تفسير ضعيف ، ولكن الجبل الذي يسمى جبل الطور يسير متجهًا إلى الجنوب الشرقي في اتجاه القبلة ، وهي الكعبة ، ويكون يمين الجبل في الجهة الغربية المطلة على سهل القاع حيث أجمعت التوراة والقرآن على أن موسى نزل ببني إسرائيل بالوادي المتسع بجوار جبل الطور « جانب الطور الأيمن وجبل كاترين يرتفع فوق سطح البحر حوالي ٧٣٦٣ قدم » وليس به أي وادي متسع يسع جميع الإسرائيليين كما أن القرآن الكريم أشار إلى أن الجانب الذي جاءه موسى مع بني إسرائيل هو في الجانب الغربي من الطور في سهل القاع وحول مدينة طور سيناء وأن شعب إسرائيل ارتحلوا من «ريفيديم» قرية فيران إلى سهل سيناء مقابل الجبل عند مفارق الطور كاترين فأقاموا فيه معسكرًا وحيث كان الموقع متسعًا وقريبًا من خليج السويس «بحر سوف» كما تقول التوراة وحيث إن هذا المكان تجتمع فيه مياه السيول من جميع الجبال المجاورة لتسقي مواشيهم وأغنامهم .

وكذلك يقع جبل الطور في شرق الوادي ، ويلتف إلى الغرب فيكون ما يشبه الحوش الواسع ، وأمامهم الجبل الغربي على شاطئ خليج السويس قائم كسور على السهل المتسع وهو سهل القاع أو برية سيناء وحيث أقام بني إسرائيل فيه مدة سنة وفيه عبدوا العجل وفيه رفع الله عليهم الجبل حتى أخذوا التوراة ، وسجدوا لله على شقهم الأيسر ، وفي هذا المكان ترك موسى بني إسرائيل وقال لأخيه هارون ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . ثم ذهب موسى إلى جانب الجبل الغربي عند حمام موسى لمناجاة ربه حيث

أنزل الله عليه التوراة وجرت الأحداث المذكورة في القرآن الكريم وفي التوراة .

ليس في القرآن الكريم ولا في التوراة ، ما يدل على أن الجبال العالية في مدينة كاترين كانت مسرحًا لأي حدث من أحداث قصة موسى عليه السلام لكن الرهبان كانوا يفرون إليها خوفًا من الملوك ومن اللصوص ولذلك بنى هناك دير سانت كاترين والله أعلم .

●● ●● ●●

فصل

قال ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء ص ٢٤٨ : ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي لا يمكنه القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم السحرة الذين استنصروا بهم ولم يزدهم ذلك إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩] .

يخبر الله تعالى عن الملأ من قوم فرعون ، وهم الأمراء والكبراء ، لأنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى قالوا : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ يعنوا قبحهم لله أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط لعنهم الله وقرأ بعضهم: «ويذر أن يعبدك » أي : وعبادتك ويحتمل شيئين أحدهما ويذر دينك وتقويه القراءة الأخرى الثاني « ويذر أن يعبدك » فإنه كان يزعم أنه إله لعنه الله : ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي : لئلا يكثر مقاتلتهم .

وسبحان الله حيث كان بنو إسرائيل في عهد موسى عليه السلام يتزايدون لأنهم كانوا مؤمنين فكانت المرأة من بني إسرائيل تلد كل سنة مرة فقد ولد هارون عليه السلام في سنة وولد موسى عليه السلام في السنة التي بعدها

حيث كان فرعون يقتل أبناءهم عامًا ويتركهم عامًا فجاء هارون عليه السلام في العام الذي لا يقتل فيه الأبناء وجاء موسى عليه السلام في العام الذي يقتل فيه الأبناء فنجاه الله سبحانه ، أما اليوم فاليهود لا يزيدون ولا ينجبون إلا قليلاً ، وما كانت حروبهم على الفلسطينيين والمصريين في غزة وبحر البقر وغيرها إلا بضرب الأطفال وتقتيلهم ، حتى يقل العدو والله لهم بالمرصاد .

قال ابن كثير قال فرعون لعنه الله : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣ - ٢٤] .

وكان فرعون الملك وهامان الوزير وكان قارون إسرائيليًا من قوم موسى إلا أنه كان على دين فرعون وملئه ، وكان ذا مال جزيل جدًا كما سيأتي في قصته ثم قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ .

وهذا القتل للغلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الإهانة والإذلال والتقليل لبني إسرائيل ، لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها ويصولون على القبط بسببها ، وكانت القبط منهم يحذرون ، فلم ينفعهم ذلك ، ولم يرد عنهم قدر الله الذي يقول للشيء كن فيكون ، ولما أراد الله هلاكهم ضرب عليهم جميع الحجج من كلام مؤمن آل فرعون ودعوته لهم إلى النجاة والإيمان بموسى وهارون وما جاء هما من عند الله سبحانه .

ثم أخذهم الله بالسنين ونقص الثمرات قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] .

والمقصود أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم وإرسال الرسول إليهم وإزاحة الشبه عنهم ، وأخذ الحجة عليهم منهم بالترهيب تارة والترغيب أخرى .

●● ●● ●●



ذكر هلاك فرعون وجنوده

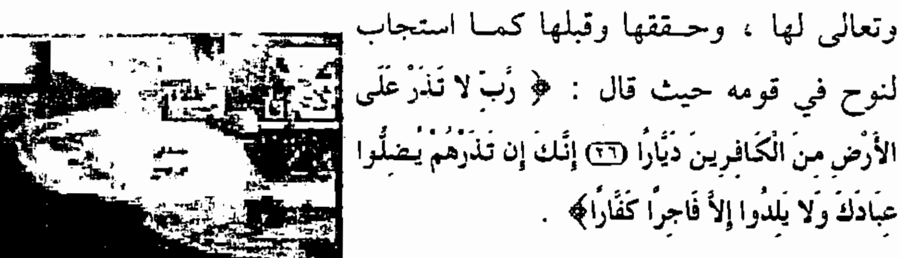


ذكر هلاك فرعون وجنوده

قال ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٢٥٩ :

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم ومتابعة لملكهم فرعون ومخالفتهم لنبي الله موسى بن عمران كليم الله ورسوله عليه السلام أقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأراهم من خوارقه ما بهر الأبصار وحير العقول ، وهم مع ذلك لا يرعوون ولا ينتهون ولا ينزعون ولا يرجعون ولم يؤمن منهم إلا القليل ، توجه موسى إلى الله فدعا على قوم فرعون قائلاً : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه ولبراهينه ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لها ، وحققها وقبلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال : ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ .



ولهذا قال الله تعالى مخاطبًا موسى حين دعا على فرعون وملئه وأمن أخوه هارون على دعائه فنزل ذلك منزل الداعي أيضًا : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب : استأذن بنو إسرائيل فرعون في

الخروج إلى عيد لهم فأذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في نفس الأمر مكيدة لفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم .

قال ابن كثير في قصص الأنبياء : وأمرهم الله تعالى فيما ذكر أهل الكتاب أن يستعيروا حليًا منهم ، فأعاروهم شيئًا كثيرًا ، فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام ، فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم ، وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم .

قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٥٢ : ٦٨] .

قال علماء التفسير : لما ركب فوعون في جنوده طالبًا بني إسرائيل يقفون أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل : كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمائة ألف ، فالله أعلم ، وقيل : إن بني إسرائيل كانو نحو من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر بصحبة موسى عليه السلام ، ودخولهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل أربعمائة سنة وست وعشرون سنة شمسية .

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود ، فأدركهم عند شروق الشمس

وتراءى الجمعان ، ولم يبق ثم ريب ، ولا لبس وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه وراءه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا مسير إلا سلوكه وخوضه وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه أحد والجبال عن يسرتهم وعن أيمانهم وهي شاهقة منيعة وفرعون قد غالبهم وواجههم ، وعاينوه في جنوده وجيشه وعدده وعدته وهم منه في غاية الخوف والذعر لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمكر فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه فقال الرسول الصادق المصدوق ﷺ : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ وكان في الساقة فتقدم إلى المقدمة ونظر في البحر وهو يتلاطم بأمواجه ويتزايد زبد أجاجه وهو يقول هاهنا أمرت ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون وهو يومئذ من سادة بني إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله إليه وجعله نبيًا بعد موسى عليه السلام كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ومعهم أيضًا مؤمن آل فرعون وهم وقوف وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف ويقال : إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مراراً في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول لموسى عليه السلام : يا نبي الله ها هنا أمرت؟ فيقول : نعم فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الكرب واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدهم وغضبهم وحنقهم وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر عند ذلك أوحى الله الحليم العظيم القدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ ، فلما ضربه يقال إنه قال له انفلق بإذن الله ويقال : إنه كناه بأبي خالد والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ويقال : إنه انفلق اثنى عشر طريقًا لكل سبط طريق يسيرون

فيه حتى قيل : إنه صار فيه أيضًا شبابيك ليرى بعضهم بعضًا ، وفي هذا نظر، لأن الماء جرم شفاف إذ كان من ورائه ضياء وحكاه ، وهكذا كان ماء البحر قائمًا مثل الجبال مكفوفًا بالقدرة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور فلفحت حال البحر فأذهبته حتى صار يابسًا لا يعلق في سنابك الخيل والدواب .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه:٧٧-٧٩] .

والمقصود أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحالة بإذن الرب العظيم الشديد المحال ، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل ، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المؤمنين ، فلما جاوزوه وخرج آخرهم وانفصلوا عنه ، كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه ولا سبيل عليه فأمره القدير ذو الجلال والإكرام أن يترك البحر على هذه الحال وكما قال وهو الصادق المصدوق : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا

فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٧-٣٣] .

فقوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي : ساكنًا على هيئته ؛ ولا تغيره عن هذه الصفة قال عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الأحبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، فلما تركه على هيئته وحالته انتهى فرعون ، فرأى ما رأى ، وعاين ما عاين هاله هذا المنظر العظيم .

وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن ذلك من فعل رب العرش العظيم فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده التجلد وعاملهم معاملة الأعداء وحملته نفسه الكافرة وسجيته الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابعوه انظرو كيف انحسر البحر لي لإدراك عبيدي الآبقين من يدي الخارجين على طاعتي وبلدي وجعل يوري في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيهات ، ويقدم تارة ويحجم تارات .

فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدى في صورة فارس راكب على رمكة حائل فمر بين يدي فحل فرعون لعنه الله فحمحم إليهم وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فاقحم الفرس في البحر ، واستبق الجواد ، وقد أجاد فبادر مسرعًا هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضرًا ولا نفعًا فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين فحصلوا في البحر أجمعين أبصعين حتى هم أولهم بالخروج منه فعند ذلك أمر الله تعالى كليمه موسى ، فيما أوحاه إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فارتطم عليهم كما كان فلم ينج منهم إنسان.

قال الله تعالى : ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ أي : في إنجائه

أوليائه فلم يغرق منهم أحد وأغرق أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به من ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة وقال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٣] .

قال ابن كثير في قصص الأنبياء : يخبر الله تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة ، وترفعه أخرى وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا حل بهم وبه من البأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لأعين بني إسرائيل وأشفى لنفوسهم فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسًا إيمانها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥] .

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه أن يطمس على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ، أي حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لهما أي : موسى وهارون حين دعوا بهذا : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام .

ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ لما قال فرعون : « آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ» ، قال لي جبريل : « **لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأضعه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة** » رواه الترمذي وابن جرير من حديث شعبة وقال الترمذي : حسن غريب صحيح ، وأشار ابن جرير في رواية إلى وقفة ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون أشار بإصبعه ورفع صوته آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله غضبه فيه فجعل يأخذ من حال البحر بجناحه فيضرب به وجهه حتى مات ، وكان المصريون يعتقدون أن فرعون لا يموت وبنو إسرائيل من شدة خوفهم لم يكونوا يصدقون أنه يموت فقال الله لفرعون عندما دعاه بالإيمان : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ أي : لينظروا إلى جسدك وسلاحك، وقد أدركك الموت الذي لا يفر منه أحد ، ليعلموا قدرة الله العظيمة .

هكذا وقد كان هلاك فرعون وجنده في يوم عاشوراء كما قال الإمام البخاري في صحيحه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « **ما هذا اليوم الذي تصومونه؟** » ، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي ﷺ لأصحابه : «**أنتم أحق بموسى منهم فصوموا** » وأصل هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما والله أعلم .

وقال المفسرون : إن عبور موسى عليه السلام ببني إسرائيل كان في المكان الذي فيه حمام فرعون الآن ، والذي يزوره المصريون ، والسياح للاستشفاء وهو نبع كبريتي تخرج منه مياه شديدة الحرارة ، تصب أسفل الجبل والمغارة في خليج السويس ويقع الجبل على ساحل الخليج مباشرة وعلى ارتفاع حوالي عشرة أمتار من سطح البحر لها فتحة مستديرة الشكل تقريبًا قطرها متران عند المدخل حيث يؤدي إلى حجرة واسعة طولها حوالي عشرة أمتار تنتهي بباب ضيق يعبره الداخل منحنيًا وتكثر هذه الحجرات في داخل الجبل ويخرج من هذه المغارة بخار دافئ تشتد حرارته كلما دخلنا ناحية الجبل إلى الداخل حيث ينزل العرق شديدًا وحيث يشعر الداخل بحرارة عالية فتنزل الأملاح ويعود المتعالج شيئًا فشيئًا ، حيث يمكث في كل غرفة قليلاً من الوقت لتهدأ الحرارة حتى يخرج يلتف ببطانية ، وينزل إلى السيارة ويحتاج إلى طعام جيد بعد خروجه .

هذا وقد ذكر نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء ص ٥٠ ما نصه :

« **وجبل حمام فرعون** » على شاطئ خليج السويس على نحو يومين من مدينة السويس ، يخرج من سفحه نبع كبريتي يدعى «حمام فرعون» درجة حرارته ٥٧° مئوية وفم لنبع في منحدر الجبل مغارة كبيرة ، تتصل بمجرى النبع في بطن الجبل وأهل سيناء يستحمون به استشفاء من أمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية فهم ينزلون في البحر بعيدًا عن فم النبع تجنبًا لحرارته ثم يتقربون منه تدريجيًا حتى يصلوا فيصعدوا إلى المغارة المشار إليها وينامو فيها إلى أن تبرد أجسامهم ، وقد زرت هذا النبع مع أحد مشائخهم فلما دخلنا المغارة أوقد النار فيها فسألته في ذلك فقال : « هنا يسكن الملائكة فنوقد النار إكرامًا لها » وسألته عن سبب تسمية النبع بحمام فرعون فقال :

وأشار بيده إلى البحر فقال : هذه طريق موسى التي عبر بها البحر الأحمر ، وقد انشق له البحر ، فمشى على اليابسة هو وقومه ، ثم تبعه فرعون عادت المياه إلى أصلها وكادت تخنقه فنادى موسى قائلاً : أنقذني يا موسى ، فقال له موسى : ادع ربك فدعا فرعون ربه فقال له الرب : أما وقد طلبت شفاعة موسى أولاً فادع موسى ينقذك فنادى موسى ثانية فلم يجبه فنفخ من كبد حرى فخرج من الجبل النبع الحار الذي تراه فسمى باسمه ، انتهى كلام نعوم شقير .

والحمد لله الذي قص علينا في القرآن الكريم الحقائق الواضحة الجلية ودقق على مثل هذه الأحداث حتى لا يتطرق إليها الخيال أو التحريف .

والذي لحق كثير من الحقائق والأحداث المتصلة بالنبوات والرسالات : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وخلاصة القول في قصة الخروج أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى أن أسر بعبادي أي سر بهم ليلاً ، فأمرهم موسى بالاستعداد ، فاستعدوا وعندما جاء الأمر حملوا معهم العجين ، دون أن يخبزوه وساروا في اتجاه الشرق إلى خليج السويس ، وقتل الله في هذه الليلة أبكار القبط ، وأبكار دوابهم فكانت مناحة عظيمة ، وسار موسى ومن معه عبر الصحراء الشرقية بين الجبال حتى وصلوا تجاه حمام فرعون ، وعندها لحقهم فرعون بجيش تعداده حوالي مليونين من المقاتلين الأشداء .

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

فصل فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

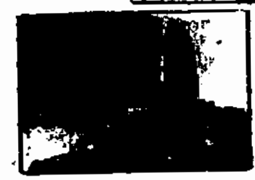


فصل فيما كان من أمر
بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٦-١٤١] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء بعد ذكر هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يذكر ما كان من أمر فرعون وجنوده بعد أن أغرقهم وكيف سلبهم عزهم ومالهم وأنفسهم ، وأورثنا بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم كما قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] ، وقال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥] .





وقال هاهنا : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أى أهلك ذلك جميعه وسلبه عزهم العزيز العريض فى الدنيا ، وهم الملك وحاشيته وأمراؤه وجنوده ، ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا ذكر ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها ، بسبب أن نساء مصر نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة والرعايا ، فكانت لهن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومنا هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم ، وأمروا أن يذبح كل بيت حملاً من الغنم ، فإن كانوا لا يحتاجون إلى حمل ، فليشترك الجار وجاره فيه ، فإذا ذبحوه فلطخوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونهم مطبوخًا ولكن مشويًا برأسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا من شيئًا ولا يكسروا له عظمًا ولا يخرجوا منه شيئًا إلى خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيراً إلى سبعة أيام ابتداؤها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم وكان ذلك فى فصل الربيع فإذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم وليأكلوا بسرعة قيامًا ومهما فضل من عشائهم فما بقى إلى الغد فليحرقوه بالنار وشرع لهم هذا عيداً لأعقابهم ما دامت التوراة معمولاً بها فإذا نسخت بطل شرعها وقد وقع قالوا وقتل الله عز وجل فى هذه الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ليشتغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين انتصف النهار وأهل مصر في مناحة عظيمة على أبكار أولادهم وأبكار دوابهم ليس من بيت إلا وفيه عويل .

وحين جاء الوحى إلى موسى خرجوا مسرعين ، فحملوا العجين قبل اختماره وحملوا الأزواد فى الأوعية ، وألقوها على عواتقهم ، وكانوا قد

استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى الذرارى بما معهم من الأنعام ، وكانت مدة إقامتهم بمصر أربعمائة سنة وثلاثين سنة هذا نص كتابهم وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد يسمى عيد الفسخ ولهم عيد الفطر وعيد الحمل وهو أول السنة وهذه الأعياد الثلاثة آكد أعيادهم منصوص عليها فى كتابهم .

ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا عن طريق بحر يوسف وكانوا فى النهار يسيرون بين السحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عمود من النار فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هناك فأدركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على الشاطئ اليم فقلق كثير من بنى إسرائيل حتى قال قائلهم : كان بقاؤنا فى مصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية فقال موسى عليه السلام لمن قال هذا المقالة : لا تخشوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا قالوا وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل فى البحر واليبس وصار الماء من هاهنا وهاهنا كالجبلين وصار وسطه يابسًا لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم ولكن عند أهل الكتاب أن هذا كان فى الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلطهم وعدم فهمهم فى تقريبهم والله أعلم .

قالوا : ولما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل بهذا التسبيح للرب وقالوا : نسبح الرب البهى ، الذى قهر الجنود ونبذ فرسانهم فى البحر المنيع المحمود» وهو تسبيح طويل .

قالوا : وأخذت مريم النبية أخت هارون دفًا بيدها وخرجت النساء فى

أثرها كلهن بدفوف وطبول وجعلت مريم النبية ترتل وتقول : سبحان الرب القهار الذى قهر الخيل وركبانها ألقه فى البحر وهكذا رأيته فى كتابهم ولعل هذا هو الذى جعل محمد بن كعب القرظى يزعم أن مريم بنت عمران أم عيسى هى أخت هارون وموسى بقوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ والذى أجاب عنه رسول الله ﷺ عن قول المغيرة بن شعبة عن سؤال أهل نجران عن قوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ فقال «أعلمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم» رواه مسلم .

وقولهم : النبية كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكه ومن بيت الأمرة أميرة وإن لم تكن مباشرة لشيء من ذلك فهى استعارة لها ، لا إنها نبية حقيقية يوحى إليها وضربها بالدف فى هذا اليوم الذى هو من أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب لدف فى العيد وهذا مشروع لنا أيضًا فى حق النساء ، لحديث الوارد فى شأن الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدف فى أيام منى عند رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مضطجع فحول ظهره إليهن ووجهه إلى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : «**دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عيد وهذا عيدنا**» وهكذا يشرع عندنا فى الأعراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم .

وذكر أهل الكتاب أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقًا أجاجًا لم يستطيعوا شربه فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسننا ووصاه رصايا كثيرة .

●● ●● ●●



هيكل سرابيت الخادم

هيكل سرابيت الخادم

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٨ـ١٤٠] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء ص٢٧٠ : لقد نطق بنو إسرائيل بالجهل والضلال ، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذى الجلال والإكرام وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصنامًا قيل: كانت على صور البقر وكأنهم سألوهم لم يعبدوها ؟ فزعموا أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضروريات ؟ وكان البعض منهم وهم الجهال قد صدقوا هؤلاء الناس فى ذلك فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبينًا أنهم لا يتعظون ولا يهتدون : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم ذكر نعمة الله عليهم فى تفضيله إياهم على عالمى زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذى بين أظهرهم وما أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينظرون وتوريثه إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعون من الأموال والسعادة وما كانوا يعرشون ، وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك ، لأنه الخالق الرازق القهار ، وليس كل بنى إسرائيل



سأل عن هذا السؤال بل الضمير عائد على الجنس .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سنان ابن أبى سنان الديلى عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، والسدرة هى شجرة النبق ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بها ويعكفون حولها فقال النبى ﷺ « **الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم** » ورواه النسائى عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به ورواه الترمذى عن سعيد ابن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى به ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن إسحاق ومعمر وعقيل عن الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن أبى واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها : «ذات أنواط» قال : فمررنا بسدرة عظيمة خضراء، قال : فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال : «**أقلتم والذى نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** .

والمقصود : أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قومًا من الجبارين من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فأمر موسى عليه السلام قومه بالدخول عليهم فى بلدهم ومقاتلتهم وإجلائهم إياهم من بيت المقدس فإن الله كتبه لهم ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل ، فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، فسلط الله

عليهم الخوف ، وألقاهم فى التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد أربعون كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦] .

قال ابن كثير فى كتاب قصص القرآن يذكر نبى الله نعمة الله عليهم وإحسانه عليهم بالنعمة الدينية والدنيوية ، ويأمرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ أى : تنقصوا على أعقابكم ، وتنكلوا على قتال أعدائكم : ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي : فتخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال والحديث فى هذا الموضوع متصل بقصة موسى مع بنى إسرائيل لكن الذى يعنينا هنا هو طريق بنى إسرائيل فى سيناء بعد خروجهم من مصر ومرورهم على قوم يعبدون الأصنام ونظرهم إليهم وطلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مثل هذه الآلهة أى الأصنام التى هى فى الغالب فى هيكل سرابيت الخادم والذى ذكره نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ، فقال : هيكل سرابيت الخادم وآثار الفراعنة فيه .

أما سرابيت الخادم ، فجبل صغير مستطيل الشكل مسطح الرأس فى شمال بلاد الطور يعلو نحو ٢٦٥٠ قدمًا عن سطح البحر ، ويبعد يومين

بسير القوافل عن ميناء أبو زنيمة ، وهو يطل من الشمال على سهل الرملة الفسيح ونقب الراكنة لعظيم فى ذلك الجبل عدن الفراعنة الفيروز منذ عهد الدولة الثالثة إلى الدولة العشرين وتركوا فيه عدة مغاور كلها فى الطبقة العليا من الجبل وهى تعلو نحو ١١٥٠ قدمًا طبقة الفيروز فى وادى المغارة وقد ترك المصريون فى هذا الجبل هيكل سرابيت الخادم ، فقد دلت مباحث العلامة بتزى أن هذا الهيكل هو من الأهمية التاريخية بمكان عظيم لأنه حوى من الآثار الهيروغليفية ما أزال كثيرًا من الشكوك فى تاريخ مصر .

وأضاف ما معناه أن المصريين عندما جاؤوا للتعدين وجدوا سكان هذه البلاد يعبدون آلهة لهم رمزوا لها بالأنصاب والأصنام ومنها الإله «هاتور» والإله «سويدو» ، وترجع هذه العبادة إلى عهد الملك سنفرو «٤٧٧٥ ق م»، وقد وجد فى هذا المكان تمثال صغر فكان هذا التمثال أقدم أثر للمصريين فى هذا الهيكل .

يقول نعوم شقير على غرار هذا الهيكل بنى موسى عليه السلام لبنى إسرائيل خيمة الشهادة أو ما يسمى خيمة الاجتماع .

والذى يهمنا هنا هو النص القرآنى الذى يصف حل بنى إسرائيل مع موسى عليه السلام فعندما عبر البحر ببنى إسرائيل، ثم مر بهم على هيكل سرابيت الخادم ، فنظروا إلى أهل هذا المكان يعبدون الأصنام ، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مثل هذه الأصنام فعنفهم موسى عليه السلام قائلاً : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وذكر الله سبحانه ذلك فى القرآن الكريم .

قال ابن كثير فى كتابه قصص الأنبياء : وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فتكلم من

تكلم منهم ، بسبب ذلك فوجدوا ماء «زعاقًا أجاجًا» ، لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسننا ووصاه وصايا كثيرة .

وقد قال تعالى فى كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨، ١٣٩] .

قالوا : هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاء به رسول ذى الجلال والإكرام ، وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصنامًا ، قيل : كانت على صور البقر ، فكأنهم سألوهم لما يعبدونها؟ فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ، ويسترزقون بها عند الضروريات ، فكأن بعض الجهال منهم صدقوهم فى ذلك فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن جعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبينًا لهم إنهم لا يعقلون ولا يهتدون : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، ثم ذكرهم بنعم الله عليهم فى نجاتهم من قبضة فرعون وبين لهم أنه لا تصح العبادة إلا لله وحده لا شريك له .

ونحن نتحدث فى هذه القصة ليس عن ما جرى فيها من أحداث الشريعة والمخالفات الإسرائيلية ، ولكن نثبت هاهنا أن المكان الذى مر فيه بنو إسرائيل هو سرابيت الخادم الذى وصفه نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ص٤٦٤ حيث قال : أما سرابيت الخادم فجبل صغير مستطيل الشكل ، مسطح الرأس فى شمال بلاد الطور يعلو نحو ٢٦٥٩ قدمًا عن سطح البحر ثم قال : وهذا الهيكل كان فى أول نشأته كهفًا صغيرًا منحوتًا فى سطح أكمة صغيرة على

سطح الجبل وله باب صغير إلى الغرب وقد أقيم لعبادة هاتور آلهة الشمس أو النور الملقبة بسيدة الفيروز وهى معبودة سكان البلاد الأصليين، ولعلها عشتروت معبودة الفينيقيين المشهورة ، فلما جاء المصريون لتعدين الفيروز فى سرابيت الخادم عبدوا هذه الآلهة بالطقوس التى كان يعبدها بها أهلها الأصليون على عادة تلك الأمصار عن عبادة الأجنبى آلهة البلاد التى ينزلها وممارسته طقوس أهلها .

هذا ويعود كهف الآلهة هاتور إلى عهد الملك سنفرو «٤٧٥٠ ق م» المار ذكره وقد وجد فيه شعاره ، وهو تمثال صقر ، فكان هذا التمثال أقدم أثر للمصريين فى ذلك الهيكل ، ثم أخذ الملوك من بعده يبنون الغرف حتى عهد الدولة العشرين المصرية ثم قال : «الأنصاب» وكلما بنى ملك غرفة فى الهيكل جعل أمامها نصبين يدلان على مدخل الهيكل ، وكان الخلف يبقى على النصبين فيبنى غرفة متصلة بهما ، ويجعل أمام الغرفة نصبين آخرين يدلان على مدخل الهيكل الجديد وهكذا .

وهذه الأنصاب هى التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال نعوم شقير فى ص٤٦٨ : وأحدث أثر فى الهيكل كتابه على عمود فى إحدى الغرف لملك رمسيس السادس سنة ١٦٥٦:١١٦١ ق م من ملوك الدولة العشرين ، ثم يقول : وجميع ما فى الهيكل من بناء وأنصاب مأخوذ من مقلع حجرة رملى قرب الهيكل ، وقد سمى هذا الجبل سرابيت الخادم نسبة لهذه الأنصاب ، لأن السربوت فى عرف أهل سيناء

الصخـرة الكبيرة القـائمة بتفسـها وجمعـه سرابيت الخادم ، عنـدهم الجارية السوداء فلعلهم نسبوا هذا السرابيت إلى الخادم ، لأن الصور التى فى الهيكل تشبه الخدم السود والله أعلم.

ثم قال : أما غرف الهـيكل فقد كان المعدنون ينامون فـيها على رجاء أن ربة الهيكل ، وسـيدة الفيروز تهديـهم إلى المحل الذى يكثر فيـه الفيروز فى أحلامهم وهم نائمون بالهيكل وقـد كانت عادة الساميين أنه إذا طلب أحدهم الاستشفاء من برص أو أحب الاهتداء إلى سـبيل ينقذه من شر أو يوصله إلى خيـر ذهب إلى الهـيكل ، ونام فيـه أو فى جواره ، ليـرى فى الحلم وحـيًا يوصله إلـى الغرض المنشـود ، ولا تزال هذه عادة الـنصارى فى الشـرق إلى اليوم .

ثم يقـول نعوم شقـير فى ص٤٧٠ : هذا وقد وجـد العلامة بـترى بين أنقاض الهيكل كثـير من الدمى والتماثيل والدمى والآنية الزجـاجية والعمائم والأسورة والحجول والخـواتم والكؤوس والآنية الفخارية عليهـا أسماء بعض الفراعنة وقضبان العاج ونحوها ، مما كان يقدمه المتعبدون هدايا لسيدة الفيروز وقد وجد فى كـهف سويدو حجرين من الحـجارة الرملية المخروطـية الشكل التى اعتاد الساميون تقديمها لآلهتهم فأخذها إلى المتحف البريطانى بلندن .

●● ●● ●●

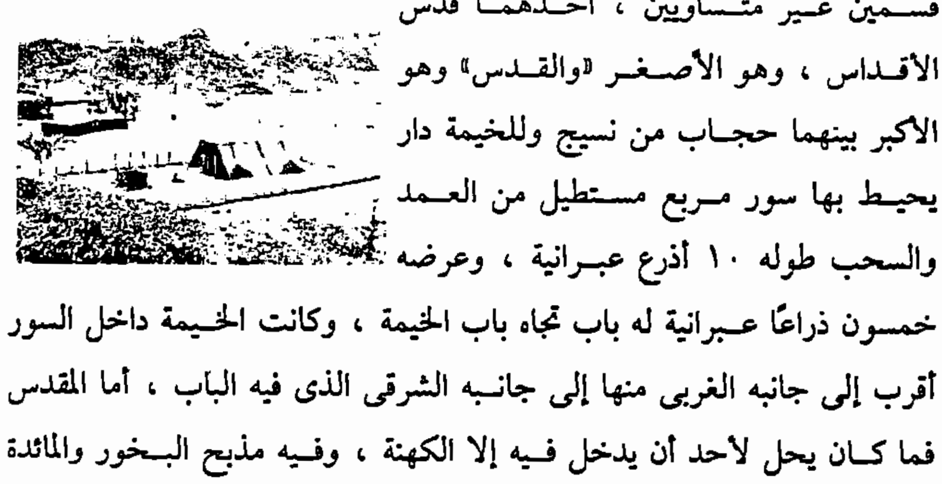


خيمة الاجتماع
وهيكل سرابيت الخادم

خيمة الاجتماع وهيكل سرابيت الخادم

يقـول نعوم شقـير ص٤٧١ : علـى أن رؤية هذا الهـيكل بهذا الـشكل ذكرتنى بخيـمة الاجتماع أو خيمـة الـشهادة التى صنعها موســى عليه السلام سنة ١٤٩٢ ق م كما ذكره العلامة بترى وذلك عند خروج موسى عليه السلام بالإسرائيليين من أرض مصر ، فإن وجه الشبه بينهما قريب جداً حتى إنه من المحتمل أن يـكون موسى عليه السلام قـد اتخذ هيكل سرابيت الخـادم قاعدة لبناء خيمته .

أما خيمة الاجـتماع فكان هيكلاً نقالاً من خشب الـسنط وعمد النحاس ونسيج الشعر وغيره من الأنسجة الثـمينة طولها ٣٠ ذراعًا عبرانية ، «والذراع العبرانى ٢/٣ الذراع السلطانيـة» ، وعرضها ١٠ أذرع وعلوها ١٠ أذرع ولها باب واحد فى أحد جـنبيها من العرض يـفتح إلى الشرق ، وكانت مـقسومة قـسمين غـير متـساويين ، أحـدهمـا قدس الأقـداس ، وهو الأصـغـر «والقـدس» وهو الأكبر بينهما حجـاب من نسيج وللخيمة دار يحيـط بها سور مـربع مسـتطيل من العـمد والسحب طوله ١٠ أذرع عبـرانية ، وعرضه



خمسون ذراعًا عـبرانية له باب تجاه باب الخيمة ، وكانت الخـيمة داخل السور أقرب إلى جانبه الغربى منها إلى جانــبه الشرقى الذى فيه الباب ، أما المقدس فما كــان يحل لأحد أن يدخل فـيه إلا الكهنة ، وفـيه مذبح البـخور والمائدة والنار ، أما القدس فما كان يجـوز أن يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة فى

السنة ، وفيه تابوت الشهادة أو تابوت العهد ، وهو صندوق مصنوع من خشب السنط مصفح بالذهب من الداخل والخارج طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه كذلك وقد وضع فيه لوحا العهد ، وأما الدار فكان فيها بين بابها وباب الخيمة المرحضة للاغتسال قبل الدخول إلى الخيمة ومذبح المحرقة، وكان جميع العبرانيين «الإسرائيليين» يقدمون قرابينهم ونذورهم وصلواتهم فى هذه الدار .

إذن فوجه الشبه بين خيمة الاجتماع وهيكل سرابيت الخادم ظاهر للعيان أن قدس الأقداس يقابله الكهف فى هيكل سرابيت الخادم القدس يقابله الهيكل ودار الخيمة يقابلها دار الهيكل ، ثم إن خيمة الاجتماع فيها مذبح البخور والمرحضة ومذبح المحرقة كما فى هيكل سرابيت الخادم .

ومعلوم أن موسى عليه السلام على رواية التوراة عاش فى أرض مدين ٤٠ سنة ، وسيناء هى جزء من أرض مدين وهيكل سرابيت الخادم فى ذلك العهد هو الهيكل الوحيد فى قلب الجزيرة كدير طور سيناء فى ذلك العهد ، فلا يعقل أن موسى عليه السلام وهو ربيب بيت فرعون يعيش فى سيناء أو جوارها ٤٠ سنة ، ولا يزور هيكلها الوحيد ، بل من المحتمل المعقول أن يكون قد زاره مرارًا وعرفه كما هو وأنه ليصنع معبدًا مفيدًا لشعبه جعل هيكل سرابيت الخادم قاعدة للعمل وهذا لا ينفى أن موسى صنع الخيمة كما أمره الرب ، لأن الغرض الأساسى من بناء الخيمة ، هو منع الإسرائيليين من عبادة الأوثان ويعلمهم عبادة الإله غير المنظور ، وقد تم هذا الغرض بخلو الخيمة من كل صنم أو تمثال ، كما خلت الشريعة من كل ما يدعو إلى عبادة الوثنية أو يقرب إليها .

واختار موسى لشعبه بعض الطقوس التى كانت مستعملة فى هيكل

سرابيت الخادم ، لأنها طقوس سامية وشعبه يألفها ، وليس فيها ما يضر العبادة وقد جعل باب خيمته إلى الشرق لا إلى الغرب ، كما هو باب هيكل سرابيت لأن الشرق كله كان وجهته أو لأن البدو كانوا يألفون ذلك فى زمن موسى وفى أيامنا هذه .

ومعلوم أن هيكل سليمان الذى بنى بعد خيمة الاجتماع بنحو أربعمائة وثمانين سنة قد بنى على مثال هذه الخيمة فإذا صح أن موسى صنع خيمته على مثال هيكل سرابيت فيكون لهيكل سليمان أصل فى هيكل سرابيت الخادم والله أعلم .

هذا كلام نعوم شقير عن سرابيت الخادم وأنه كان هيكلاً قبل موسى عليه السلام يتعبد به أهل سيناء والذين يستخرجون معدن الفيروز والجرانيت ورمل الزجاج وغيرها من المعادن التى تزخر بها منطقة سرابيت الخادم حتى إن كثيراً من النصارى يأتون للمبيت فيه ويطمعون أن يروا فى المقام حلا لمشكلاتهم وحاجاتهم النفسية وأن موسى عليه السلام عندما مر ببنى إسرائيل من هذا المكان صنع خيمة الشهادة على مثال هيكل سرابيت وكذلك وضع سليمان عليه السلام هيكله على مثال خيمة الشهادة فله أصل فى سرابيت الخادم وأن موسى عليه السلام صنع الخيمة كما أمره الرب سبحانه ليعلم بنى إسرائيل عبادة الإله الواحد الأحد غير المنظور فجعل الخيمة خالية من الأصنام والأوثان والصور والتماثيل ومن تابوت العهد .

هذا يعود بنا إلى آيات القرآن الكريم الذى أنزله الله سبحانه وتعالى مصدقًا لما بين يديه ومن الكتاب ومهيمنًا عليه وإن الذين خرجوا مع موسى من بنى إسرائيل كانوا كغيرهم من الأمم يحبون المحسوس والملموس ، ويطلبون الرزق محسوسًا وملموسًا يمجدون المادة ويحرصون على الدنيا

فلذلك فإنهم لما مروا بسرابيت الخادم ورأوا أهلها يعبدون الأصنام والأنصاب طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا ملموسًا ومحسوسًا هو عندهم يطلبون منه ما يشاؤون يعطيهم ويسترزقونه فيرزقهم كما أنهم أسرفوا فى ذلك حتى أخرج لهم موسى السامرى العجل الجسد الذى له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى فنسى وفى هذا المقام ذكر الله سبحانه فى القرآن الكريم الحقائق جلية وواضحة فى حق موسى وقومه ورحلتهم فى سيناء فقال : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وفى قوله ﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ إشارة إلى ما قال نعوم شقير من أن الناس من نصارى الشرق ومن البلاد البعيدة كانوا يأتون فيبيتون بهيكل سرابيت الخادم أو يبيتون خارجه ويعكفون عنده زمنًا حتى يتحقق لهم ما يرونه قد حل مشكلاتهم وأزاح همومهم وكلها كانت أوهامًا قال الله سبحانه عنها : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

لقد أسرف بنو إسرائيل فى ماديتهم وطلبوا الارتباط بالمحسوس والملموس دون علم وإيمان بربهم الخالق الرازق الذى صنع لهم المعجزات ومازالوا يطلبون المحسوس والملموس حتى اليوم ويغرقون الناس فى طلبه والسعى خلفه على مدى التاريخ يقوم علماؤهم وفلاسفتهم بإضلال الناس حتى يتعلقوا بالمحسوس والملموس ، وكل لنظريات التى تحكم العالم اليوم من صنع علماء اليهود ، وكلها تدعو للإيماز بالمحسوس والملموس اشتراكية ، ماركسية أو ديموقراطية علمانية أو وجودية وغيرها من الأساليب التى ضلت وأضلت البشرية عن الحقيقة العظمى وهى أن الله سبحانه فى أول سورة البقرة : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهى أمة محمد ﷺ .

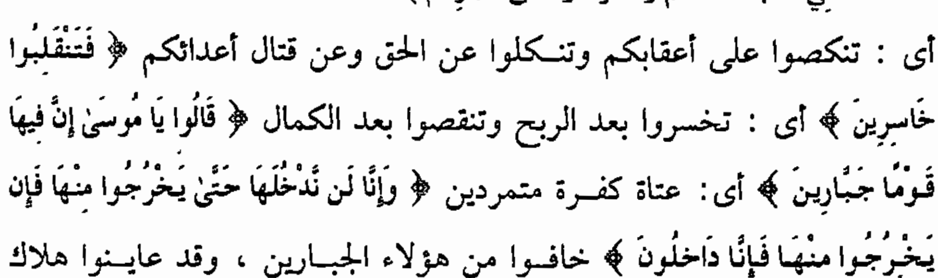
●● ●● ●●


الأمر بدخول بيت المقدس



الأمر بدخول بيت المقدس

ولما أمر الله موسى عليه السلام بعد عبوره البحر ونجاته ومن معه من فرعون وجنده أن يدخلوا أرض فلسطين فى قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٥] .



قال ابن كثير : يذكرهم نبى الله نعمة الله إليهم وإحسانه إليهم بالنعم الدنيوية والدينية ويأمرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ أى : تنكصوا على أعقابكم وتنكلوا عن الحق وعن قتال أعدائكم ﴿ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أى : تخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أى: عتاة كفرة متمردين ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ خافوا من هؤلاء الجبارين ، وقد عاينوا هلاك

فرعون، وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأسًا وأكثر جاهًا وأعظم جندًا ، وهذا يدل على أنهم ملومون فى هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من الذلة على مقاتلة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثار فيها مجازفات كثيرة باطلة ويدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالاً هائلة ضخامًا جدًا حتى إنهم ذكروا أن رسل بنى إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين وجعل يأخذهم واحدًا واحدا، ويلفهم فى أكمامه وسراويله وحجره وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدى الملك ملك الجبارين فقال : ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بنى آدم حتى عرفوه، وكل هذه هزليات وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بعث معهم عنبًا تكفى الرجل عنبة واحدة منه وشيئًا من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم وهذا ليس صحيح ، وذكروا هنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلث ذراع هكذا ذكره البغوى وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بياناته عند قوله ﷺ : « **إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن** » قالوا : صعد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه يلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر فى تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقًا فى عنق عوج بن عنق ثم عمد موسى إليه فوثب فى الهواء عشرة أذرع وبيده عصا طولها عشرة أذرع فوصل إلى كعبه قدمه فقتله.

يروى هذا عن نوف البكالى ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفى إسناده إليه نظر ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بنى إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها ثم لو كان هذا صحيحًا لكان بنو إسرائيل معذورين فى النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله تعالى على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم

ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ونهاهم عن الإحجام ، ويقال أنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدى والربيع بن أنس وغير واحد : ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أى يخافون الله وقرأ بعضهم : « يُخافَون » أى : يهابون ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أى بالإسلام والإيمان والطاعة والشجاعة ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى إذا توكلتم على الله واستعنتم به ولجأتم إليه نصركم الله على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ فصمم ملؤهم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير فيقال أن يوشع وكالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثيابهما وأن موسى وهارون سجدا إعظامًا لهذا الكلام وغضبًا لله عز وجل وشفقة عليهم من وبيل المقاتلة ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قال ابن عباس : اقض بينى وبينهم ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ؛ عوقبوا على نكولهم بالتيهان فى الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهارًا صباحًا ومساء ويقال : إنهم لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم فى مدة أربعين سنة ولم يبق إلا زراريهم سوى يوشع بن نون وكالب عليهما السلام ، قال ابن كثير : لكن أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استشارهم فى الذهاب إلى النفير تكلم الصديق فأحسن وتكلم غيره من المهاجرين حتى قال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يا رسول الله ؟ فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا

رجل وما نكره أن تلقى بـنا عدونا غداً إنا لصبر فى الحرب صـدق عند اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تـقر به عينك فسر بنا على بـركة الله فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك .

وقال الإمام أحـمد : حدثنا وكيع حدثـنا سفيان عن مخـارم بن عبد الله الأخمس رضى الله عنـه عن طارق بن شـهاب أن المقـداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر : يا رسـول الله إنا لا نقول لـك كما قـالت بنو إسرائـيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فـقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وهذا إسناد جـيد من هذا الوجه وله طـرق أخرى قال أحمـد بسنده عن عبدالله بن مسـعود رضى الله عنه : لقد شهدت من المقـداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكننا نقول نقـاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجـه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك .

وهذا هو الفارق بـين بنى إسرائيل وأمة محـمد ﷺ فلما رفضـوا القتال كتب الله عليهم الـتيه فى برية سيناء أربعين سنة يدورون حـول أنفسهم داخل سيناء إلى أن مات هذا الجيل ولم يبـق إلا يوشع بن نون وكالب وحيث توفى موسى عليه السلام وأخيه هارون فى الـتيه أيضًا وكان يوشع بن نون هو الذى قاد الشباب من بنى إسرائيل ودخل بهم الأرض المقدسة وفى فترة التيه حدثت كل الأحداث المذكورة فى هذا الكتاب وفيها أيضًا بناء قبة الزمان .

وقيل : إن هذا الحدث كان بعد أن رجع موسى من سيناء إلى مصر ببنى

إسرائيل بعد أن تلقى التوراة ؟ وأنهم كرهوا أن يتركوا ما هم فيه من النعيم في مصر حيث جاءت آية المائدة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ... ﴾ إلى آخر الآيات .

بناء قبة الزمان :

قال ابن كثير فى كتاب قصص الأنبياء قال : أهل الكتاب : وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشاز وجلود الأنعام وشعر الأغنام وأمر بزينتها من الحرير المصبغ بالذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات ، طول كل واحدة منها ثمانية وعشرون ذراعًا وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطناب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفرف وصفائح من ذهب وفضة لكل زاوية بابان وأبواب أخرى كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره .

ويعمل تابوتان من خشب الشمشاز يكون طوله ذراعين ونصف وعرضه ذراعين ونصف ويكون مضببا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق فى أربع زواياه ويكون على حافتيه كروبيًا من ذهب يقفون في صفه ملكان بأجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه «بصليال» وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشاز طولها ذراعان وعرضها ذراعان ونصف بها ضباب من ذهب وإكليل ذهب وبشفه مرتفعة بإكليل من ذهب وأربع حلق من نواحيها من ذهب مفرزة فى مثل الرمان من خشب ملبس ذهبًا وأن يعمل صحافًا ومصافى وقصاعًا على المائدة ويصنع منارة من ذهب دلى فيها ست قصيبات من ذهب من كل جانب ثلاثة على قصبة ثلاثة سرج وليكن فى المنارة أربعة قناديل ولتكن هى وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصلصال أيضًا وهو الذى عمل المذبح أيضًا .

ونصبت هذه القبة أول يوم من ستهم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقد بسط هذا القول في كتابهم مطولاً جداً وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قربانهم وكيفيته وفيه أن قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذى هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وأنها كانت لهم كالكعبة يصلون فيها وإليها ويتقربون عندها وإن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجداً لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذى هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأمره وينهاه وهو واقف عند التابوت صامداً إلى ما بين الكروبين فإذا فصل الخطاب يخبر بنى إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهى .

وإذا تحاكموا إلى موسى عليه السلام فى شيء لم يكن عنده من الله فيه شيء يجيء إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين الكروبين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة .

وقد كان هذا أمراً مشروعًا لهم فى زمانهم أعنى استعمال أوانى الذهب والفضة والحرير المصبغ واللآلئ فى معبدهم وعند مصلاهم فأما فى شريعتنا فلا ، بلى قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها لئلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما وسع فى مسجد رسول الله ﷺ الذى وكله علي عمارته : ابن للناس ما يكفهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس وقال ابن عباس : لا تزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى كنائسهم .

وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه فهذه الأمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله هممهم فى صلاتهم على التوجه إليه والإقبال عليه وصيانة أبصارهم وخواطرهم عن الانشغال والتفكير فى غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة فلله الحمد والمنة .

هذا وقد كانت قبة الزمان هذه مع بنى إسرائيل فى التيه يصلون إليها وهى قبلتهم وكعبتهم وأمامهم كليم الله موسى عليه السلام ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام فلما مات هارون عليه السلام استمر بنو هارون فى الذى كان يليه أبوهم فى أمر القربان وهو فيه إلى الآن .

وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدبير الأمر من بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذى دخل بهم بيت المقدس كما سيأتى بيانه .

والمقصود هنا أنه لما استقرت يده على بيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلتها وهى الصخرة فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر شهراً وقيل : سبعة عشر شهراً.

ثم حولت القبلة إلى الكعبة وهى قبلة إبراهيم فى شعبان سنة اثنتين فى وقت صلاة العصر وقبيل الظهر وكما بسطنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٢ـ١٤٤] .

●● ●● ●●



قصة قارون مع موسى عليه السلام

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ـ٨٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى كتابه قصص الأنبياء : قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان قارون ابن عم موسى وكذلك قال أكثر أهل العلم كما أورده ابن جرير وقال ابن إسحاق: أنه عم موسى ، قال قتادة : وكان يسمى المنور لحسن صورته بالتوراة، ولكن عدو الله نافقه كما نافق السامرى فأهلكه البغى لكثرة ماله ، وقال شهر بن حوشب : زاد فى ثيابه شبرًا طويلاً ترفعًا على قومه وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى إن مفاتحه ليصعب حملها على الفئة الكثيرة من الرجال الشداد وقد قيل إنها كانت من الجلود وأنها كانت تحمل على الجماعة حمولة سبعين غلامًا والله أعلم .

ونقول : إن قارون كان من قوم موسى بنص القرآن الكريم سواء كان ابن عم موسى أم كان عمًا لموسى عليه السلام هذا والمفسرون يهتمون بتحديد المعانى المذكورة فى القرآن الكريم والذى يهمنا معا أن نعرف أين وقعت قصة قارون مع موسى عليه السلام والكل يعلم أن قارون أعطاه الله مالاً كثيراً جداً وأنه كان كافراً عاصيًا وأن قومه طلبوا منه أن يشكر نعمة ربه ويخرج زكاة ماله ولكنه أبى وأنكر أن يكون المال من عند ربه وزعم أنه أخذ المال لأنه مستحق له وهو عالم بذلك ، وأنه فاخر قومه وخرج عليهم مختالاً بماله وزينته وعبيده وملابسه وأنه أفسد عقول الذين يريدون الدنيا من قومه وأن أهل العلم قد نصحوه وهم يعلمون أن ثواب الدنيا خير لمن آمن وعمل صالحًا وأن الله سبحانه قد خسف بقارون وداره الأرض وأنه كان عدوًا لموسى عليه السلام وأنه حاول أن يتهم موسى بالزنى فسلط عليه امرأة بغيًا ولكنها خجلت من موسى فذكرت أن قارون أجرها لتتهم موسى عليه السلام ، وأن خسف الأرض بقارون جزاؤه وجزاء الجبارين والمتكبرين وكان ذلك درسًا عمليًا لمن تمنوا مكانه وأن يكون لهم من المال مثل قارون فلما رأوا العذاب حمدوا الله سبحانه على حالهم ﴿ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ لكن أين وقعت قصة قارون ؟



قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : فإن قصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله سبحانه فخسفنا به وبداره الأرض والدار ظاهرة فى البنيان ، وقد تكون بعد ذلك فى التيه . وتكون الدار عبارة عن المحلة تضرب فيها الخيام كما قال عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحًا دار عبلة واسلمى

والله أعلم

ونقول : إن الله ذكر قارون فى سورة غافر فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ فقارون كان كافرًا قبل رسالة موسى ومعنى ذلك أنه لم يكن من الصالحين وكان من أعوان فرعون وأن رسالة موسى يخص جزءا منها كبيرا ما عليه قارون من الجحود وكفران النعمة التى أنعمها الله عليه ، وبذلك يتعين أن يكون المكان الذى حدثت به قصة قارون موجودًا بداخل مصر وتحديدًا مكان بحيرة قارون بالفيوم، فهى من آيات الله سبحانه والله سبحانه عندما يهلك قومًا كافرين يجعلهم عبرة لمن بعدهم ويترك آثارهم لينظر إليها من بعدهم وأمر الناس فى الكتاب الكريم بالسير والنظر : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢] .

وبحيرة قارون بالفيوم لم يقم أحد بالحفر فيها أو التنقيب عن ثروة قارون رغم التقدم العلمى كما لم يقم أحد بالحفر فى صحراء الأحقاف ليخرج كنوز إرم ذات العماد ، ولا تغيير أبدًا فى الأماكن التى ذكرها القرآن الكريم وتحدث عنها أنها آثار لأقوام ظالمين الذين أنزل الله عليه العذاب ، وإذا صح هذا وهو الصحيح فإن السياحة الدينية سوف ترى بحيرة قارون بعين المعتبر المتدبر الذى يرى فعل ربنا سبحانه وتعالى بالقوم الظالمين ، كذلك من ينظر إلى البحر الميت بالأردن يعرف أين المكان الذى عذب الله فيه قوم لوط .

هذا ويرى ابن كثير أنه يمكن أن تكون قصة قارون حدثت بعد عبور موسى ببنى إسرائيل إلى سيناء وأنها حدثت فترة تغربهم فى التيه وهذا الرأى وإن كان بعيدًا لسبب واحد وهو أن الذين عبروا مع موسى كانوا مؤمنين باستثناء موسى السامرى وأن الله ذكر أن قارون قال ما قالهَ فرعون وهامان لموسى : ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ .

وعلى فرض صحة الرأى الذى يقول أن قارون عبر مع موسى إلى سيناء

فتكون تلك القصة حدثت فى وقت التيه وفى الأماكن التى كانوا يسيرون فيها فى سيناء وهو رأى بعيد ، وهناك رأى آخر يظهر من سياق بعض الآيات من القرآن الكريم مثل قول الله تعالى . ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] .

وقوله سبحانه في سورة الدخان : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ .

وقوله سبحانه فى سورة الشعراء : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] .

وقوله سبحانه فى سورة القصص : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦] .

ومن هذه الآيات نقول أن هناك إشارة مؤكدة فى قصة الخروج والتى تقول أن بنى إسرائيل ورثوا ملك فرعون ، وهذا لا يتفق مع ما هو مذكور أن بنى إسرائيل خرجوا إلى أرض سيناء فمكثوا فيها أيام التيه حتى توفى موسى عليه السلام ثم دخل بهم يوشع بن نون أرض الموعد وهى أرض فلسطين .

ولكن سياق التوراة والقرآن والقصص الكثيرة التى حدثت مع موسى عليه السلام منها ما يذكر من أحداث التيه ومنها ما يذكر فى سياق آخر ويمكن أن يكون الخروج حدث على مرتين ، المرة الأولى حيث خرج موسى ببنى إسرائيل عليه السلام ومن ثم دخل بهم يوشع بن نون أرض الموعد وهى أرض فلسطين، ولكن سياق التوراة والقرآن والقصص الكثيرة التى حدثت مع موسى عليه السلام منها ما يذكر من أحداث التيه ومنها ما يذكر فى سياق آخر ويمكن أن يكون الخروج حدث على مرتين ، المرة الأولى حيث خرج

موسى بنى إسرائيل فراراً من جيش فرعون وانفلق له البحر وسار إلى طور سيناء وتلقى التوراة وكملت له الرسالة ثم رجع ببنى إسرائيل إلى مصر فأقام فيها زمنًا طويلاً وفى هذا الزمن حدثت قصة البقرة وقصة قارون وبعض الحوادث التى توحى بأنها حدثت فى مجتمع مستقر زراعى ، ثم أمره الله بالخروج مرة ثانية إلى أرض فلسطين ولما وقف بنو إسرائيل عن جهاد من فيها وعصوا فإن الله عاقبهم بالتيه فى أرض سيناء وحرم عليهم دخول مصر وغيرها حتى ماتت الأجيال القديمة وكبر الشباب فدخل بهم يوشع بن نون أرض فلسطين وهذا مجرد تصور نتوقعه من سياق الآيات القرآنية والله أعلم.

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : وقد ذكر الله تعالى قصة قارون فى غير ما آية من القرآن قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٣، ٢٤] .

وقال تعالى فى سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود : ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبون:٣٩، ٤٠] .

الذى خسف به الأرض قارون كما تقدم والذى أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهما كانوا خاطئين .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبدالرحمن حدثنا سعيد حديثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف**» انفرد به أحمد رحمه الله .





يوشع بن نون

يوشع بن نون

قال ابن كثير : يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهو أول نبى فى بنى إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأهل الكتاب يقولون : يوشع بن عم هود .

وقد ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم غير مصرح باسمه فى قصة الخضر كما تقدم من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ﴾ وقدمنا ما ثبت فى الصحيح من رواية أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى ﷺ من أنه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب ، وهو الذى دخل بيت المقدس ببنى إسرائيل .

قال المفسرون : ولقد كان موسى عليه السلام يرجوا أن يدخل بيت المقدس ببنى إسرائيل كما أمره الله سبحانه ، ولكنهم عصوه ولم يقدموا معه فحرمها الله سبحانه عليهم أربعين سنة وتمنى موسى أن يدخلها بهم بعد مرور أربعين سنة إعمالاً لأمر ربه سبحانه ولذلك فقد لطم ملك الموت لأنه كان يرتجى أن يدخل أرض الموعد ببنى إسرائيل فى زمانه هو ، إلا أن قدر الله سبحانه قضى بأن الذى يدخلها فتاه يوشع بن نون .



ولقد كان رسول الله ﷺ يرتجى أن يحارب الروم مصداقًا لقوله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

فخرج رسول الله ﷺ إلى تبوك ثم رجع فجهز جيش آخر يريد أن يخرج به لقتال الروم ولكن الوجع اشتد به فأخرج أسامة بن زيد وأمره أن يذهب لقتال الروم ولكنه ﷺ لقى ربه قبل إنفاذ بعث أسامة فأنفذه من بعده خليفته أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه ، فالأنبياء فى طاعة ربهم مدى حياتهم وحتى آخر لحظة منها .

أما موسى عليه السلام فقد أعد الشباب الذين لم يكونوا من الجيل الذى نكث عن دخول بيت المقدس وماتوا كلهم فى التيه ماعدا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا .

أعد موسى الشباب وجهزهم للحرب ولكنه توفى قبل أن يدخل بهم إلى أرض الميعاد فسار بهم يوشع بن نون بعد انتهاء مدة التيه وهى أربعون سنة كما ذكر الكتاب الكريم : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ هذا وقد ذكر ابن كثير فى قصص الأنبياء عن ابن إسحاق قصة بلعام بن باعوراء الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧] .

قال ابن عباس : أن بلعام بن باعوراء كان يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألح عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بنى إسرائيل فلما أشرف عليهم اربضت حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيدة وربضت فضربها حتى قامت ثم ربضت فضربها أشد من الأول فقالت له يا بلعم : أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا ؟ تذهب إلى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع

عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل «حسبان» ونظر إلى معسكر موسى وبنى إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجرى على لسانه إلا هذا واندلع لسانه حتى وقع على صدره فقال لقومه : لقد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة يبعنه عليهم ويتعرضن لهم لعلهم يقعون فى الزنا فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموهم ، ففعلوا وزينوا النساء ويعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها «كسبتى» برجل من عظماء بنى إسرائيل وهو «أمرى بن ثلوم» يقال : إنه كان رأس سبط شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته، فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل فجعل يجوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى «فنحاص» بن إلعيزار بن هارون أخذ حربته وكانت من حديد ودخل عليهما القبه فانتظمهما جميعًا فيها .

ثم خرج بها على الناس والحربة فى يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفعهما إلى السماء وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورفع الطاعون فكان جملة من مات فى تلك الساعة سبعين ألفًا والمقلل يقول عشرون ألفًا ، وكان فنحاص بكر أبيه إلعيزار بن هارون فلهذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة اللبة والذراع واللحى ولهم البكر من كل أموالهم وأنفسها ، يقول ابن كثير : وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من قصة بلعام بن باعوراء صحيح وقد ذكره غير واحد من علماء السلف .

نقول : والله أعلم أن هذه القصة إذا كانت صحيحة فإنها حدثت فى زمن متأخر عن زمن سيدنا موسى لأن من أبطالها ابن سيدنا هارون والله أعلم .

وأما يوشع بن نون قد خرج ببنى إسرائيل الجيل الثانى من التيه وتوجه بهم إلى بيت المقدس : يقول ابن كثير أن يوشع بن نون كما ذكره أهل الكتاب وكثير من أهل التاريخ قطع بهم نهر الأردن وانتهى إلى أريحا وكانت من أحصن المدن سورا وأعلاها قصوراً وأكثرها سكانًا فحاصرها ستة أشهر ثم أنهم أحاطوا بها يوما وضربوا بالقرون يعنى الأبواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحده فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثنى عشر ألفًا من الرجال والنساء وحاربوا ملوكًا كثيرة ويقال : إن يوشع ظهر على إحدى وثلاثين ملكًا من ملوك الشام ، وذكر أنه انتهت محاصرته إلى يوم الجمعة بعد العصر فلما غربت الشمس أو كادت تغرب ويدخل عليهم السبت الذى جعل لهم وشرع لهم ذلك الزمان ، قال يوشع للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد ، وأمر القمر فوقف عن الطلوع .

وقد ورد فى هذا حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع ليلة سار إلى بيت المقدس**» وهذا يدل على أن هذه القصة حدثت فى فتح بيت المقدس لا فتح أريحا ، وقد أورد ابن كثير حديثًا رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى منكم رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يدخل بها ولم يدخل ، ولا آخر قد بنى بناء ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها**» فقال : فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور : اللهم احبسها على شيئها فحبست من ذلك حتى فتح الله عليه قال: فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال : فيكم غلول فليبا يعنى من كل قبيلته رجل فبايعوه

فلصقت يد رجل منهم بيده فقال : فيكم الغلول أنتم غللتم قال: « فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضعوه وعلم ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا » وهكذا دخل يوشع بن نون ببنى إسرائيل بيت المقدس وأمرهم أن يدخلوا كما أمرهم الله سبحانه : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال ابن عباس : ركعا من باب صغير على أستاههم وهم مقنعو رؤوسهم وقال لهم ربهم ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ كما روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا : حطة نغفر لكم خطاياكم** » فبدلوا : فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة من شعرة ، قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ، حيث إنهم لم يدخلوا سجداً ولم يقولوا حطة ومعناها : حط عنا خطايانا ، يطلبون التوبة والمغفرة ولكنهم طلبوا الحنطة يعنى القمح ولم يكونوا لله شاكرين كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث دخل من أسفل البيت لا من أعلاه ساجداً على ظهر ناقته مقراً بالفضل والمنة لله رب العالمين .

هذا ولقد عاقب الله بنى إسرائيل بإنزال الرجز عليهم من السماء وهذا العذاب كما قال ابن عباس أو الطاعون كما قال كثير من المفسرين فيما رواه النسائى وابن أبى حاتم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وجماعة من الصحابة قالوا : قال رسول الله ﷺ «**الطاعون رجز وعذاب عذب به من كان قبلكم**» قال ابن كثير : ولما استقرت بنو إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبى الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة وكانت مدة حياته بعد موسى بضعًا وعشرين سنة والله أعلم

●● ●● ●●



قصة الخضر عليه السلام

قصة الخضر عليه السلام

قال ابن كثير : أما الخضر فقد تقدم أن موسى عليه السلام رحل إليه فى طلب العلم وقصَّ الله من خبرهما فى الكتاب العزيز فى سورة الكهف وذكرنا فى تفسير ذلك هناك ، وأوردنا هنا ذكر الحديث المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذى رحل إليه هو موسى بن عمران فى بنى إسرائيل عليه السلام الذى أنزلت عليه التوراة وقد اختلف فى الخضر فى اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن على أقوال سأذكرها هنا إن شاء الله تعالى وبحوله وقوته ، قال الحافظ ابن عساكر : يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ، ثم روى من طريق الدارقطنى بسنده عن ابن عباس قال : الخضر بن آدم لصلبه ونسئ له أجله حتى يكذب الدجال ، وهذا منقطع وغريب ، وقال أبو حاتم عن أبى عبيدة وغيره قالوا : إن أطول بنى آدم عمرًا الخضر واسمه خضرون ابن قابيل بن آدم .



وذكر ابن قتيبة فى المعارف عن وهب ابن منبه أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام ابن نوح عليه السلام ، وقيل: إن اسمه المعمر بن مالك بن عبدالله بن نصر بن الأرذ ، وقال غيره : هو خضرون بن عمايل ابن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ؛ ويقال : هو أرجباين حلقيا والله أعلم .

قال البخارى رحمهُ الله : حدثنا محمد بن سعيد الأصبهانى ، حدثنا ابن

المبارك عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «**وإنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضراء**» قال الخطابى : ويقال إنما سمى الخضر خضراً لحسنه وإشراق وجهه .

ونقول وبالله التوفيق : بالنسبة لاسم الخضر فقد ورد الخلاف حوله بأقوال التبى كما ذكرنا أما بالنسبة لكونه نبيًا أو وليًا فقد جاء الخلاف فى ذلك فيرى جمهور العلماء أنه نبى لأن موسى عليه السلام ذهب إليه ليتعلم منه علمًا جاءه من عند الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحى الذى لا يأتى إلا للأنبياء ، فقد خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار ثم قال لموسى : وما فعلته عن أمرى إنما كله بأمر الله سبحانه وتعالى فالراى الراجح أنه نبى من الأنبياء ، أما الخلاف حول كونه حيًا إلى الآن أم لا ؟ فإن الرأى الراجح أنه ليس حيًا حتى الآن وأنه مات كما ذكرنا ذلك فى قصة إلياس عليهما السلام.

والذى يهمنا أكثر من ذلك ما ذر بين المسلمين عامة والمصريين خاصة من تقسيم العلم إلى علم شريعة وعلم حقيقة محتجين لذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ وذهب بعضهم إلى تقسيم المسلمين إلى علماء شريعة وعلماء حقيقة ، وقال بعضهم من تشرع ولم يتحقق فقد تزندق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تفسق ، وهذه النزاعات ينقصها البصر الصحيح برسالة سيدنا محمد ﷺ فقد أعطاه الله علم الشريعة وعلم الحقيقة ، وإن لدى المسلم الحق الزاد الكافى من الأحكام الشرعية لتيسير حياته الدنيوية وعنده التراث الوافى لحياته الروحية وقد كان سلفنا الصالح يجمعون بين علم الشريعة والحقيقة ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ ويقول رسول الله ﷺ : «**لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فلا تتهوكوا**» .

هذا ولقد ذكر الخضر عليه السلام فى القرآن فى قصته مع موسى وقد ذكر الخضر عليه السلام فى سورة الكهف أنه التقى بموسى فى مجمع البحرين فى رأس محمد بجنوب سيناء كما ذكرنا فى أول الكتاب وأصبحت رأس محمد تجمع بين عطاء العلم والنبوة وهى مزار جيد لمن يهوى قدر العلم والعلماء ، هذا وقد صدر بحث أخير اعتمد على التصوير الضوئى ثبت ما قررناه أن مجمع البحرين فى رأس محمد وأنه المكان الذى التقى فيه الخضر وموسى ، ولم يذكر الخضر فى أى مكان من الأرض غيرها وما يتبعها من ركوب السفينة وقتل الغلام والقرية التى قتل فيها الغلام ومن بناء الجدار والذى قال المفسرون : إن القرية التى قتل فيها الغلام هى الأيكة والتى أقيم بها الجدار هى الآيلة .

وقد ذكر الخضر فى بعض أحاديث رسول الله ﷺ عندما قال : «وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما» وقد ذكر أهل الحديث من أخلاق الخضر وعلمه وزهده وتواضعه الشيء الكثير وكذلك قصص وأحاديث منها الضعيف ومنها الحديث الذى يحكى أن سائلاً سأل الخضر بالله وليس معه ما يعطيه للسائل فأعطى له نفسه فباعه فى السوق فخدم المشترى وأخلص فى خدمته ورأى منه صاحبه أموراً غريبة فسأله بالله أن يخبره خبره فأخبره أنه الخضر وأنه أعطى نفسه للسائل الذى سأله بالله فباعه له فأعتقه الرجل لوجه الله فعاد إلى عبادة ربه سبحانه وتعالى ، كذلك قص علينا أصحاب الحديث كثيراً من نصائحه ووعظه لموسى عليه السلام عند فراقه له فقد طلب موسى منه أن ينصحه ويدعو له .

وإن مصرنا الحبيبة وجنوب سيناء خاصة قد شرفت بالعلم الشرعى وبالأخلاق والنبوة والنور ومصافحة الأنوار الربانية لأرضها فى الجبل الذى

إندك من خشية الله أو لا ينقصنا إلا أن نعـرف حق هذه الأرض علينا وبركتها فلا نجوع فيها ولا نعرى وتصل حبلنـا بالله سبحانه فهو الرزاق ذو القوة المتين والله أعلم .

هذا ويطلق اسم الخـضر على كثيـر من الأماكن فى جنوب سيـناء ومنها زواية الخضر التى رأيتها فى الطور القديمة خلف مسجد الكيلانى وهو مسجد الطور القديم وخلف كنيسة الطور ، ومازال بعض جدران هذه الزاوية موجوداً حتى اليوم ، والله أعلم .

●● ●● ●●

قصة الخضر وإلياس عليهما السلام



قصة الخضر وإلياس عليهما السلام

يقول الله تعالى فى سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : قال علماء النسب : هو إلياس النشمى ويقال إلياس بن ياسين بن فنحاص بن إليعزار بن هارون وقيل : إلياس بن إليعزار بن هارون وقيل إلياس بن إليعزار بن هارون بن عمران قالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربى دمشق فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا ، وقيل : كانت امرأة اسمها بعل ، والله أعلم .

قال علماء التفسير : والأصح أنهم كانوا يعبدون صنمًا اسمه بعلا ، هذا وقد ذكر نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء وجغرافيتها أن سبب تسمية جبل سربال وهو الجانب الغربى من جبل الطور بهذا الاسم فقال : إن سربال كلمة مكونة من كلمتين سرب وبعل فكانت سرب بعل أى عبادة بعل أى المكان الذى كان يعبد فيه بعل وإذا صح ذلك فيكون جبل سربال المطل من شماله على وادى فيران وهو الجبل الذى نزلت فيه رسالة إلياس عليه السلام أو تكون هذه رسالة أخرى

وجدت فى مصر هذا وقد ساق نعوم شقير أدلة كثيرة على هذا ومنها أن جبل سربال عند المكان الذى يسمى الحسوة فى اتجاه مفارق الصور ونهاية وادى فيران تجد هناك شقًا كبيرًا يشبه الوادى فى جبل سربال وبه آثار قديمة لدور عبادة قديمة وذلك لأن هذا المكان كن مزارًا لكثير من الناس فى القرون الماضية وأنهم استمروا فى الزيارة والمبيت وتقديم الذبائح فيه حتى أوقات متأخرة من زمن موسى وعيسى عليهما السلام ، وقد صح أن إلياس النبى دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة بعلا الصنم الذى يعبدونه أو المرأة أو الرجل الذى كانوا يعبدونه من دون الله وقيل : إنهم كانوا يعبدون نخلة تسمى بعلاً والله أعلم .

هذا وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أن إلياس قال لقومه ﴿ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٤-١٢٦] . فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله ، فيقال : إنه هرب واختفى فى الغار الذى تحت الدم عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولى غيره فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام وأسلم من قومه خلق كثيرة غير عشرة آلاف منهم فأمرهم فقتلوا عن آخرهم وقد ورد أن إلياس اختفى من قومه عشرين ليلة أو قال : أربعين ليلة تأتيه الغربان برزقه ، هذا وقد اختلف العلماء فيه وفى الخضر هل هما أحياء إلى اليوم أم أنهم قد ماتوا كما يموت الناس ، فذهب فرقة من العلماء أن الخضر وإلياس لا يزالان أحياء ، قال مكحول عن كعب الأحبار : أربعة أنبياء أحياء اثنان فى الأرض واثنان فى السماء ، ففى الأرض إلياس والخضر وفى السماء إدريس وعيسى عليهما السلام .

قال ابن كثير : وقد قدمنا من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان فى كل عام مرة فى شهر رمضان ببيت المقدس وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من

زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل وأوردنا الحديث الذى فيه إنهما يحجان ويجتمعان بعرفات كل سنة وبينا أنه لم يصح شيء من ذلك وأن الذى يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس عليهما السلام ، وما ذكره وهب وغيره أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما عذبوه وآذوه ، فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله لها ريشًا وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيًا بشريًا سماويًا أرضيًا وأوصى إلى اليسع ابن أخطوب ، ففى هذا نظر وهو من الإسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة ، والله تعالى أعلم ، قال ابن كثير وغيره من العلماء والصحيح عندى أن إلياس والخضر لم يكونا موجودين فى زمن رسول الله ﷺ ولو كانا موجودين للزمهما أن يأتيا رسول الله ويتبعاه ويجاهدا معه ويحملان دينه وأمانته كيف وهو القائل : «**لو كان موسى بن عمران حيًا ما وسعه إلا أن يتبعنى**» .

وأن عيسى عليه السلام عندما ينزل فى آخر الزمان يدخل فى دين محمد ﷺ ويكسر الصليب ويحرم الخنزير والخمر ويقتل الدجال ، وهذا الميثاق الذى أخذه الله سبحانه على الأنبياء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١] . كذلك فإن قال الذين ذهبوا إلى أن الخضر وإلياس قد ماتا ومنهم البخارى وإبراهيم الحلبى وأبو الحسن بن المنادى والشيخ أبو الفرج بن الجوزى الذى ألف كتابه عجالة المنتظر فى شرح حالة الخضر صحيح لقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ والخضر بشر وإلياس بشر وكذلك حديث رسول الله ﷺ الذى رواه مسلم والترمذى عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما على الأرض من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة**»

وهذا أيضًا على شرط مسلم ، فهذا الفريق الذى يقول : إن الخضر وإلياس عليهما السلام قد ماتا ، ولم يدركا رسول الله ﷺ .

أما إلياس فقد قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ قال ابن كثير : أى أنهم يعذبون إما فى الدنيا والآخرة وإما فى الآخرة ، والأول أظهر على ما ذكره المؤلفون والمؤرخون وقوله ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى من آمن منهم . وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أى أبقينا له بعده ذكرًا حسنًا له فى العالمين فلا يذكر إلا بخير ولهذا قال : ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ أى : سلام على إلياس والعرب تلخص النون فى أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها ، وإذا صح أن رسالة إلياس عليه السلام فى جبل سربال فيكون قبره هناك ، وسربال كان على مر العصور مزارًا دينيًا سياحيًا يجب أن تلفت النظر إليه وأن تهتم محافظة جنوب سيناء بتحديد مكان السياحة الدينية والله أعلم .

●● ●● ●●

ذكر فضائل موسى عليه السلام وحجه إلى البيت العتيق



ذكر فضائل موسى عليه السلام وحجه إلى البيت العتيق

قال الإمام ابن كثير : قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم:٥١ ـ ٥٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤] وقد تقدم فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا تفضلونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمه العرش فلا أدرى أصعق فأفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور**» وقد قال رسول الله ﷺ ذلك من باب الهضم والتواضع وإلا فصلوات الله وسلامة عليه خاتم الأنبياء سيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة قطعًا جزمًا لا يحتمل النقيض قال تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وفى سورة الأحزاب : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩] .

لقد ساق الإمام البخارى حديثًا عن أبى هريرة بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : إن موسى كان رجلاً حيًا ستيرًا لا يبدو من جلده شيء استحياء منه فأذاه من أذاه من بنى إسرائيل فقالوا : من يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده أما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يومًا وحده فلما فرغ أقبل على ثيابه

ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله وبرأه الله مما يقولوز وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى كثيرة ، قال بعض السلف وكان من وجاهته أن شفع فى أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيرًا فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبه وجعله نبيًا كما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ .

قال البخارى حدثنا أبو الوليد : حدثنا شعبة بن الأعمش قال : سمعت: أبا وائل قال : سمعت عبدالله قال : قسم رسول الله ﷺ فقال : إنه هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه ثم قال : «**يرحم الله موسى فقد أوذى بأكثر من هذا فصبر**» .

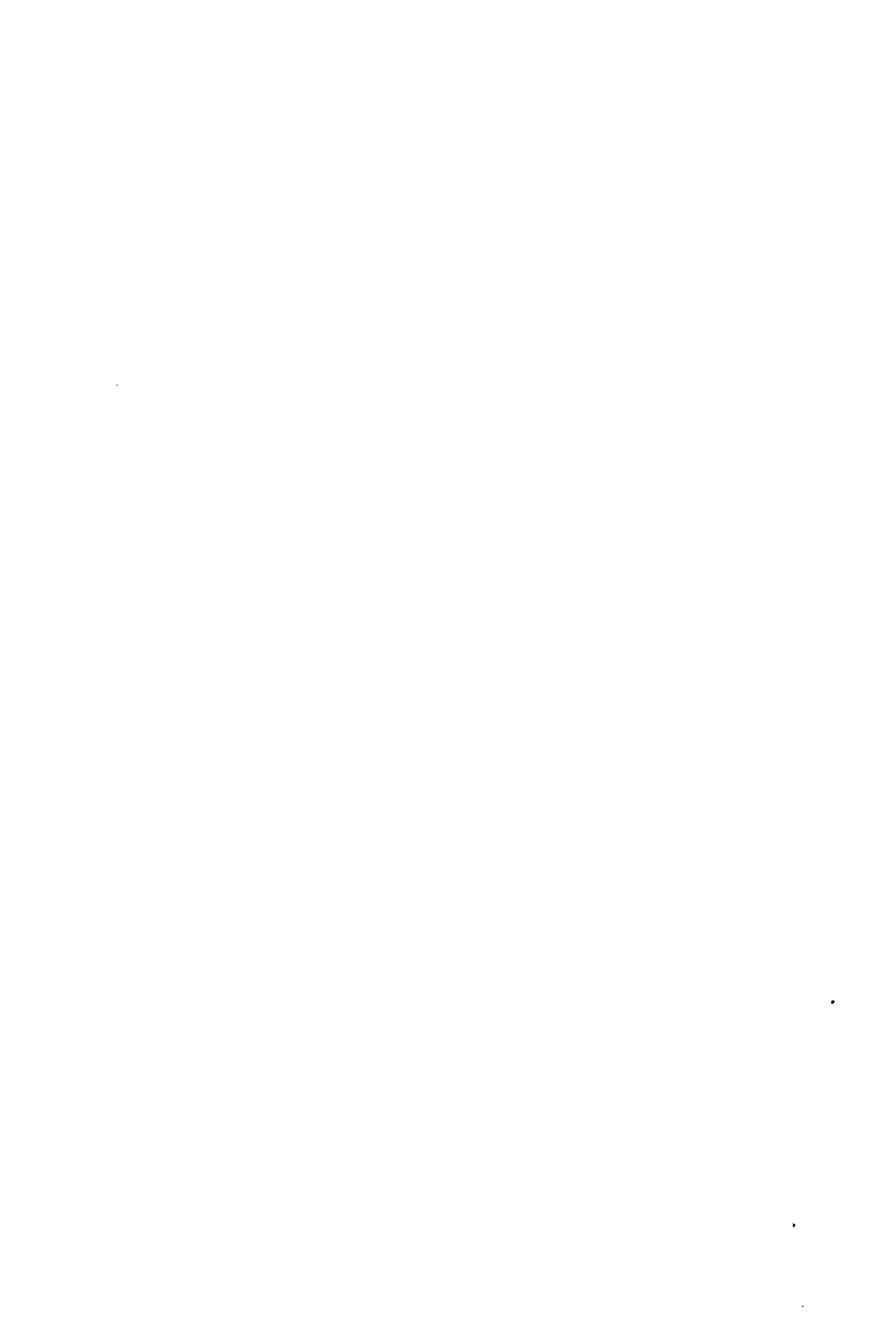
وفى الصحيحين من رواية قتدة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ أنه مر ليلة أسرى به بموسى فى السماء السادسة فقال له جبريل : هذا موسى فسلم عليه قال : فسلمت عليه فقال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل : له ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى وذكر إبراهيم فى السماء السابعة وهذا هو المحفوظ .

اتفقت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد ﷺ وأمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة مر بموسى قال «**ارجع إلى ربك فسأله**

التخفيف لأمتك ، فإني قد عالجت من بنى إسرائيل قبلك أشد المعالجة وأن أمتك أضعف أسماعًا وأبصاراً وأفئدة» فلما يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ليخفف عنه فى كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات فى اليوم والليلة قال الله تعالى هى خمس وهى خمسون أى بالمضاعفة فجزى الله عنها محمداً ﷺ خيراً وجزى موسى عليه السلام عنا خيراً ، هذا وقد ذكر الله موسى فى القرآن كثيراً وأثنى عليه وأورد قصته فى كتابه العزيز مراراً وتكراراً كثيراً كثيراً مطولة ومبسوطة ومختصرة وأثنى عليه ثناء بليغًا وكثيراً ما يقرنه الله ويذكره كتابه مع محمد ﷺ وكتابه كما قال فى سورة البقرة : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ والآيات فى ذلك كثيرة .

وقالت الجن لقومهم : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ [الأحقاف: ٣٠] وقال ورقة بن نوفل لما أخبره رسول الله ﷺ خبر الرؤيا وتلا عليه اقرأ باسم ربك الذى خلق قال الذى أنزل على موسى بن عمران قال ابن كثير : وبالجملة فشريعة : سبوح سبوح هذا الناموس الذى أنزل على موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمة وأمته كانت أمة كثيرة ووجد فيها أنبياء وعلماء وعباد وزهاد وأولياء وملوك وأمراء وسادات وكبراء لكنهم خانوا فبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا قردة وخنازير ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم وحلت عليهم خطوب وأمور يطول ذكرها .

●● ●● ●●



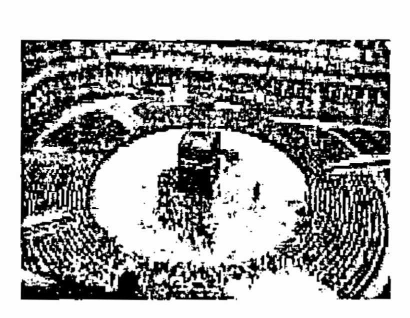


حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق

حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق

قال ابن كثير قال : الإمام أحمد حدثنا هشام : حدثنا داود بن أبى هند عن أبى العالية عن ابن عباس مرا بوادى الأزرق فقال : «أى وادى هذا قالوا واد الأزرق أن رسول الله ﷺ قال كأنى أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية وله جؤار إلى الله عز وجل بالتلبية حتى أتى على ثنية هرشاء فقال : أى ثنية هذه قالوا : هذه ثنية هرشاء قال : كأنى أنظر إلى يونس يركب على ناقة حمراء عليه جبه من صوف خطام ناقته خلبه قال : هشيم يعنى ليفًا وهو يلبى.

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال أن رسول الله ﷺ قال : **«أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم وأما موسى فرجل آدم جعد الشعر على جمل أحمر مخطوم بخلبه كأنى أنظر إليه وقد انحد الوادى يلبى»** .



وفى رواية عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : **«رأيت عيسى ابن مريم وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فآدم جسيم سبط قالوا: فإبراهيم قال انظروا إلى صاحبكم»** .

أخى القارئ الكريم كل هذه النصوص التى وردت فى القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال المفسرين ومنهم الإمام ابن كثير تدل على أن القرآن الكريم جاء موضحًا ومفسراً لأقوال الرسل والأنبياء فالقصص الحق وأن الكتاب الكريم يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وأن من أهم خصائص القرآن الكريم المعجزة الكبرى أنه أخبر رسول الله ﷺ بقصص

الأولين وأخبارهم التى لم يكن يعلمهـا رسول الله ولا يعلمها قومه ولا يعلم وقائعها وتفاصيلها إلا الله ولا يسوق الحـق فيه إلا الله سبحانه وتعالى كذلك نرى أحاديث رسول الله ﷺ تخبرنا بصفات الأنـبياء وأوصافهم الجسدية كأنه من رجال أزد شنوءة وتذكر وتصف موسى عليه السلام وصفًا دقيقًا رجلاً آدم جعدًا طويـلاً من الأنبياء رضوان الله عليـهم موسى وعيسى ويونـس وغيرهم أنهم كانوا يحجـون البيت الحرم ويطوفون به وأن موسى عليـه السلام عندما نودى من طور سينـاء كان متوجهًا إلى الـقبلة التى هى الكعبـة وعندما وقف على الجبل ليناجى ربه كان متجهًا إلى القبلة وإذا وقفت مكانه ﷺ فوق جبل حمام موسى وأدرت وجهك ناحية مدينة الطور كنت متوجهًا إلى الكعبة .

●● ●● ●●

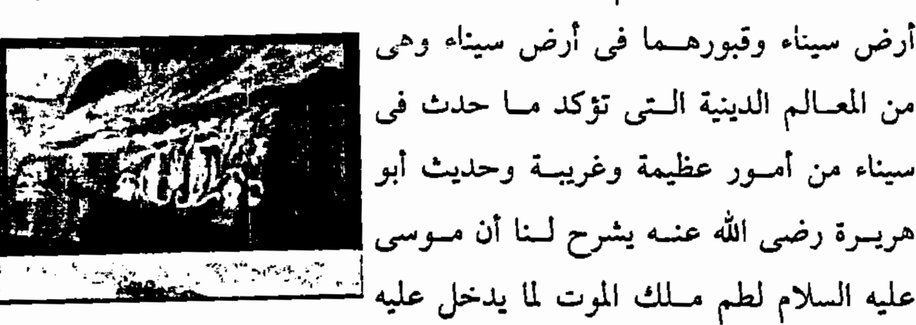
ذكر وفاة موسى عليه السلام

ذكر وفاة موسى عليه السلام

قال الإمام ابن كثير فى كتابه قصص الأنبياء : قال البخارى وفى صحيحه وفاة موسى عليه السلام حدثنا يحيى بن موسى بسنده عن أبى هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه عز وجل فقال : أسلمنى إلى عبد لا يريد الموت قال : ارجع إليه فقل له أن يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم ماذا ؟ قال ثم الموت ، قال فالآن .

قال : فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ : « **فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر** » وقد ورد هذا الحديث ومثله بعدة روايات عنه رواه مسلم ورواه الإمام أحمد كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

أخى القارئ الكريم : لقد كانت وفاة موسى وهارون عليهما السلام فى أرض سيناء وقبورهما فى أرض سيناء وهى من المعالم الدينية التى تؤكد ما حدث فى سيناء من أمور عظيمة وغريبة وحديث أبو هريرة رضى الله عنه يشرح لنا أن موسى عليه السلام لطم ملك الموت لما يدخل عليه



بيته بغير إذن ولم يكن يعرفه وأن ملك الموت شكا إلى ربه ذلك ملك الموت فقأ عينه وأن رب العزة سبحانه قد أمر ملك الموت أن يطلب من موسى إن كان يريد الحياة أن يضع يده على متن ثور «أى على ظهر ثور» وله بكل شعرة

تحت يده سنة وهو عمر طويل فإن ما تحت يد موسى من الشعر فى ظهر الثور يعد بالمئات ولكن موسى عليه السلام سأل ملك الموت فقال وماذا بعد هذا قال : قال الله سبحانه : الموت قال موسى : فمن الآن .

وهذه القصة تبين مدى فهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لحقيقة الدنيا وأنها مهما طالت فهى قصيرة ومنتهية وأن الحياة الآخرة عند الله سبحانه هى الباقية والدائمة ولذلك رفض موسى أن يضع يده على متن الثور ويعيش سنوات إضافية بعدد شعر الثور تحت يده .

هذا وقد ذكر بعض الكتاب من أهل الكتاب أن موسى عليه السلام دخل الأرض المقدسة ومات بها ولكن عند جمهور العلماء من أهل الكتاب ومن المسلمين مجمعون على أن موسى عليه السلام مات بالتيه فى أرض سيناء وأنه طلب من ربه أن يدنيه من أرض الموعد رمية بحجر ولذلك جاء الحديث الذى أورده ابن كثير فى قصص الأنبياء قال : قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : **«لما أسرى بى مررت بموسى بن عمران وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر»** .

وقبر موسى عليه السلام من المعالم التى لا تعرف الآن ولا يعرف قبر أى نبى من الأنبياء إلا قبر رسول الله ﷺ ولكن الحديث المذكور يبين الجهة التى يوجد بها قبر موسى عليه السلام فهو فى سيناء وقد يكون الكثيب الأحمر بجوار الطريق عند محمية رأس محمد وقبلها بقليل عن يسار المتجه إلى شرم الشيخ هو نفس المكان الذى تحدث عنه رسول الله ﷺ .

وقد يتساءل بعض الناس كيف يقوم نبى الله موسى يلطم ملك الموت ؟ وقد أجاب المفسرون على هذا فى قصة موسى وقصة داود عليه السلام : بأن

الملائكة تأتى أحيانًا فى صورة بعض الرجال فقد يأتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فى صورة أعرابى يسمى دحية بن خليفة الكلبى ، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام فى صورة شباب ذوى طلعة حسنة فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط وأوجس إبراهيم منهم خيفة : ﴿ قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال المفسرون : فلعل ملك الموت دخل دار موسى بدون إذن فى صورة رجل غريب عن أهل الدار فنظر من بها من النساء وغيرهم وفى شريعتنا أنه من دخل دارك بغير إذنك ونظر داخل البيت فإنه يجوز لك أن تفقأ عينه وقد ذكر المفسرون وأصحاب الحديث أن بنى إسرائيل كانوا قومًا شديدى الظن يوجهون التهم ضمن ذلك ما ذكره ابن كثير وغيره من حديث ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وقالوا : إن الله أوحى إلى موسى إنى متوفي هارون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو هذا الجبل فإذا هم بشجرة لم ترى شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبنى وإذا هم بسرير عليه فراش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت أعجبه وقال : يا موسى إنى أحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى : فنم عليه قال : إنى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له : لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم قال : يا موسى بل نم معى فإن جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعًا فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجده قال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون قالوا : إن موسى قتل هارون وحسده على حب بنى إسرائيل له ، وكان هارون أكف الناس عنهم وألين لهم من موسى وكان فى موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم كان أخى أفترونى أقتله ؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض

فسكتوا وانتبهوا وأما موسى عليه لسلام فلقد سار مع فتاه يوشع بن نون إذ أقبلت سحابة سوداء أو ريح سوداء فلما نظر إليهما يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبى الله ، فاستلّ موسى عليه السلام من تحت قميصه وترك القميص فى يد يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنى إسرائيل وقالوا : قتلت نبى الله ؟ فقال : لا ما قتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله قال : فإذا لم تصدقونى فأخرونى ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل من كان يحدثه فى المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وإنا قد رفعناه إلينا ، قال : ولم يبق أحد من أبى أن يدخل يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا مات بالتيه ولم يشهد الفتح ، قال ابن كثير: وفى بعض هذا السياق غرابة ونكاره والله أعلم .

ولم يخرج أحد من التيه سوى يوشع بن نون وكالب بن يوحنا وهو زوج مريم أخت موسى وهما الرجلان اللذان قال الله فيهما : ﴿ **قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ .

قال ابن كثير : وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملأ من الملائكة يحفرون قبراً فلم ير أحسن منه ولا أنضر ولا أبهج فقال : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا : لعبد من عباد الله الكريم فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل فتمدد فى هذا القبر وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه وصلت عليه الملائكة ودفنوه ، وذكر أهل الذكر وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة .

والملاحظ من بيان هذا الحديث أمور منها أن بنى إسرائيل كانوا يسيئون الظن حتى بالأنبياء ، ويوجهون إليهم التهمة بالظن ، وأن موسى وهارون

عليهما السلام ماتا فى سيناء فى التيه ودفنا بها ، ولا يعرف قبر أحدهما غير أن بعض الناس صنع قبراً فى مدخل الوادى المؤدى إلى دير سانت كاترين وسموه قبر النبى هارون ، وصنعوا قبراً آخر على الطريق فى مدخل مدينة كاترين وسموه قبر النبى صالح وكل هذه الأمور ظنية لا يقوم عليها دليل مادى أو قطعى ولكن الثابت أن قبر موسى عليه السلام غير معروف إلا بالإشارة التى أشار إليها الحديث النبوى الكريم ليلة الإسراء : «**مررت بموسى يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر**» ، وفى رواية بجوار الطريق عند الكثيب الأحمر فرحم الله موسى وهارون ونبينا ﷺ وجميع الأنبياء والمرسلين وجزاهم عن أممهم أفضل جزاء ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

●● ●● ●●




تحقيق

تحقيق

نلخص أهم ما جاء فى صفحات هذا الـكتاب فى الحقائق الآتية ، حتى لا يخرج القارئ من هذه الصفحات كما يخرج من جميع الكتب التى تحدثت فى هذا الموضوع ، كما دخل :

١ـ مجمع البحرين فى محمية رأس محمد وحيث التقى موسى والخضر، وحيث كانت هى المكان القريب من مجتمع بنى إسرائيل وموسى عليه الصلاة والسلام يتلو عليهم التوراة ، ويسألونه : عن أعلم الناس فى الدنيا ومن أكثر منه علمًـا ، فيرشده ربه إلى مـجمع البحرين حـيث يلتقى من هو أكـثر منه علمًا .

وحيث كانت المنطقـة قريبة من الأيكة التى قتل الخضر فـيها الغلام وهى بأرض مدين شمـال السعودية وجنوب الأردن ، وأيضًا فهى قـريبة من الأيلة والتى أقام فيهـا الخضر الجدار وهى بأرض العراق ، وحيث تـقع رأس محمد فى رأس بحر سوف المذكـور فى التوراة وهو البحر الأحمـر وخليج السويس والعقبـة ، وحيث كانت منطقة خليـج العقبة زاخرة بالعـمران والحضارات ، والسفن الصغيرة والكبيرة تنقل الركاب بين سيناء والبر الشرقى للسعودية وكان حديثًا هذا قـديمًا حديثًا نتحدث فـيه وعنه من مدة عشـرين سنة ونقول : إن محميـة رأس محمـد هـى مجمـع البحـرين ، وفـى خطبـة جـمعة فى آخر سنة ٢٠١٢ فى مدينة شرم الشيخ تحدثت عن هذا .

وفى شهر فبراير ٢٠١٣ اتصل بى موظفو المحميات بشرم الشيخ وأفادونى بأنهم عـملوا على تصوير جـوى وأثبتت تلك الـبحوث صحة هـذه المقالة :

وأذيعت بنشــرة الأخبـار فى تلفــزيون جمهــورية مصـر العربـيـة أوائل هذا العام ٢٠١٣ وفى الصحف والمجلات .

٢ـ مدينة شرم الشيخ وبها الموانئ التى ركب مـنها موسى والخضر السفينة ليعبروا بها إلى مدين حيث توجد مدينه الأيكة المذكورة فى القرآن الكريم وبها قتل الخضر الغلام كما هو مدون فى كتب التفسير .

٣ـ ميناء «النبق أو نبق» أو محمية نبق هو الميناء الذى عبر منه موسى إلى مدين عـند ذهابه خارج حـدود مصر فـراراً من فرعون وجنـده ، وهو نفس الميناء الذى رجع منه مـوسى بأهلـه وغنمه وأولاده لـيعبـر إلى طور سـيناء والوادى المقدس طوى وحيـث ناداه ربه سبحانه وكلفه بـالرسالة ، وهو نفس الميناء الذى كان يستخدمه تجار الأغنام والجمال بين مدين والقاهرة .

٤ـ ومدينة دهب فـيها اللسان المـكون للبحيرة الـتى كان يحبس فيـها بنو إسرائيل الحيتان يوم السبت لـكى يصطادوها يوم الأحد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ فقد قال المفسرون إن هذه الحادثة حدثـت فى زمن نبى الله داود ، وأنها القرية التى كـانت حاضرة البحر وأنها بين آيلة «العقبة» والطور .

٥ـ مدينة نويبع مـدينة جميلة جاذبة للسيـاحة تتمتع بمقومات كـثيرة وبها الميناء ويتبعها قلعة صلاح الدين ومدينة طابا .

٦ـ مدينة كاترين فى أعلى قمة جبل سـيناء وبها دير سانت كاترين ومقام يقال له قبـر النبى هارون ومقام آخر يـقال له : قبر النبى صـالح ، وقد كان الرهبان يفرون إليها من الاضطهـد سواء من اللصوص أو الملوك أو الاضطهاد الدينى ، ولذا بنى لها دير سانت كاترين .

٧ـ وادى فيران والطرفا ويقال : إن بنى إسـرائيل مروا فى خروجهم على

الطرفا وفيران ونزل عليهم بها المن والسلوى وهى واد ضيق كانت تنزل به الأمطار وتكثر به السيول وبه كثير من الحدائق والبساتين التى ضعفت فى السنوات الأخيرة لقلة المياه وعدم العناية بها .

٨ـ جبل سربال ويقال : إنه هو جبل الطور أو جبل حوريب ، ويقال: إنه «سرب بعل» أو جبل الإله بعل ، وإن قصة إلياس عليه السلام حدثت فى هذا الجبل ، وبه مزار دينى قديم مقابل الحسوة بعدها إلى القرب بقليل كان الزوار والحجاج يأتون إليه من قبل زمن موسى عليه السلام وزمن المسيح عليه السلام ، هذا وقد اختلف الباحثون عن جبل المناجاة فذهب فريق إلى أنه جبل سربال وذهب الآخرون إلى أنه جبل الصفصافة .

٩ـ وادى المكتب فى نهاية وادى فيران غربا من مفارق الطور وكاترين وبه صخرات عليها كتابة مسمارية ويقال : إنه أول مكان فى الدنيا عرفت به الكتابة، وهى كتابة نبطية .

١٠ـ سهل القاع بطول ٦٠كم وعرض حوالى ٢٠كم يبدأ من مفارق فيران حتى مدينة الطور وبه كما تشير الروايات القرآنية والتوراتية جانب الطور الأيمن ، وبه نزل بنو إسرائيل بجوار مفارق كاترين وعبدوا فيه العجل وأنزل عليهم المن والسلوى ، وضرب موسى فيه الحجر فخرجت منه اثنتا عشرة عينًا، ومنه خرج موسى إلى الجبل الغربى على حمام موسى لتلقى الألواح والتوراة ، واختار قومه سبعين رجلاً للميقات وحدثت به كل الأحداث حسب رواية التوراة أن بنى إسرائيل نزلوا من ريفديم إلى سهل سيناء أو برية سيناء بعدد يقرب ثلاثة ملايين نسمة بما معهم من المواشى والنساء والأطفال ، وإن أحداث القصة كلها تقول فى هذا المكان وقف شعب إسرائيل ليقرأ عليهم موسى التوراة فلما رفضوها رفع الله عليهم الجبل ، وقد وصفت التوراة بأنه

متسع وقريب من البحر وأنه يبدو حوش وعليه سور فجبل الطور من ناحية الشرق وجبل الحمام من ناحية الغرب ، وهو المكان الوحيد الذى ينطبق على رواية التوراة ، وينطبق على رواية القرآن : ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ وشاطئ الوادى وجانب الوادى ، ولم يرد فى نصوص التوراة وأسفار موسى الخمسة ما يشير إلي جبال كاترين والطرفا ، بل هى برية سيناء والجانب الغربى من الطور كما يقول المفسرون ، والله أعلم .

١١ـ جبل حمام موسى وفوق الحمام هو الجبل الذى نزلت عليه التوراة ، وهو الجبل الذى اندك جرفه الجنوبى مكان مدينة طور سيناء حيث نزل نصفه فى البحر ونصفه على الأرض وحيث قطع الجبل قطعًا وكأنه قطع بسكين ولا شاطئ رملى له وتمشى على ساحل البحر مساحة طويلة فى ماء ضحل تحته حجارة مكسورة ، والمكان يحدث عن نفسه ولا توجد به قرى سياحية ولا شواطئ رملية ، وقد حاول كثير من المستثمرين إقامة مشاريع سياحية فى هذا الشاطئ فلم يوفقوا .

١٢ـ وفى المقابل الجبل الشرقى جبل الطور وجنوب مدينة الطور بجوار ٤ أميال يقف جبل الطور شامخًا وفى جانبه وادى إسلا الذى يعد أخصب مكان فى سيناء كلها وأجمل مكان وهو الذى تنطبق عليه أوصاف القرآن الكريم أنه هو الوادى المقدس طوى يقول الله سبحانه فى سورة القصص : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٤ـ٤٦] ، وهذ وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو تقصير فمنى ومن الشيطان والله الهادى إلى سواء السبيل ، والله أعلم .

١٣ـ حمام فـرعون المكان الذى عـبر منه موسى الـبحر مع بنى إسـرائيل وجيث غـرق فرعون ومعـه جنوده فى حوالى ملـيونين من الرجال والمـقاتلين والخيل والعربات وحيث يتسع خليج الســويس فى هذا المكان سعة وعمقًا إلى ابتلاع هؤلاء .

١٤ـ سرابيت الخادم هو المكان الذى طلب فـيه بنو اسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهًا مثل الأصنام التى يعبدونها أهل ذلك المكان .

والله أعلم

●● ●● ●●



تعقيب

تعقيب

يقول الله سبحانه : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠] وقال ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦] . ومن القراءة فى موضوع قصة موسى عليه السلام ، ومن البحث فى تفاسير القرآن الكريم وتتبع ما كتب عن قصة موسى مع بنى إسرائيل ، يظهر لنا بوضوح ويظهر لكل المسلمين الذين لابد لهم أن يعرفوا حقائق دينهم ولكل غير المسلمين الذين يبحثون عن الحق والحقيقة وراء كل أمر من الأمور ، خاصة ما يتصل بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يظهر ويتبين ويتضح وضوح الشمس الحقيقة الوحيدة التى لابد لكل مسلم أن يعلمها وهى أن القرآن الكريم كان لابد من وجوده ونزوله على الأرض إلى البشرية على لسان سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ ، وذلك ليبين للناس ما أجمل ويظهر ما أهمل ويحقق ما وقع فيه العلم الإنسانى والعقل البشرى « من تخبط واختلاف ، وشكوك لا نهاية لها فى كل شيء سواء فى العقيدة أم فى العبادة أم فى الأخلاق .

وأهم الميادين التى تحدث عنها القرآن الكريم هو التاريخ ، تاريخ البشرية بعامه ، وتاريخ الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بخاصة .

لقد اعتمد تدوين التاريخ على ما كتبه الأقدمون وفى كتابات الأقدمين مشكلات تضيع معها الحقيقة انظر إلى ما كتبه نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء حيث قال ص٤٧٨ ما نصه «مباحث الخروج» : ولنعد إلى الخروج فإن

هذا الحادث العجيب على عظم أهميته لا نعلم عنه شيئًا صريحًا إلا عن طريق التوراة والقرآن ولم يعثر بعد على أثر من الآثار المصرية أو السورية يشير إليه صريحًا ويرجح عدم وجود أثر له فى مصر لأن ملوكها لم يجيبوا من الحوادث إلا ما خلد لهم الفخر وطيب الذكر لا الخيبة والفشل كحادث الخروج ؟

هذا وقد باد سكان سيناء الأصليون وبادت لغتهم وتغيرت أسماء الأمكنة التى مر بها الإسرائيليون عند اختراقهم سيناء حتى إنه لم يكد يبقى مكان معروف باسمه القديم لذلك اختلف انباحثون فى تفاصيل خبر الخروج ، فى الملك الذى خرج الإسرائيليون فى عهده والمكان الذى خرجوا منه من مصر والمكان الذى عبروا منه البحر الأحمر والطريق التى ساروا بها فى سيناء والمكان الذى حاربهم فيه العمالقة والجبل الذى نزلت عليه الشريعة والبلاد التى تاه بها الإسرائيليون وعدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر ، وحقيقة المن والسلوى وغير ذلك من مباحث الخروج .

وقد كتب نعوم شقير كتابه هذا ٢٧ مارس ١٩١٦م : وهو كاتب مسيحى لبنانى الأصل هاجر من لبنان وحصل على الجنسية المصرية وأصبح ضابطًا بالجيش المصرى وذهب إلى سيناء سنة ١٩٠٦م وفيها كتب وجمع مادة كتابه هذا .

ونقول ذلك لأن معنى أن يختلف الكتاب فى التاريخ وخاصة تاريخ الأنبياء فهذا يغير الحقائق ويجعل الشك محل اليقين خاصة فى موضوع العبادات والعقائد .

هذا ولو حاول أى باحث أن يدلى بدلوه فى الدلاء وأن يبحث في قصة موسى عليه السلام ، فسيجد العجب العجاب ، سوف يرى آراء كثيرة

متضاربة حول نشأة موسى عليه السلام فهناك من يقول إنه من النوبة وأن تربيته كانت في بلاد النوبة وأنه خرج من جنوب مصر عندما فر من فرعون وعندما خرج مع بني إسرائيل ، ونرى صاحب هذا الرأي متعصبًا جداً في الرواية ويسوق الأدلة الكبيرة ، وهناك من يقول إن موسى عليه السلام عندما خرج ببني إسرائيل عبر خليج العقبة عند نويبع وذلك على شبكة الإنترنت لكاتب إنجليزي جاء ولبس ملابس الغوص وصور قاع خليج العقبة وادعى أن موسى عليه السلام عبر من النوييع إلى البر الشرقي في السعودية ، وأن الجبل الذي نزلت عليه التوراة موجود شمال السعودية وجنوب الأردن وعندما نذهب إلى أي مكتبة عامة من المكتبات الكبيرة وتطلب كتابًا عن حياة موسى عليه السلام وقصته فسيعرض عليك الموظف أسماء مدونة على الكمبيوتر للكتب وأسمائها وأسماء الكتاب فتقرأ من فتسمع أسماء كتاب مسلمين وغير مسلمين عرب وأجانب ، كل يكتب بطريقته وحسب عقيدته وهواه المادة المتاحة لديه .

ولقد رأيت بعض هذه الكتب بمكتبة الأزهر ، ومنها كتب حياة موسى لأحد الكتاب المسلمين وهو سرد تاريخي لقصة سيدنا موسى دون التعرض لأية تخريجات أو خلافات ، يصلح أن يدرس للطلبة في المرحلة الإعدادية والثانوية ، وهناك كتاب لكتاب من أهل الكتاب اليهود والنصارى يكتبون وفق ما يعتقدون فإذا رأوا مشكلة أو معضلة التمسوا لها حلاً .

ومنهم ما ذكره نعوم شقير في كتابه الدكتور هكنز الأمريكي الذي كتب كتاب «من النيل إلى نبو» وهو من كبار المرسلين الأمريكان في بيروت نشره في أمريكا سنة ١٩١١م ، ويبسط فيه أهم آراءه وآراء الباحثين في جميع المواضيع المشار إليها ، ومن هؤلاء الباحثين العلامة بنزي في كتابه مباحث في

سينـاء ، ومنهم من يكتب وهو عربي مسلم ولكن يكتب وصفًا لما ذكرته التوراة أو يقدم آراء بعض الباحثين في الموضوع مثل موضوع الخروج مثلاً كالدكتور سيد القمني في كتابه النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ، فقد ذكر آراء كثيرة من الباحثين في المكان الذي خرج منه موسى بني إسرائيل من مصر والمكان الذي عبر منه موسى البحر ، فأورد كثيراً من الآراء التي ذكرها أصحابها ، حتى إنه ذكر رأي فرويد المحلل النفسي الذي جعل موسى عليه السلام خاضعًا للتحليل النفسي ، ومنهم من جعل موسى ابن فرعون ومنهم ومنهم ومنهم ، الحديث يطول .

والكلام في الموضوعات التي تحتمل التأويل لا نهاية له ، ولذا فيمكنك أن تجلس مع مؤلف قد وضع كتابه في جزابه فيما يقرب من ألف صفحة ولكنك تخرج منه كما دخلت لم تحصل شيئًا ولأن هؤلاء قال الله سبحانه فيهم في سورة النجم : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ .

إن الذين يكتبون التاريخ ما يرضى به ملوكهم وترضى به أهواؤهم ويحققون به منافعهم ومصالحهم ويثبتون ما يعلمهم ويرفعهم ويحذفون ما لا يرضيهم .

وإن كتاب الفراعنة كتبوا ذلك ، والباحثون في هذا الزمان يكتشفون المقبرة فيها كتاب فيكتبون ما بها من كتابات تاريخية وعلمية ثم ثمر أجيال

فيكشفون كشفًا آخر فيغير ما كان معلومًا والدكتور سيد القمني في كتابه أشار إلى أن الأسرة السادسة عشرة والسابعة عشرة من أسرات الفراعنة لم تعلم إلا بعد اكتشاف تل العمارنة في منطقة المنيا وجوارها من ظهر تاريخ جديد لملوك لم يكونوا من قبل وبذلك يتغير التاريخ .

أما الكتاب من غير المسلمين فكلهم يكتبون في قصة موسى عليه السلام مع استبعاد النبوة والمعجزة ويجعلون الأسباب والمسببات حاكمة في سير الأنبياء وينكرون المعجزة أو يحاولون إخفاءها مثل قولهم على لسان كتاب التوراة : إن الرب أجرى البحر بريح شرقية فلفحت الماء وكان المد والجزر سببًا في شق الماء لموسى عليه الصلاة والسلام .

وينسون عصا موسى وقدرة الله سبحانه ، وهكذا في كل موقف فيه إعجاز يحاولون تأويله وتفسيره بسبب من الأسباب ، والكلام في ذلك كثير، كما أن البعض الكتاب من أهل الكتاب يركز في كتابته عن موسى عليه السلام على فكرة التجسد ، ويعنون أن الله سبحانه تجسد لموسى في الشجرة المشتعلة وفي النور والنار التي أبصرها موسى .

وقد جاء القرآن الكريم مصدقًا لمن بين يديه من الكتاب ، ومهيمنًا عليه فأزال اللبس وكشف الزيف وعلم الغافل والجاهل وأبان الحقائق حتى الأزمنة والأمكنة حددها وقررها في قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ سورة الدخان ، وقوله سبحانه : ﴿ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ ﴾ . تعرض القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام لبيان الأمكنة والأزمنه وذكر الحوادث التي لم يذكرها كتاب أهل الكتاب، مثل رفع الجبل عليهم ، وذبح البقرة وغيرها من الأحداث جاءت واضحة في سورة البقرة في قوله تعالى : وإذ ، وإذ وإذ ، تذكر بالمواقف والأحداث ، ثم ذكرت بعد

ذلك بالتفصيل في الأعراف والشعراء والنمل والقصص وطه ومريم وغيرها من سور القرآن الكريم .

ولقد مر كثير من المفسرين على هذه الآيات الكريمات فلم يلتفتوا إليها ، لأنهم قد تعودوا من القرآن الكريم ألا يهتم بالأزمنة ولا بالأمكنة فأجروها على وجهها وقصروا ما فيها بالمعاني والعبر والعظات وتركوا الحديث عن الأزمنة والأمكنة ، علمًا بأنها تتصل بالعقيدة وفيها تقرير لكثير من الحقائق التاريخية والعقدية ، وتفنيد لمزاعم كثير من الكتاب الذين يتبعون الظن ويحكمون بالهوى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ .

نظريات الخروج :

في كتاب د سيد القمني وهو كتاب حديث مؤلف في ٢٠١٠ م يقول : اختلف الباحثون «أي من غير المسلمين» في تزمين زمن الخروج من مصر فمنهم :

١ ـ نظرية أن الإسرائيليين هم الهكسوس ، وصاحبها المؤرخ اليهودي أفلافيوس يوسيفوس (٣٧ - ١٠٠م) وتابعه (مانتيو) المؤرخ المصري وأن طردهم كان على يد أحمس وإن بعضهم بقي أسيرًا في مصر ثم اشتعلوا ثورة ضد فرعون باسم «أمنحتب» ومن هنا طرحت عدة نظريات تحاول تزمين خروج بني إسرائيل من مصر فمنهم من ذهب إلى خروجهم زمن الفراعنة «حتشبسوت» ومنهم من أرجأ ذلك إلى زمن شريكها في العرش وخليفتها الفاتح المظفر «تحتمس الثالث» بينما ذهب آخرون إلى تأخير ذلك الزمن إلى أيام «أمنحتب الثالث» أو الرابع المسمى إخناتون .

٢ ـ نظرية تقول إن الخروج كان زمن تحتمس الثالث ومن القائلين بها الدكتور أحمد سوسة في كتابه «العرب واليهود» .

٣ - نظرية الخروج زمن خلو العرش : بعد سقوط إخناتون «ومن القائلين بهذا العالم النفسي سيجموند فرويد» الذي يقول : أن يهود ديون بيد أنبيائه مزاعمه بالتوراة أنه كان إلهًا ساميًا للبطاركة القدامى «إبراهيم ، إسحاق يعقوب» رغم المعلوم أنهم كانوا يعبدون إلهًا ساميًا كنعانيًا باسم «إيل» ثم علامة أخرى تتمثل في أمر عجيب إلى حد بعيد ، فالشعوب جميعًا تختار آلهتها لكن إله التوراة هو الوحيد الذي يختار شعبًا بعينه ليتأله عليه ، إن تلك الواقعة الفريدة في التاريخ الديني تشير إلى ما حدث فموسى قد اختار هؤلاء ومنحهم ديانته وجعلهم بذلك شعبه وهو ما يفسر الاصطلاح المتواتر «شعب الله المختار» .

٤ - نظريات الخروج زمن مرنبتاح بن رمسيس الثاني : يقول د . سيد القمني ص ١٦٨ تعد نظريات الخروج التي تقول إن اضطهاد الإسرائيليين في مصر قد حدث زمن الفرعون عاشق المعمار ، «رمسيس الثاني» وأنه هو من استعبدهم في أعماله الإنشائية الواسعة .

وإن الخروج قد حدث زمن ولده «مرنبتاح» من أشهر النظريات القائمة اليوم وأحوزها للثقة بين المصربولوجيين وكذلك بين علماء التوارتيات ، وقد انتقلت معظم الآراء اليوم حولها وسلم بها كبراؤهم أمثال : «البرت» و«ناخيل» و«بتري» و«وسايس» و«بروغسن» و «بيير مونتيه» إلخ وهم الكبار الأعلام في علوم المصريات .

يقول سايس : إن ورقة أنستاتي السادسة التي تشمل خطابًا من كاتب الملك مرنبتاح ما فيه : «إن بعض البدو : بدو أيتام قد سمح لهم على حسب التعليمات التي لديه أن يجتازوا حصة إقليم سكوت وليتاح لهم رعي ماشيتهم بالقرب من بلدة بتوم في ضياع الفرعوني العظيم» .

قال المؤلف : «يجـدر بالتنبيه : أن كلمـة «أيتام» هي في الأصل «آدوم» وأن كلمة «بدو» هي فـي الأصل «شاسو» فتكون «شاسـو أدوم» ومن هنا بني أن بني إسرائيل خرجوا من مصر في عهد المـلك رمسيس الثاني ورجعوا إليها في عهد الملك «مرنبتاح» إبنه .

وهذه الآراء تلفت النظر إلى آيت عظيمة في الـقرآن الكريم تدل جميعها على أن بني إسرائيل قد عادوا إلى مصر بعـد تلقي التوراة وبعد عبادة العجل بعد ذهاب موسى إلى مجمع البحرين والتقائه بالخضر وبعد أن رفع الله عليهم الطور .

عادوا للخـروج الأول لتلقي الرسالة ، ثـم عادوا إلى مصر فـملكوها أو ملكوا بها أماكن كـثيرة : فهم قبل الخروج جعلوا على بيـوتهم علامات حتى يعرفـوها إذا عادوا إليـها وإلى الله سـبحانه وتعـالى قال في سـورة يونس : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونـس:٨٧] ، ومن تفسير هذه الآية أن تكون بـيوتهم متجهة إلى الكعبة وحيث يصلون فيها أو أن يكون مقابلة يقابل بعضها بعضًا وهم قد ذبحوا الخـراف ولطخوا بيوتهـم بالدم حتى يعـرفوها إذا رجعوا إليـها ، هذه الآيات في ترتيبها تدل على رجوع بنـي إسرائيل إلى مصر قبل دخولهم أرض فلسطين وبـيت المقدس مرة أو مـرات ففي فترة الـتيه حرم الله علـيهم أرض المقـدس ولم يحرم عـليهم بـقيـة الأرض ومن الآيات الدالة عـلى ذلك أول القـصـص : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص:٥ ، ٦] ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨ - ١٢٩] ، ومنها : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٩] ، ومنها : ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٦-٢٨] ، ومنها : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٧] ، وفي سورة الإسراء : ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ .

عل هذه الآيات المذكورة وإشارات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد أن ملك فرعون خرج من يد الفراعنة بعد غرق فرعون وأورثه الله قومًا آخرين ، ثم قال في سورة الشعراء : ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، وهذا الحديث لم يذكره أحد من قبل والكل يجمع على أن موسى عليه السلام قد خرج من مصر ببني إسرائيل ولم يعودوا إليها والقرآن الكريم يكذب هذا القول ويؤكد أنه كان من الله سبحانه أن يورث بني إسرائيل ملك فرعون ولعل حادثة الخروج إلى أرض الموعد جاءت بعد أن استقر بنو إسرائيل بمصر واستقرت يدهم عليها وأصبحوا أقوياء ماديًا وعدديًا ، ثم أمرهم ربهم بدخول الأرض المقدسة.

في سورة المائدة ما تشهد لذلك فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠ ، ٢١] .

وقد ساق المفسرون أحاديث كثيرة غريبة في تفسير كلمة ملوكًا : بالخادم والزوجة والولد ، ولكن القرآن يفسر بعضه بعضا والآية تؤكد أن الله سبحانه أورث بني إسرائيل ملك فرعون مدة من الزمن ، ونقول والله أعلم : إنها فترة التي حدثت بها الأحداث الغريبة مثل قصة قارون ، ومباهاته لبني إسرائيل مؤيدة بالأدلة والبراهين على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يعيش في محافظة الفيوم ، مع بني إسرائيل وأن خروجه بهم كان عن طريق بحر يوسف إلى طريق الكريمات الزعفرانة ثم أدركهم فرعون على شاطئ خليج السويس فضرب موسى البحر فانفلق عند حمام فرعون فعبر موسى وغرق فرعون ومن معه ، وهذه الرواية أقرب إلى الصحة في الخروج الأولى، أما الخروج بعد ذلك للذهاب إلى الأرض المقدسة فهو الذي تحدث عنه الكتاب أنهم خرجوا من مديرية الشرقية عبر شمال سيناء وأرسلوا إلى أرض فلسطين من كل سبط رجلا فلما رأوهم أقوياء أشداء خافوا منهم ، وقالوا لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، وإن ذلك كان في الخروج الثاني بعد رمسيس الثاني ، إن الملك أذن للبدو أن يدخلوا مصر ليرعوا أغنامهم في أرض الفرعون العظيم أو هذه نغمة متعالية لا تريدُ أن تعترف بأن ملك فرعون رجع إلى موسى ومن معه فترة طويلة من الزمن ثم أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة .

وفي هذه الفترة وقعت قصة البقرة التي لا تصلح إلا في أرض زراعية لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ﴾ ، وفي ذلك شاهد على وجود بني إسرائيل في أرض تسقي بالدولاب والسواقي التي تجرها الأبقار والثيران وإذا تكلمنا في ذلك فإن هذا الحديث من إشارات القرآن الكريم ، ولا نقول في كتاب الله سبحانه بما لا يعلم نعوذ بالله من ذلك .

ونقول في النهاية الله أعلم .

ولكني استدعي علماء المسلمين من شيوخنا الفضلاء أن يدققوا النظر في هذا الحديث فإن كان باطلاً نفيناه ، ولعله يكون صادقًا فإن القرآن الكريم لا يكذب والله أعلم .

وفي كتب التفسير نقلاً عن التوراة أن موسى عليه السلام قد عاش ١٢٠ سنة مائة وعشرين عامًا منهم ثلاثون في مصر ، ١٠ في مدين ، ٢٠ في مصر يباشر الدعوة ، ٢ في طور سيناء ولتلقي الرسالة ، ٢٠ في مصر بعد أن ملكها بنو إسرائيل ، ٣٨ في التيه مع بني إسرائيل والله أعلم .

●● ●● ●●



تقرير علمي

عن البحث المرسل من مجمع البحوث الإسلامية إلى قسم التاريخ والحضارة بعنوان : « السياحة الدينية في سيناء» بتاريخ ١٢ من رجب ١٤٣٣هـ الموافق ٢٢ من مايو ٢٠١٢م

* أولاً : الملاحظات العامة :

١ ـ الصفحات من ١ إلى ٨٦ [١] تدخل ضمن مؤلفات الرحالة بمعنى أنها بنيت على وصف رحلة قامت بها مجموعة من علماء الأزهر الشريف إلى سيناء ، ذلك لإنشاء معاهد أزهرية في تلك البقعة الغالية .

٢ ـ اعتمد المؤلف بشكل أساسي على كتاب نعوم شقير : تاريخ سيناء وجغرافيتها ، وهذا لا يصح علميًا فلابد للمؤلف أن يرجع إلى أكثر من كتاب يسقي منهم معلوماته ، ومما يؤسف أن كتاب نعوم شقير غير متخصص سواء في التاريخ أو الجغرافيا ، وصاحبه لا يعرف ما ورد في القرآن عن سيناء بل والمعلومات التي أخذها المؤلف من نعوم شقير كثير منها غير حقيقة .

٣ ـ افتقد البحث إلى توثيق المعلومات في أغلب المواضع ، وإذا وثق المؤلف فإنه لا يضع هامشًا بل يقول : « انتهى كلام نعوم شقير »

٤ ـ البحث ليس له عناوين فصول ، وهذا يضع القارئ في حيرة شديدة عند تتبع ما ورد في البحث .

٥ ـ احتوى البحث على كثير من الأخطاء التاريخية أخذها أو نقلها المؤلف دون التأكد من صحتها ، ومعظم هذه الأخطاء من كتاب «نعوم

(١) الأرقام المذكورة حسب النسخة الأصل المرسلة للأزهر وليست هذه النسخة ـ المؤلف.

شقير»، فضلاً عن عدم تخريج الأحاديث ، وتوثيق المعلومات التي رجع إليها المؤلف من كتب التفاسير .

* خلاصة الملاحظات العامة :

١ ـ حذف كل ما ذكره المؤلف عن الرحلة التي قامت بها بعثة الأزهر الشريف والبحث والتنقيب عن عمارة المعاهد الأزهرية تحت الإنشاء وتدعيم المعاهد قائمة وهذا ما ذكره المؤلف ص ٥٨ سطر ١١ - ١٢ من أعلى ، وتوضع به الصفحات في مؤلف خاص لنشاط هذه الرحلة ، ومدى الحفاوة التي لقيها علماء الأزهر من القائمين على أمور سيناء سواء كانوا رجال إدارة أو دين .

٢ ـ يصير عنوان هذا البحث «محاولة تحديد الأمكن التي ذكرت في القرآن الكريم عن سيناء ، ويشترك فيه مجموعة من المتخصصين في التاريخ القديم ، والجغرافيا ، واللغة العربية ، والجولوجيا ، والتفسير ، ويشترك هؤلاء مع المؤلف حتى يخرج كتابًا علميًا قائمًا على التخصص الدقيق ، وليس معتمدًا على مؤلف واحد وغير متخصص .

ثانيًا : الملاحظات الخاصة :

١ ـ عندما تعرض المؤلف لتحديد مجمع البحرين في الصفحات من ٥ إلى ٢٠ أشار إلى أنها رأس محمد ، ولم يذكر الأدلة التي ترجح هذا الرأي، وعرض في ص ١٤ إلى أقوال المفسرين وجميعهم اختلفوا في تحديد هذا المكان ، وإنما رجع إلى اجتهاد شخصي وذلك في ص ١٥ بعد ذلك تحدث عن العلم وفضله والخضر عليه السلام وخرق السفينة ، والجدار الذي خارج الموضوع «مجمع البحرين» .

٢ ـ في الصفحات من ٢٥ إلى ٣٠ تحدث المؤلف عن وصف مدينة شرم

الشيخ وهـذا ليس له علاقة بمـوضوع الكتاب ، لاسيـما أنه ذكر في المـقدمة ص٣ أن الهدف من الكتاب معرفة المواقع الدينية المذكورة في القرآن الكريم ، وشرم الشيخ ليس لها في رأينا علاقة بذلك .

٣ ـ في الصفـحات من ٣٠ إلى ٣٩ وصف مدينة دهـب وحاول المؤلف من وجهـة نظره دون سند عـلى إثبات أن دهب هـي القرية الواردة فـي قوله تعـالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ، وهذا يخالـف المنهج العلمي .

٤ ـ في الصفـحات من ٣٩ إلى ٦٠ عبارة عن وصف لمـدن نويبع وطابا وسانت كاترين ، وليس لهذه المدن علاقة بما ورد في القرآن الكريم .

٥ ـ تحـدث المؤلف في ص ٦٢ وقـال : « إن القـصة « إليـاس» كلهـا حدثت في وادي فيران وإن رسالة إلياس عليه السلام كانت في هذه البقعة» ، هذا كلام غـير منطقي ، حـيث إن عبادة بعل انـتشرت في سوريـا القديمة ، وكانت أوجاريت «رأس شمرا» مركزًا لهذه الـعبادة ، أما انتشارها في مصر ، فيرجـع للتبادل التـجاري بين مصـر وسوريا حيث كـان بعل إلهًا للخـصوبة والغلال ، فربما عُبِدَ في سيناء نتيجة لذلك .

٦ ـ ص ٧٢ ـ ٧٣ حـاول المؤلـف تحـديد الجبل الوارد في قولـه تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ ، وذلك من خلال سـبعة استنتاجـات ، ولكنه لم يستعن بكتب علمية تحدد كيفية هبوط الجبل .

٧ ـ ص ٩٢ قال المؤلف : « إن الإسرائـيليين خرجوا من مصـر في عهد منفتاح» الصحـيح مرنبتاح ، ولا يعرف على وجه الدقة بـين المتخصصين في علم المصريات من هو فرعون موسى أو فرعون الخروج .

على المؤلف الرجوع إلى كتاب د . أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في

القرآن والسنة ـ طبعة دار الشروق .

٨ ـ ص ١٠٥ سطر ٢٣ ، آخر سطر ذكر المؤلف لفظ القبطي هذا لا يصح في ذلك الوقت ، فهذا اللفظ ظهر في نهاية العصر الفرعوني بداية العصر البطلمي ٣٢٣ ـ ٣٠ ق م ، حيث أطلقوا على اسم مصر «قبط» أو «قبطي» تحريفًا للكلمة المصرية «حت ـ كا ـ بتاح» فنطقوها : إقبطي أو قبطي، والأصح : قبطي تصير مصريًا .

٩ ـ ص ١٠٩ ذكر المؤلف نقلاً عن نعوم شقير أن موسى عليه السلام ولد سنة ١٥٧١ ق م ، وهذا خطأ حيث لا يعرف على وجه الدقة العصر الذي عاش فيه سيدنا موسى عليه السلام .

١٠ ـ ذكر المؤلف في ص ١٢٣ سطر ١٩أن الحكم في مصر إبان عصر عصر سيدنا موسى عليه السلام كان ديموقراطيًا ، لابد من ذكر مصدر عن هذا الكلام والأدلة التاريخية ، ولا مانع من الاستدلال بما ورد في القرآن الكريم أثناء محاورة فرعون لحاشيته .

١١ ـ في ص ١٢٣ سطر ٢٠ ذكر المؤلف أن العقوبة في مصر القديمة تسقط بعد عشر سنوات ، أين الدليل التاريخي ؟!

لابد من الرجوع إلى كتاب منال محمد محمود : «الجريمة والعقاب في مصر القديمة ـ طبعة المجلس الأعلى للآثار» .

١٢ ـ ص ١٢٦ سطر ١ ذكر المؤلف أن الإسرائيليين خرجوا في عهد منفتاح هذا خطأ والصحيح مرنبتاح .

١٣ ـ ص ١٢٦ سطر ٢ ملوك لدولة التاسعة عشر خطأ الصحيح ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

١٤ ـ ص ١٥٠ سطر ١٣ قال المؤلف : « غرق فرعون زعيم كفرة القبط»

أكدت الدراسات الحديثة أن الشعب المصري على مر العصور القديمة لا سيما عصر الفراعنة أنهم كانوا يعبدون الله عز وجل ، ولابد للمؤلف الرجوع إلى كتاب الدكتور رمضان عبده علي «مصر أرض النبوات ـ طبعة مكتبة الإنجلو المصرية ٢٠١٣» .

١٥ ـ ص ١٥٦ سطر ١ قال المؤلف : «الإله (هاتور) والإله سويدو الصحيح الإلهة حتجور والإله سوبد ، وورد ذلك أيضًا ص ١٥٧ سطر ١٨+١٩ ، وقال المؤلف هاتور آلهة الشمس أو النور ، هذا خطأ حيث كانت حتحور إلهة مناطق البعيدة ، مثل : بلاد (الصومال) وبيبلوس ومناجم سيناء، ولم تكن آلهة الشمس إنما إله الشمس هو رع ، لابد للمؤلف الرجوع إلى كتاب ياروسلاف» الديانة المصرية القديمة ، طبعة دار الشروق .

١٦ ـ ص ١٥٧ سطر ٢٠ كتب للمؤلف عشترون معبودة الفينيقين الصحيح عشتارت .

١٧ ـ ص ١٥٩ سطر ١٥ حدد المؤلف أن سيدنا موسى عليه السلام صنع عام ١٤٩٢ق م ، هذا لا يصح علميًا ، حيث أن عصر سيدنا موسى غير معلوم حتى الآن .

١٨ ـ ص ١٧٢ سطر ١٥ ، ذكر المؤلف أن موسى وقومه خرجوا عن طريق بحر يوسف ، هذا غير صحيح حيث كان يعيش بنو إسرائيل في شرق الدلتا ، هذا غير صحيح حيث كان يعيش بنو إسرائيل في شرق الدلتا «محافظة الشرقية حاليًا» ، وهذا يتفق مع خروج بني إسرائيل ومكان الإغراق، أما بحر يوسف فمكان بعيد .

١٩ ـ ص ١٨١ سطر ١ قال المؤلف : «وساروا من مدينة رعمسيس» الصحيح برعمسيس .

٢٠ ـ ص ١٨٣ سطر ١ ذكر المؤلف نـقلاً عن نعوم شقيـر «بعد أن سار موسى وبنـو إسرائيل إلى قادش» هـذه معلومة غيـر صحيحـة على الإطلاق حيث إن قادش مكانها الآن في سوريا ولا علاقـة لها بسيناء ، وهذه المعلومة دليل واضح على عدم دقة نعوم شقير وعدم تخصصه .

٢١ ـ الصحـفات من ١٩٦ إلى ٢٢١ تحت عنـوان السياحـة سنة الله في الكون ليس لها علاقة بالغرض من تأليف هذا الكتاب .

٢٢ ـ الصفحات من ٢٢٥ إلى ٢٢٨ قصة الخضر وإلياس ليس لها علاقة بالغرض من تأليف الكتاب .

٢٣ ـ ص ٢٣١ أشار المؤلف في سطر ١٣ إلى ذكر الدكـتور سيد القني، فالرجوع إلى كتبه يعرض المؤلف إلـى لوقوع في خطأ ، حيث إن سيد القني غير متخصص ، ولعل ما يوضح ذلك سطر ١٤ عندما ذكر المؤلف نقلاً عن سيد القمني ، إن تل العمارنة في منطقـة صان الحجر ، هذا غير صحيح فتل العمارنة في محافظة المنيا ، أما صان الحجر فقي محافظة الشرقية .

٢٤ ـ ص ٢٣٣ سطر ٢ مرنبـتاج ذكره المؤلف في ص ٩٢ منفـتاح وهنا مونبتاح ، والصحيح مرنبتاح فهذا دليل على عدم الدقة .

٢٥ ـ ص ٢٣٤ أشار المؤلف إلى ّن موسى عليـه السلام عاش في الفيوم هذا غير صحيح ، فالثابت أن بني إسرائيل عاشوا في مقر حاكم مصر الملقب بفرعون ، والغالب أن عاصمة مصر في ذلك الوقت كانت في شرقي الدلتا، أما الفيوم فلم تكن عاصمة لمصر في أي عصر من عصور الفراعنة .

* خلاصة ما سلف :

١ ـ أن هذا الكتاب لابد لمؤلفه الرجوع إلى الكتب المتخصصة والاستعانة بأهل التخصص في علم المصريات «التاريخ الفرعوني» ، والتفسير ، والحديث ، والجولوجيا ، والجغرافيا ، حتى يخرج الكتاب بالنتائج الصحيحة، أما الكتاب الذي بين أيدينا ، فإنه افتقد إلى المنهجية العلمية والدقة في وضع المعلومات ، لا سيما أسماء الأشخاص والأماكن ، ويعاب على مؤلفه عدم توثيق معلوماته .

٢ ـ فكرة الكتاب جيدة ، وتستحق منا الاهتمام بتحديد هذه المواقع التي ذكرت في القرآن الكريم ، ولكن لابد من الاستعانة بما سبق ذكره من أهل التخصص .

قسم التاريخ والحضارة



الرد على التقرير العلمي

عن البحث المرسل من مجمع البحوث الإسلامية إلى قسم التاريخ والحضارة بتاريخ ١٢ من رجب ١٤٣٣هـ ، ٢٢ من مايو٢٠١٢م

أولاً : الملاحظات العامة :

قال التقرير :

١ ـ الصفحات من ١ إلى ٨٦ تدخل ضمن مؤلفات الرحالة بمعنى أنها بنيت على وصف رحلة قامت بها مجموعة من علماء الأزهر الشريف إلى سيناء ، ذلك لإنشاء معاهد أزهرية في تلك البقعة الغالية ، ونقول إن هذه الرحلة ضمن أبواب الكتاب فهي سياحة عملية وتشجيعية لزيارة المحافظة ولتشجيع السياحة بها ؟

٢ ـ اعتمد المؤلف بشكل أساسي على كتاب نعوم شقير : تاريخ سيناء وجغرافيتها ، وهذا لا يصح علميًا فلابد للمؤلف أن يرجع إلى أكثر من كتاب يستقي منهم معلوماته ؟ ، ومما يؤسف أن كتاب نعوم شقير غير متخصص سواء في التاريخ أو الجغرافيا ، وصاحبه مسيحي لا يعرف ما ورد في القرآن عن سيناء بل والمعلومات التي أخذها المؤلف من نعوم شقير كثير منها غير دقيقة ؟

وأقول : إن هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ ، ولا جغرافيا ، وقد أحاله مجمع البحوث إلى قسم التاريخ والحضارة بطريق الخطأ ، والكتاب يقوم على تحقيق الأماكن التي وردت بالقرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام وعلى تحقيق الأحداث والأزمنة التي وردت بالقرآن الكريم : والمعتمد هنا هو كتب التفسير والحديث وبعض الكتابات الإسلامية مثل : البداية والنهاية : ثم إن

كتب [illegible] المكتبات [illegible] للعمري أو المد[illegible] لم يتعرض أحدهم لتحقيق هذا الموضوع : والكتابة فيه لم يسبق إليها أحد فنتعلم منه إلا أن كون نعوم شقيــر غير متخصص فالمعلومات الموجودة بـكتابه موجودة على الطبيعة ، وهو قد عاش زمنًا طويلاً في سيناء وعاين الموقع بنفسه : كما أنني عشت مــا يقرب من ثلاثـين عامًا بين جـبال جنوب سـيناء ، وأعرفهــا على الطبيعة ؟

وهو الذي دعاني لإخراج هذا الكتاب ؟

٣ ـ افتقــد البحث إلى توثـيق المعلومات في أغـلب المواضع ، وإذا وثق المؤلف فإنه لا يضع هامشًا بل يقول : « انتهى كلام نعوم شقير » ؟

وأقـول : أن القرآن الكريم لم يضع هوامش وهــو يبين الحقائق في داخل الآيات : أو في آيات أخرى والبحث في هذا يطول ؟

٤ ـ البحث ليس له عناوين فصول ، وهذا يضع القارئ في حيرة شديدة عند تتبع ما ورد في البحث .

وأقول : كان بالبحث ورقة للفهرس تبين الفصول والأبواب ، ولكنها لم تعرض مع الكتاب : وعلى كل حال لقد أخذت بهذه النصيحة وأعدت ترتيب الفصول والأبواب ؟

*** خلاصة الملاحظات العامة :**

١ ـ حذف كل مــا ذكره المؤلف عن الرحلة الـتي قامت بها بعـثة الأزهر الشريف والبحث والـتنقيب عن عمارة المعاهد الأزهريـة تحت الإنشاء وتدعيم المعــاهد قائـمة وهذا مــا ذكره المـؤلف ص ٥٨ سطر ١١ - ١٢ مــن أعلى ، وتوضع به الصفـحات في مؤلف خاص لنشاط هذه الرحــلة ، ومدى الحفاوة التي قوبل بها عــلماء الأزهر من القائمين على أمور سيـنـاء سواء كانوا رجال

إدارة دين .

وأقول : إن هذه الرحلة ، وغيرها فلم تكن رحلة واحدة ولكنها رحلات؟ وشاء الله سبحانه أن أكون الساعي فيها وفي خروجها إلى جنوب سيناء ، وتدبير جميع حاجات الرحلة ومن جاء بها ؟ كذلك فإنها كانت تعتبر رحلة سياحية دينية تعليمية دعوية ، وهذه الرحلة هي أهم شيء في الكتاب، فهو ليس كتاب تاريخ ولكنه كتاب ثقافة إسلامية عنوانه السياحة الدينية في سيناء ؟ وليس عنوانه كما جاء في بالتقرير (محاولة تحديد الأماكن التي ذكرت في القرآن الكريم عن سيناء) .

وقال التقرير الوارد من قسم التاريخ والحضارة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة ، إنه من المطلوب أن يشترك فيه إخراج هذا الكتاب مجموعة من المتخصصين في التاريخ القديم ، والجغرافيا ، واللغة العربية ، والجولوجيا، والتفسير ، ويشترك هؤلاء مع المؤلف حتى يخرج كتابًا علميًا قائمًا على التخصص الدقيق ، وليس معتمدًا على مؤلف واحد وغير متخصص ؟

وأقول : إني أرحب بخروج لجنة من المتخصصين في التاريخ القديم والجغرافيا واللغة العربية والجيولوجيا ، والتفسير وأن أكون معهم : وأعترف بأنني لست مختصًا في التاريخ أو في أي علم من العلوم المذكورة . فإن تخصصي عقيدة وفلسفة أصول دين ١٩٦٦م .

ومع العلم أنه لا يوجد في كتب التاريخ معلومات دقيقة عن حياة موسى عليه السلام وزمن وجوده وطريقه في سيناء فالآراء في ذلك كثيرة ولا يتفقون على رأي قاطع ، وحسبنا ما ذكرته اللجنة التي قامت بإعداد هذا التقرير في رقم ٧ ملاحظات عامة فقد كتبوها في ص ٩٢ قال المؤلف : « إن

الإسرائيليين خرجوا من مصر في عهد منفتاح» الصحيح مرنبتاح ، ولا يعرف على وجه الدقة بين المتخصصين في علم المصريات ، من هو فرعون موسى أو فرعون الخروج . ولا وجه الدقة من هو الملك الذي دخل سيدنا إبراهيم مصر في عهده ، ولا يعرف على وجه الدقة بين علماء التاريخ أية حقيقة ثابتة عن قصة موسى في سيناء ، وعلماء التاريخ مختلفون فيما بينهم، وأغلبهم لا يتعرض لما تعرض له القرآن الكريم وهو الذي يعرض الحقائق ثابتة .

ثانيًا : الرد على الملاحظات الخاصة :

يقول التقرير الوارد من كلية اللغة العربية شعبة التاريخ والحضارة جامعة الأزهر بالقاهرة في الملاحظات الخاصة ؟

١ ـ عندما تعرض المؤلف لتحديد مجمع البحرين في الصفحات من ٥ إلى ٢٠ أشار إلى أنها رأس محمد ، ولم يذكر الأدلة التي ترجح هذا الرأي، وعرض في ص ١٤ إلى أقوال المفسرين وجميعهم اختلفوا في تحديد هذا المكان ، وإنما رجع إلى اجتهاد شخصي وذلك في ص ١٥ بعد ذلك تحدث عن العلم وفضله والخضر عليه السلام وخرق السفينة ، والجدار هذا خارج الموضوع ، في الصفحات من ٢٥ إلى ٣٠ تحدث المؤلف عن وصف مدينة شرم الشيخ وهذا ليس له علاقة بموضوع الكتاب ، لاسيما أنه ذكر المقدمة ص ٣ أن الهدف من الكتاب معرفة المواقع الدينية المذكورة في القرآن الكريم ، وشرم الشيخ ليس لها في رأينا علاقة بذلك .

وأقول : إن المفسرين جميعًا اختلفوا في تحديد مجمع البحرين ، لكنهم لم يمنعوا أن تكون رأس محمد هو مجمع البحرين بل هو أحد الآراء ، وهو أكثر الآراء ترجيحًا : وقد سقت أدلة على ترجيح ، هذا القول ، ومنها أن

المفسرين قالوا عن القرية التي قتل بـها الغلام أنها الأيكة ، بمدين مقابل شرم الشيخ ودهب ، وقلت : أن المفسرين قالوا : إن القـرية التي بنى الخضر فيها الجدار كانـت هي الأيلة بالعراق ، وقـيل : إنها آيلة ؟ وأيلـة والأيكة والأيلة تقع في محيط خليج العقبة .

ثانيًـا : أن موسى عليه السلام كان موجودًا بيـني إسرائيل حسبما جاء في أسفار موسى بجوار طور سيناء وهذا مـا لا يكذبه القرآن ، وأن التيه كان في جبال التيه شمال جبال الطور ، وحتى نهر الأردن . وذلك كله يجعل مسرح العمليات متقاربًا .

ثالـثًـا : أن موسى سار وفتاه ، ومعهـما حوت في مكتل ، ويناسب أن يكون قد سار من الطور ، إلى رأس محمد .

رابـعًـا : إن مسرح خليج العقبة ، كـان مأهولاً بالسكان في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، وحيث كانت حضارات كثيرة حوله مثل مدين والحضارة الفرعونيـة وغيـرها ؟ وقد ذكر ابن كثـير في قصص الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠ فَانطَلَقَا ﴾ يمشيـان على ساحل البـحر فمرت بـهم سفينة فكـلموهم أن يحمـلوهم ، فعرفـوا الخضر فحملوهـم بغير نول أي بغير أجـر ، ومعنى ذلك أن الخضر كان مـعروفًا في هذه المنطقة التي هـي مجمع الرسالات والنبوات ، إبراهيم ومـوسى وعيسى وصالح وهود ولـوط وشعيب ومحـمد ﷺ وغيرهم مـن أنبياء الله سبـحانه وتعالى ، هذا وقـد ذكرت ما قالته جهات المحـميات الطبيعيـة هذا العام من التـصوير الـضوئي بـالطائرات ، وتـأكيـدهم بأن رأس مـحمـد هي مجـمع البحريـن، أما الحديث عن العلم فـهو حول الآيات الكريمة المـذكورة في هذه القصة لأني أتحدث عن القرآن .

أما شرم الشيخ فهي في القلب من موضوع الكتاب ، لأنها داخل مسرح الأحداث التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم وهي في القلب من موضوع السياحة .

يقول التقرير تحت بند :٣ ـ ملاحظات خاصة في الصفحات من ٣٠ إلى ٣٩ وصف مدينة دهب وحاول المؤلف من وجهة نظره دون سند على إثبات أن دهب هي القرية الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ، وهذا يخالف المنهج العلمي .

ونقول : لقد ذكرنا ما قاله المفسرون في هذه الآية : ففي تفسير القرطبي ص ٣٠٥ قوله واختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس وعكرمة والسدى: هي آيلة وعن ابن عباس أيضًا أنها مدين بين آيلة والطور ، ومدين ليست على ساحل البحر ، ولكنه امتداد مدين وقال الزهري هي طبرية ، وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينون يقال لها مقناه .

وقال ابن جرير الطبري اختلف أهل التأويل في تحديد القرية التي كانت حاضرة البحر ، فقال بعضهم : هي آيلة بين مدين والطور ، ثم قال : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال : هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينوني، فقال آخرون : هي مدين ثم قال الطبري ذكر من قال ذلك حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال هي قرية بين آيلة والطور يقال لها مدين .

وهذا الوصف ينطبق على موقع مدينة دهب خاصة وأن الإسرائيليين لم يسكنوا الشاطئ الشرقي لخليج العقبة أبدا . وقال ابن كثير في تفسيره :

وهذه القرية هي أيلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن إسحاق عن داوود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عـباس في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال هي قرية يقال لهـا آيلة بين مدين والطور ، وكذلك قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي ؛ وقال عبد الله بن كثير القارىء سمعنا أنها آيلة وقيل : هي مـدين ، وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد هي قرية يقال لها منتنا بين مدين وعينونا .

ونحن لم نقطع بأن دهـب هي القرية التي كانت حاضـرة البحر ، ولكن قلنا : إن الأوصـاف التي جاءت في التـفاسير تـؤيد ذلك : كما قلـنا أن ما يشاهد على ساحل دهب من لسان يكون بحيرة أمام مدينة دهب

يشبه ما فعله الإسـرائيليون من بحيرات صناعية ، يحسبـون فيها الحيتان يوم السبت ، ويصطادونها يوم الأحـد ، فنحن نزيد عن كل من قال في هذا الموضوع بالمشاهدة وبرغم ذلك فلم نجـزم أنها دهب ولكن قلنا يمكن أن تكون هي القرية التي كانت حاضرة البحر ، والأمر عائد إلى التنقيب عن الآثار .

ثم قال الـتقرير في بـند ٤ ـ في الصفـحات من ٣٩ إلى ٦٠ عـبارة عن وصف لمدن نويبع وطابـا وسانت كاترين وليس لهذه المـدن علاقة بما ورد في القرآن الكريم .

ونـقـول : هذه المدن نويبع وطابا وسانت كاترين لـهم علاقة بالسياحة ، وهي أهم مقـاصد الكتاب ، وفي وصـف هذه المدن وصفًا لما هو كـائن لنرد عليهم أي على الكتاب من اليهود والنصارى وبعض المؤرخين من المسلمين بما يجب أن يكون .

ثم قـال التقـرير تحت بنـد ٥ ـ تحدث المؤلف فـي ص ٦٢ وقال : « إن

القصة « إلياس» كـلها حدثت في وادي فيران وإن رسالة إليـاس عليه السلام كانت في هذه البقـعة» ، هذا كلام غير منطقي حيث إن عـبادة بعل انتشرت في سوريا القديمة ، وكانت أوجاريت «رأس شمـرا» مركزاً لهذه العبادة ، أما انتشارها في مصر ، فيرجع للتبادل لتجاري بين مصر وسوريا حيث كان بعل إلهًا للخصوبة والغلال ، فربما عُبِدَ في سيناء نتيجة لذلك .

ونـقـول : نحن نشكر من كتب التقرير علـى هذه المعلومة الدقيقة ونقول نعم إن كلامكم لصـحيح في ضوء كتابة التاريخ وإننا لـم نجزم أن عبادة بعل ورسالة إلياس عليـه السلام كانت في سيناء أو في جبـل سربال ، ولكن قلنا نقلاً عن نعـوم شقير : أن هناك احـتمالاً أن يكون ذلك قـد وقع خاصة وأن أغلب أحداث التاريخ القديم تخضع للإحتمالات .

ثم قـال التقـرير تحت بنـد ٦ ملاحظـات خاصـة ـ ص ٧٢ ـ ٧٣ حاول المؤلف تحديد الجبل الوارد في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ ، وذلك من خلال سبعة اسـتنتاجات ، ولكنه لم يستـعن بكتب علمية تحدد كيـفية هبوط الجبل .

ونقول : هنا بيت القصيد وهنا المقصود من هذا الكتاب ، فإن الجبل الذي اندك لم يتعرض له غـير القرآن الكريم أما التوراة فتـحدث عن الجبل ، الذي نزلت علـيه الوصايا الـعشر ولم تذكـر حادثة الدك : وسـار الكتاب اليـهود والنصارى على هـذا النهج واعتبروا أن جبـل الصفصافة في كـاترين أو جبل سربال بجوار كاتريـن هو المكان الذي نزلت فيه التوراة ولم يتعرضـوا لكيفية ولا لحادثة الجبل الذي صار دكا على طريقتـهم في انكار المعجزة في كل قصة موسى علـيه السلام والذي تعرض هـو القرآن الكريم ، وأقوال المفـسرين لم تهتم بتحديد الجبل ، ولا بكيفـية هبوط الجبل وقد ذكرنا ما في ص ٩٨ ، ما

أورده ابن كثير في تفسير ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ ، ومنها ما رواه السدى عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال : ما تجلى منه إلا قدر الخضر ودكا يعني ترابا ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ قال مغشيًا عليه رواه ابن جرير ، وقال قتادة : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ قال ميتًا ، وقال سفيان الثوري : ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه ، وقال سنيد عن حجاج بن محمد الأعور عن أبي بكر الهذلي ﴿ فَلَمَّا ﴾ تجلى ربه للجبل قال ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ انقعر فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلى يوم القيامة ، هذا هو مجمل حديث المفسرين في موضوع الدك وكيفيته ونحن نحرص على هذه الأقوال لأنها كلها تؤيد ما ذهبنا إليه من أن جبل حمام موسى هو الجبل الذي اندك ، وهو الجبل الذي نزلت عليه التوراة والله أعلم .

ثم قال التقرير تحت بند ٧ ـ ملاحظات عامة : ص ٩٢ قال المؤلف : «إن الإسرائيليين خرجوا من مصر في عهد منفتاح» الصحيح مرنبتاح ، ولا يعرف على وجه الدقة بين المتخصصين في علم المصريات من هو فرعون موسى أو فرعون الخروج .

ونقول : نعم إن تصحيح اسم منفتاح إلى مرنبتاح معلومة ، أنتم أعلم بها منًّا وأنا لا أدعي أني من علماء التاريخ أو الجغرافيا : علمًا بأنني قرأت الكثير من كتب التاريخ وأنا بصدد الكتابة في هذا الكتاب ، وخرجت بآراء كثيرة ومتنوعة وخلافات شتى حيث لا يعلم على وجه الدقة زمن أي ملك أو فرعون قد عاصر نبيًا من أنبياء الله إلا ما قيل في بعض كتب التفسير .

وفي كتاب الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف مصر في القرآن والسنة ص ١٠٢ ما نصه : «وفي عهد رمسيس الثاني على الأرجح والمشهور ولد

موسى وذلك في ظل الخوف والرعب الذين فرضهما رمسيس على بني إسرائيل إذ كان قد تورط في سياسة القتل وسفك الدماء كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وتحت بند ٨ ملاحظات خاصة يقول التقرير ص ١٠٥ سطر ٢٣ ، آخر سطر ذكر المؤلف لفظ القبطي هذا لا يصح في ذلك الوقت ، فهذا اللفظ ظهر في نهاية العصر الفرعوني بداية العصر البطلمي ٣٢٣ ـ ٣٠ ق م ، حيث أطلقوا على اسم مصر قبط أو قبطي تحريفًا للكلمة المصرية «حت ـ كا ـ بتاح» فنطقوها أو إقبطي أو قبطي ، والأصح قبطي نصير مصري .

وفي ص ١٠٩ ذكر المؤلف نقلاً عن نعوم شقير أن موسى عليه السلام سنة ١٥٧١ ق م ، وهذا خطأ حيث لا يعرف على وجه الدقة العصر الذي عاش فيه سيدنا موسى عليه السلام ، ذكر المؤلف في ص ١٢٣ سطر ١٩أن الحكم في مصر إبان عصر عصر سيدنا موسى عليه السلام كان ديموقراطيًا ، لابد من ذكر مصدر عن هذا الكلام والأدلة التاريخية ، ولا مانع من الاستدلال بما ورد في القرآن الكريم أثناء محاورة فرعون لحاشيته .

ونقول : لفظ القبط جاء في فقرة ذكر هلاك فرعون وجنده : وهي مأخوذة من كتاب قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ص ٢٥٩ وليست من كلام المؤلف : قال ابن كثير ذكر هلاك فرعون وجنده ، وتمادى قبط مصر في علم كفرهم إلخ .

ونحن نعتذر لكتاب التاريخ في هذا الموضوع حيث أن ابن كثير ذكر ذلك ولم نذكره .

أما عن مولد موسى عليه السلام سنة ١٥٧١ق.م فنقول إن ما ذكره نعوم

شقير مأخوذ من التوراة وهو ملخص ما جاء في أسفار موسى الخمسة سفر يوشع ونحن نعتذر لعلماء التاريخ عن هذا الخطأ ، ونعلم ونؤكد أنه لا يوجد شيء مؤكد بالنسبة للأنبياء في كتب التاريخ هذا ، وقد ذكر التقرير أن المؤلف في ص ١٢٣ سطر ١٩أن الحكم في مصر إبان عصر عصر سيدنا موسى عليه السلام كان ديموقراطيًا ، لابد من ذكر مصدرٍ عن هذا الكلام والأدلة التاريخية

ونقول : إننا لا نعتمد على كتب التاريخ ولسنا من المتخصصين فيه ، وإنما العمدة هو القرآن الكريم الذي حكى محاورة فرعون لموسى في سورة الأعراف بقوله سبحانه : ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ .

ومعنى هذا أن فرعون كان يستشير الملأ من حوله ، والملأ هم علية القوم وهم العلماء والأمراء ، وقد لاحظنا أن جميع أنظمة الحكم القوية والتي كونت دولاً قوية كانت تقوم على مشاورة العلماء والأمراء سواء ، إن كان ذلك في دولة مؤمنة أم كافرة ؟

فبلقيس ملكة سبأ استشارت الملأ وفرعون استشار الملأ ، والأنظمة الإسلامية كلها أمرهم شورى بينهم .

وجاء في التقرير تحت بند ١١ ـ ص ١٢٣ سطر ٢٠ ذكر المؤلف أن العقوبة في مصر القديمة تسقط بعد عشر سنوات ، أين الدليل التاريخي ؟!

لابد من الرجوع إلى كتاب منال محمد محمود : «الجريمة والعقاب في مصر القديمة ـ طبعة المجلس الأعلى للآثار» .

ونقول : إن مرجعنا الوحيد هو القرآن الكريم والذي حدد المدة التي

قضاها موسى عليه السلام في مدين بعشر سنوات أتم الأجلين ، وأكملهما كما جاء في الحديث الصحيح .

ومصر كانت دولة قوية مستقرة تنفذ فيها الأحكام وموسى عليه السلام خرج من مصر خوفًا من القتل فلما رجع كان من الضروري أن ينفذ فيه الحكم السابق ، لو لم تكن المدة قد انتهت بنص القانون ، ونأخذ مخاطبة فرعون لموسى دليلاً حيث أن فرعون لم ينس أن موسى مرتكب لجريمة قتل فقال فرعون : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

لماذا لم ينفذ فرعون حكم القتل في موسى ؟ لأن العقوبة قد سقطت بمضي المدة .

وجاء في التقرير تحت بند ١٢ ص ١٢٦ ذكر المؤلف ص ١٢٦ سطر ١ ذكر المؤلف أن الإسرائيليين خرجوا في عهد منفتاح هذا خطأ والصحيح مرنبتاح .

ونحن نوافق على هذا .

جاء في صفحة ١٢٦ سطر ٢ ملوك الدولة التاسعة عشرة خطأ الصحيح ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

ونحن نوافق على ذلك ولسنا متخصصين في التاريخ .

ص ١٥٠ سطر ١٣ قال المؤلف : « غرق فرعون زعيم كفرة القبط» أكدت الدراسات الحديثة أن الشعب المصري على مر العصور القديمة لا سيما عصر الفراعنة أنهم كانوا يعبدون الله عز وجل ، ولابد للمؤلف الرجوع إلى كتاب الدكتور رمضان عبده علي «مصر أرض النبوات ـ طبعة مكتبة الأنجلو

المصرية ٢٠١٣» .

ونقول : يا سبحان الله نرجع إلى كتاب الدكتور رمضان عبده متولي «مصر أرض النبوات» ونترك القرآن الكريم ونكذبه ، بل ونقول إن فرعون كان مؤمنًا بالله والله يقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ وعلى كل حال فهذه العبارة ليست من كلامي ، ولكنها من كلام ابن كثير في قصص الأنبياء ، وأنا معه فيما قال لأنه تصديق كلام ربنا سبحانه .

قال التقرير ص ١٥٦ سطر ١ قال المؤلف : «الإله (هاتور) والإله سويدو الصحيح الإلهة حتجور والإله سوبد ، وورد ذلك أيضًا ص ١٥٧ سطر ١٨+١٩ ، وقال المؤلف هاتور آلهة الشمس أو النور هذا خطأ حيث كانت حتحور إلهة مناطق البعيدة مثل بلاد (الصومال) وبيبلوس ومناجم سيناء، ولم تكن آلهة الشمس إنما إله الشمس هو رع ، لابد للمؤلف الرجوع إلى كتاب ياروسلاف» الديانة المصرية القديمة ، طبعة دار الشروق .

وأقول : لست في حاجة إلى الرجوع إلى أية كتب في هذه المعلومات ويكفينا ما تفضلتم به علينا من تصحيح هذه الأخطاء ورحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا .

١٥ ـ ص ١٥٧ سطر ٢٠ كتب المؤلف عشتروت معبودة الفينيقيين والصحيح عشتارت ، وأكتفي بهذا التصحيح وأشكر كاتب التقرير .

١٦ ـ ص ١٥٩ سطر ١٥ حدد المؤلف أن سيدنا موسى عليه السلام كان عام ١٤٩٢ق م هذا لا يصح علميًا حيث أن عصر سيدنا موسى غير معلوم حتى الآن .

وأقول : شكرًا لعلماء التاريخ : هذا من كتاب نعوم شقير .

١٧ ـ ثم قال التقرير تحت بند ١٧ ملاحظات خاصة : ص١٧٢ سطر ١٥

ذكر المؤلف أن موسى وقومه خرجوا عن طريق بحر يوسف ، هذا غير صحيح حيث كان يعيش بنو إسرائيل في شرق الدلتا ، هذا غير صحيح حيث كان يعيش بنو إسرائيل في شرق الدلتا «محافظة الشرقية حاليًا» وهذا يتفق مع خروج بني إسرائيل ومكان الإغراق ، أما بحر يوسف فمكان بعيد.

وأقول : إن هذا رأي كثير من علماء المصريات أن موسى عليه السلام ، عاش في محافظة الشرقية وخرج عن طريق البحيرات المرة والتمساح إلا أن فريقًا كبيرًا من الكتاب قد ألفوا كتبًا عن أن حياة موسى وبني إسرائيل كانت في محافظة الفيوم ، وعليه يكون الخروج عن طريق الكريمات والزعفرانة والعبور عند حمام فرعون خاصة ، وأن أغلب الكتاب الذين قالوا إن موسى عليه السلام خرج من محافظة الشرقية ، ينكرون معجزة فَلْقْ البحر ويقولون كما في التوراة : وأجرى الرب البحر بريح شرقية لفحت الماء حتى عبر موسى ومن معه : ولما نزل فرعون ومن معه رجع الماء بعد أن سكن الهواء .

ويعللون ذلك بظاهرة المد والجزر المشاهدة في رأس البحر الأحمر ، إلى الآن وهذا يتعارض مع نصوص القرآن الكريم حيث ذكر الله سبحانه البحر العميق والمعجزة العظيمة والتي تشير إلى سير بني إسرائيل من منطقة الفيوم حيث قال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ .

هذا وأغلب الآراء لعلماء التاريخ تتحدث عن خروج موسى ببني إسرائيل من محافظة الشرقية إلا أن هناك من يقول : إنه خرج من الفيوم بل إن هناك من يقول إن موسى عليه السلام خرج من منطقة أسوان ، ونحن نميل إلى من يتحدث بحديث يتناسب مع إشارات القرآن الكريم .

١٨ ـ ص ١٨١ سطر ١ قال المؤلف : «وساروا من مدينة رعمسيس»

الصحيح برعمسيس .

ونحن نوافقكم على هذا التصحيح .

١٩ ـ قال التقرير ص ١٨٣ سطر ١ ذكر المؤلف نقلاً عن نعوم شقير «بعد أن سار موسى وبني إسرائيل إلى قادش» هذه معلومة غير صحيحة على الإطلاق حيث إن قادش مكانها الآن في سوريا ولا علاقة لها بسيناء ، وهذه المعلومة دليل واضح على عدم دقة نعوم شقير وعدم تخصصه .

وأقول : نعم نعوم شقير غير متخصص في التاريخ وغير دقيق ، ولكنه لم يقل أن موسى عليه السلام سار إلى قادش ، ولكنه قال سار موسى عليه السلام إلى عصيون جابر ، فبرية صين وهي قادش ، ولعلها كما تقولون كانت في سوريا أو لعلها برية عين قديس في سيناء .

٢٠ ـ قال التقرير : الصحفات من ١٩٦ إلى ٢٢١ تحت عنوان السياحة سنة الله في الكون ليس لها علاقة بالغرض من تأليف هذا الكتاب .

وأقول : أن عنوان الكتاب هو السياحة الدينية في جنوب سيناء والغرض منه تنشيط السياحة ، وخاصة السياحة الدينية فكيف لا يكون لهذه الصفحات علاقة بالغرض من الكتاب ؟!

٢١ ـ قال التقرير : الصفحات من ٢٢٥ إلى ٢٢٨ قصة الخضر وإلياس ليس لها علاقة بالغرض من تأليف الكتاب .

ونقول : إن هذا الكتاب مرجعه الأصلي آيات القرآن الكريم وتفسيرها ، وقد ذكر المفسرون اسم الخضر وإلياس ضمن تفسير هذه الآيات .

٢٢ ـ قال التقرير ص ٢٣١ أشار المؤلف في سطر ١٣ إلى ذكر الدكتور سيد القهني فالرجوع إلى كتبه يعرض المؤلف إلى الوقوع في خطأ حيث إن سيد القني غير متخصص ، ولعل ما يوضح ذلك سطر ١٤ عندما ذكر

المؤلف نقلاً عن سيد القني ، إن تل العارنة في منطقة صان الحجر هذا غير صحيح فتل العمارنة في محافظة المنيا أما صان الحجر ففي محافظة الشرقية .

وأقول : نعم هذه معلومة صحيحة ونشكركم على التصحيح .

٢٤ ـ ص ٢٣٤ أشار المؤلف إلى أن موسى عليه السلام عاش في الفيوم هذا غير صحيح فالثابت أن بني إسرائيل عاشوا في مقر حاكم مصر الملقب بفرعون والغالب أن عاصمة مصر في ذلك الوقت كانت في شرقي الدلتا أما الفيوم فلم تكن عاصمة لمصر في أي عصر من عصور الفراعنة .

وأقول : هذا كلام صحيح لكنكم قلتم إنه لا يعرف الفرعون الذي عاش موسى عليه السلام في عصره وكتب كثير من الكتاب لن يعرف على وجه الدقة من هو الفرعون الذي عاش موسى في عهده ولعل الكشوف الأثرية في المستقبل تخرج من تحت الأرض ما يؤكد ذلك خصوصًا ، وأن ذلك يتفق مع إشارات القرآن الكريم وهذا ليس موضوع الكتاب .

يقول التقرير في أحد : خلاصة ما سلف :

أن هذا الكتاب لابد لمؤلفه الرجوع إلى الكتب المتخصصة والاستعانة بأهل التخصص في علم المصريات «التاريخ الفرعوني» ، والتفسير ، والحديث ، والجولوجيا ، والجغرافيا ، حتى يخرج الكتاب بالنتائج الصحيحة.

أما الكتاب الذي بين أيدينا فإنه افتقد إلى المنهجية العلمية والدقة في وضع المعلومات لا سيما أسماء الأشخاص والأماكن ، ويعاب على مؤلفه عدم توثيق معلوماته .

وأقول : إني أشكر قسم التاريخ والحضارة على هذا النقد البناء ولا أدعي أنني عالم متخصص في التاريخ ولكن المشكلة أن هذا الكتاب ليس

كتاب تاريخ بل هو كتاب ثقافة إسلامية : أما عن توثيق المعلومات التاريخية فإنني بحثت في كتب كثيرة من كتب التاريخ فلم أجد في هذا الموضوع معلومة واحدة موثقة غير أسماء الأشخاص والأماكن ، وأما المعلومات التي تفيد تصحيح الزمان والمكان والحدث فلا توجد إلا في القرآن الكريم : وقد ذكرتم في التقرير أنه لا يوجد عند علماء المصريات معلومة مؤكدة عن الفرعون الذي عاش في عهده سيدنا موسى عليه السلام : وهذا ذكره نعوم شقير الذي أخذ كتابه من كبار كتاب التاريخ المصري أو علم المصريات مثل : «فجر العمران» وجهاد الأمم للعلامة برو «تاريخ مصر» للمؤرخ المحقق شارب الإنكليزي ، «تاريخ سوريا» النفيس للعلامة المطران يوسف الدبس ، التاريخ القديم للأستاذ هارفي بورتي الأمريكي «تاريخ العقد الثمين» للعالم الأثري أحمد بك كمال .

تاريخ مصر الحديث وتاريخ العرب قبل الإسلام «للمرحوم جورج بك زيدان» : تاريخ مصر للأديبين عمر أفندي الإسكندري والمستر سفدج الإنكليزي ،وتاريخ مصر للمرحومة هند عمون «والدروس التارخية» للمؤرخ المحقق محمد الخضري : «كتاب أشهر مشاهير الإسلام» ، «الرفيق بك العظم» ، «الرحلة اليمانية» الشريف شرف عبد المحسن البركاتي «الرحلة الحجارية» لمحمد بك البتنوتي : وهو من أنفس ما كتب عن جزيرة العرب قديمًا وحديثًا ، وتقارير كثيرة من أهل الخبرة من الشام والعراق والحجاز عن صفة جزيرة العرب والعلاقة التجارية وغيرها بين مصر وجيرانها في هذا العصر.

كما أنني تابعت في مكتبة الأزهر وفي كثير من المراجع التاريخية وعلى شبكة الإنترنت تجد آراء شتى العلماء التاريخ حول زمن حياة موسى عليه

السلام والمكان الذي خرج منه من مصر والمكان الذي غرق فيه فرعون : وطريق رحلة الخروج ، وجبل المناجاة ومجمع البحرين ، أما عن مراجع الكتاب الحقيقة فهي «تفسير الطبري» «تفسير القرطبي» «تفسير الشيخ سيد طنطاوي» تفسير النسفي .

قصص الأنبياء للإمام ابن كثير قصص القرآن «محمد بكر إسماعيل» كتاب مصر في القرآن، والسنة للدكتور «أحمد عبد الحميد يوسف» وأضيف: هذا الكتاب جاءت فكرته من الحياة والنظر في جبال سيناء وأوديتها مدة تقرب من ثلاثين عامًا ومع تدبر آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام تبين أن تحديد الزمان مثل حياة موسى في مدين والمدة التي قضاها بنو إسرائيل في التيه : ويوم الخروج المحدد في الحديث الشريف بيوم عاشوراء وتحديد الأيام التي صامها موسى عليه السلام وتحديد يوم نزول التوراة وهذ كله يصحح لبني إسرائيل أخطاء زمنية موجودة في كتبهم وفي كتاباتهم .ونعوم شقير أخذ من لتوراة ولذلك فإنا نختلف معه في تصحيح الزمان والمكان والحدث ، ونتفق معه في وصف الجبال والأودية والأقاليم المختلفة والارتفاعات والانخفاضات عن سطح البحر وهناك مساعدة موجودة بمركز معلومات محافظة جنوب سيناء في هذا الموضوع كما أن القرآن الكريم اهتم بأول سورة البقرة بذكر الأحداث التي وقعت في سيناء من بني إسرائيل بصحبة سيدنا موسى عليه السلام فقد ذكرت التوراة الأحداث التي تشير إلى بني إسرائيل وقصة البقرة مثلاً وقصة رفع الطور فوقهم إلخ .

وكذلك اهتم انقرآن بتحديد لجبل الذي نادى الله عز وجل موسى منه والوادي المقدس طوى والجبل الذي نزلت عليه التوراة وهو الجبل الذي اندك من خشية الله عز وجل وكان أهم حدث لفت نظري إن القرآن الكريم اهتم

بيبن المدحرة في قصة موسى عليه السلام مع أن نعوم شقير ينكرها وجميع كتب اليهود والنصارى تنكرها .

ثم قال التقرير في خلاصة ما سلف :

فكرة الكتاب جيدة ، وتستحق منا الاهتمام بتحديد هذه المواقع التي ذكرت في القرآن الكريم ، ولكن لابد من الاستعانة بما سبق ذكره من أهل التخصص .

وأقول : شكرًا لقسم التاريخ والحضارة ، كلية اللغة العربية القاهرة فإنه عاد إلى الحق في وصف هذا الكتاب بأن فكرته جيدة وأنه يحتاج إلى تعاون المتخصصين ونرحب بتعاون المتخصصين فإن جد جديد ففي الطبعة الثانية إن شاء الله .

وأضيف إلى أن الأخطاء التي ذكرها التقرير منها ما يتعلق بأسماء المدن والملوك والآلهة والخطأ في هذا غير مقصود فهو منقول من المراجع ، علمًا بأن أسماء الآلهة والمدن داخل مصر لم تكن مقصودة في تأليف هذا الكتاب ولا في المكان الذي خرج منه موسى عليه السلام بالإسرائيليين إلى سيناء ، وإنما المقصود تصحيح أماكن الأحداث كما جاءت بالقرآن الكريم ، مثل : رأسي محمد مجمع البحرين وحمام موسى «جبل المناداة» ووادي أسلا «جبل المناداة» والجبل الذي اندك من خشية الله ، إلخ تصحيح الأمكنة كما جاءت في القرآن الكريم ، وكذلك تصحيح الأزمنة في عمر موسى المقدر في التوراة بـ ١٢٠ سنة ، وزمن التيه كذلك تصحيح الأحداث التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة وعددها في القرآن الكريم حيث أن التوراة لم تذكر كل الأحداث في قصة موسى وبني إسرائيل ولم يذكرها الكتاب من اليهود والنصارى .

أما يتعلق بالتاريخ فليس هو مقصــود الكتاب ، وما يتعلق ببعض الكتاب مثل نعوم شقــير وسيد القمني فمن باب عــرض الرأي الآخر والمخالف لكلام القرآن الـكريم وفي الكتاب وصــف لبعض مدن جــنوب سيناء لأنه مــوضوع لتنشيط السياحة الدينية . والله أعلم

●● ●● ●●



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصفا للكمبيوتر
مصر ـ منية سمنود ـ دقهلية
محمول : ٠١٢٢٧٥١١٠٠٣ ـ ٠١٠٦٦٩٨٤٠٥٥